بسم الله الرحمن الرحيم

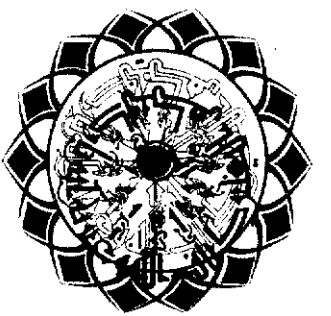

رسالة الثقلين

مجلة إسلامية جامعة

العدد السابع والعشرون . السنة السابعة . رجب - رمضان ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م

المراسلات والاتصالات مع رئيس التحرير على العنوان التالي

* الجمهورية الاسلامية الايرانية - قم . ص . ب : (٨٩٤ - ٣٧١٨٥)

* هواتف : ٧٤٠٢٩٤ ، ٣ - ٧٤٠٧٧١ فاكس : ٣٧٥١٧٩

رسالة الثقلين

مجلة اسلامية جامعة

- تعنى باحياء المعارف الاسلامية من منبع الثقلين والدفاع عن حريم القرآن الكريم وسنّة الرسول الشريفة وخط أهل البيت الاطهار عليهم السلام.
- تستقبل نتاجات العلماء والمفكرين والكتّاب الاسلاميين التي تصبّ في رسالة الثقلين لتكريس وحدة الامة الاسلاميّة وتثبيت شوكتها في أرجاء العالم.
- الآراء الواردة في الموضوعات لا تعبّر بالضرورة عن رأي المجمع أو المجلة.
- تسلسل الموضوعات يخضع لاعتبارات فنّية.
- يُرجى ممن يرفد المجلة بنتاجاته الاحتفاظ بصورة منها، فإنها لا تعاد نشرت أم لم تنشر.

محتويات العدد

□ كلمة التحرير

* أهمية الخطاب الثقافي الاسلامي للناطقين بالعربية

..... بقلم رئيس التحرير ٤

□ من آفاق القيادة الاسلامية

* الحكمة من اعداد القوة

..... ولي أمر المسلمين آية الله العظمى السيد الخامنئي(دام ظلّه) ١١

□ دراسات

* البحث القرآني عند المسيحيين

..... السيد محمد علي الابطحي ٢٣

* منهج اهل البيت (ع) في بناء الانسان الكامل

..... الشيخ محمد علي التسخيري ٦٨

* نظام العبادات في مدرسة اهل البيت(ع) (٣)

..... السيد محمد باقر الحكيم ١٠٩

* تزكية النفس من منظور الثقلين (٧)

التوبة والانابة (١) ..... السيد كاظم الحائري ١٦٩

* اضواء على معالم الدراسة والبحث في الحوزات العلمية

لمدرسة اهل البيت (ع) (٢)..... السيد هاشم الهاشمي ١٨٥

□ من فقه مدرسة أهل البيت(ع)

* الشرعية في ولاية المعصومين (ع)

المصدر والدلالات (١) ..... كاظم قاضي زادة ٤٢

تعريب : عباس الاسدي

□ من سيرة أهل البيت(ع)

* من وحي سيرة الامام الصادق (ع) (١)

..... نبيل علي صالح (سورية) ٧٨

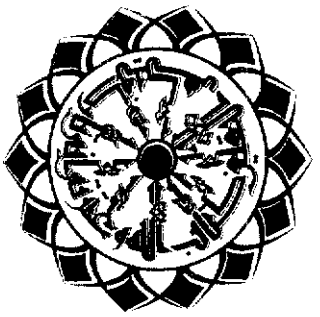

المجمع العالمي لأهل البيت

المشرف العام:

الشيخ
محمد علي التسخيري

رئيس التحرير:

الشيخ
فؤاد كاظم المقدادي

العدد السابع والعشرون

السنة السابعة

رجب - رمضان

١٤١٩هـ / ١٩٩٨م

□ فنون وآداب

* قصيدة: الارذلون ..... أبو الاسود الدؤلي ١٠٧
* قصيدة: شمس النهار ..... الاعور الشّنّي ١٦٧

□ مقارنات فقهية

* قرارات وتوصيات الدورة الثالثة لمجلس مجمع الفقه الاسلامي في عمّان
..... التحرير ١٣٥

□ استطلاع

* اتباع اهل البيت (ع) في الباكستان (٢) اسرار محنتهم ومستقبلهم المشرق
..... السيد افتخار حسين النقوي (باكستان) ٢٠١

□ أهل البيت(ع) في روايات الصحابة

* روايات حبر الأمة ابن عباس (٤)
..... اعداد: صادق السوداني ١٨٠

□ من غرر حكم أهل البيت(ع)

* الموعظة حياة القلوب
..... اعداد: عبد القادر فرج الله (العراق) ٢١٧

□ من انباء القرى

* أنباء وتقارير ٢٢١

□ مع قرّاء الثقلين

* رسائل القرّاء ٢٥٨

كلمة التحرير

أهمية الخطاب الثقافي الإسلامي للناطقين بالعربية

بقلم رئيس التحرير

الذي يقرأ مقدمة الدستور الاسلامي للجمهورية الاسلامية في ايران ، يجد تحت العنوان الفرعي «اسلوب الحكم في الاسلام» ما نصه : «إن رسالة الدستور هي خلق الارضيات العقائدية للنهضة ، وإيجاد الظروف المناسبة لتربية الانسان على القيم الاسلامية العالمية الرفيعة على المستوى المحلي انطلاقاً إلى المجتمع العالمي .

ونظراً للمحتوى الاسلامي للثورة الاسلامية في ايران ، التي كانت حركة تستهدف النصر لجميع المستضعفين على المستكبرين ، فإن هذا الدستور سيعدّ الظروف لاستمرارية هذه الثورة داخل البلاد وخارجها ، خصوصاً بالنسبة لتوسيع العلاقات الدولية ، حيث يسعى مع سائر الحركات الاسلامية والشعبية إلى بناء الأُمة الواحدة في العالم ﴿إنّ هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾[1] ، ويعمل على مواصلة الجهاد لانقاذ الشعوب المحرومة والمضطهدة في جميع العالم»[2] .

إن هذا النص الدستوري يعتبر تأكيداً على البعد الرسالي العالمي للثورة الاسلامية ، وعدم حصرها بالحدود الجغرافية لايران ، إذ ان

(١) الانبياء: ٩٢ .

(٢) دستور جمهورية ايران الاسلامية : ٩ ـ ١٠ (الترجمة العربية الطبعة الاولى ـ اصدار وزارة الارشاد الاسلامي).

هـذا المـبدأ يـعتبر مـن المـبادئ الاسـتراتـيجية التـي تـبنتها الثـورة الاسلامية وأعلنها قائدها التاريخي الامام الخميني﵀ .

ولما كانت مناطق العالم الاسلامي خصوصاً المنطقة التي اصطلح عليها بالشرق الاوسط ، هي التي تتشابك بها خطوط النفوذ الدولي على مستويات شتى ونقاط مختلفة ، ولما كانت ايران الثورة والدولة الاسلامية ترتبط بروابط تاريخية وجغرافية واجتماعية متبادلة مع الكثير من دول المنطقة الاسلامية ، كان لزاماً على الثورة الاسلامية في ايران أن ترفد المد الاسلامي في هذه البقعة من العالم ، وتحاول أن توجد تياراً اسلامياً يتناغم مع حركتها الرسالية ، وتكسر عنها طوق الحصار القومي والاقليمي الذي يسعى الاستكبار العالمي إلى ضربه على هذه الثورة . والشعوب الاسلامية العربية هي المتأثرة الاولى بالثورة الاسلامية وافرازاتها ، نظراً للوشائج التي لا تعد ولا تحصى بينها وبين هذه الشعوب . وهنا يبدو الدور الذي يجب أن يضطلع به خطاب الثورة الاسلامية الموجه إلى المجتمعات الاسلامية الناطقة بالعربية ، وهو دور خطير ومهم جداً ، يتزاحم مع دور الاستكبار العالمي واعلامه الذي لعب دوراً خطيراً في التأثير في هذه الشعوب محاولاً حرف مسيرتها وآمالها ، وعلى هذا الاساس ، وعلى الرغم من ألاعيب الاستكبار وحيله ولعبه السياسية التي يحاول أن يشغل بها الذهنية الادارية الاسلامية ، لابدَّ من التصدي لمهام الاعلام بشكل مستقل عن التأثيرات السلبية ، ودفعه إلى أداء دوره المطلوب في مواجهة مؤامرة استكبارية تحاك من ما وراء المحيطات للاجهاز على انتشار الاسلام الأصيل ، وحرف مسيرته ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً ، ومن ابرز الأسباب التي تدعو إلى دعم الخطاب الاسلامي الموجه إلى الشعوب الاسلامية الناطقة بالعربية هي :

١ ـ أن عدد الناطقين باللغة العربية في العالم الاسلامي هم أكثر من

٣٠٠ مليون نسمة ، وهذا الرقم يشكل ما يقارب ربع نفوس المسلمين في العالم ، اغلبهم منتشرون علىٰ رقعة جغرافية واسعة تمتد علىٰ اجزاء كبيرة من القارتين الافريقية والآسيوية ، مضافاً إلى الجاليات العديدة في دول اوربا والاميركيتين .

٢ ـ أن تداول اللغة العربية لا ينحصر بابناء المنطقة الاسلامية العربية ، بل يتعداهم إلى دائرة واسعة من ابناء الشعوب الاخرىٰ ، فالعلماء وطلاب العلوم الدينية والدعاة والمبلغين الاسلاميين من مختلف المذاهب الاسلامية ، يتميزون غالباً بالنطق بالعربية والاحاطة بقواعدها ، كما أن طوائف كبيرة من مختلف الشعوب الاسلامية غير العربية يتداولون اللغة العربية من خلال حفظهم أو تلاوتهم للقرآن الكريم ، كابناء دول جنوب شرق آسيا وشبه القارة الهندية واغلب دول افريقيا السوداء ، مما يجعل للخطاب الثقافي الاسلامي باللغة العربية طيف واسع واهمية كبرىٰ .

٣ ـ إن المنطقة الاسلامية العربية هي أهم مناطق العالم الاسلامي ، بل أهم مناطق العالم اطلاقاً ، فهي تعيش وضعاً ساخناً إن لم يكن ملتهباً بأهم قضايا العالم استقطاباً ، مشكّلة بذلك المحور الرئيس للصراع الدولي ، وهذه القضايا هي بنفس الوقت في صلب الاستراتيجية الاسلامية علىٰ الصعيد العقائدي والسياسي ، كالقضية الفلسطينية والقضيّة اللبنانية وقضايا الخليج الفارسي ، ووجود اكبر واهم العتبات والمشاهد المقدسة فيها ، كبيت اللّه الحرام والمسجد الحرام والمسجد الاقصىٰ والمشاهد الاسلامية الاخرىٰ في مكة المكرمة وقبر الرسول صلى الله عليه وآله والمسجد النبوي ومقبرة البقيع التي تضم قبور العديد من ائمة اهل البيت عليهم السلام في المدينة المنوّرة ، ومراقد مجموعة اخرىٰ من ائمة اهل البيت عليهم السلام وكبار اصحابهم في العراق وسوريا ولبنان ومصر وغيرها .

٤ ـ لاشك أن المنطقة الاسلامية العربية هي من أهم مناطق العالم الاسلامي من الناحية الاقتصادية ؛ لتعدد ووفرة الثروات الطبيعية فيها، وفي مقدمتها النفط الذي يعتبر الاستكبار العالمي وخصوصاً الولايات المتحدة الاميركية واوربا أن أهم مصدر له هو المنطقة الاسلامية العربية ، لذا فقد وظّف الكثير من امكاناته للسيطرة عليها سياسياً وعسكرياً ؛ لضمان استمرار تدفق هذا الذهب الاسود إلى مكنته الاقتصادية .

٥ ـ أن الجغرافيا السياسية للمنطقة الاسلامية العربية هي مميّز مهم آخر ، إضافة إلى جغرافيتها العسكرية والاقتصادية ، فهي تعتبر الجسر الذي يربط بين اكبر ثلاث قارات في العالم (اوربا وافريقيا وآسيا) ، كما أنها تطلّ على أهم المنافذ المائية لهذه القارات ، كمضيق جبل طارق وقناة السويس ومضيق باب المندب والخليج الفارسي ، مما يجعلها في مقدمة مفردات الاستراتيجية الاسلامية في العالم .

٦ ـ من خلال الاستقراء الواقعي نجد أن ابرز المتعاطفين مع الثورة الاسلامية ، بل الذين يمارسون أهم الادوار الجهادية سياسياً وعسكرياً مستلهمين من وحي الثورة الاسلامية وقائدها الامام الخميني قدس سره ومن بعده ربيبه الرائد آية اللّه العظمى السيد الخامنئي (دام ظله) ، هم من ابناء المنطقة الاسلامية العربية كلبنان والعراق وفلسطين وبلدان الحجاز ومصر وتونس والجزائر والمغرب والسودان وغيرها ، وهذا يؤكد ضرورة أن تكون جسور الخطاب الثقافي الاسلامي متكاملة وفعّالة ، لدوام اتصال وتأثير الثورة الاسلامية وقيادتها في محاور التحرك هذه .

٧ ـ أن من اكثر المراكز الاسلامية تأثيراً في العالم الاسلامي ، من حيث إعداد العلماء والمبلغين والقيام بأعمال الدعوة والنشر إلى فترة متأخرة من عمر الثورة الاسلامية في ايران ، نجدها في المنطقة

الاسلامية العربية ، ومن ابرزها جامعة النجف الاشرف في العراق وجامعة الازهر في مصر وجامعة الزيتونة في تونس ، وكذا الجامعات الاسلامية في الحجاز وغيرها ، فهي تُعدّ العلماء والمبلغين من مختلف الجنسيات وترسلهم إلى مختلف مناطق العالم الاسلامي ، ومناطق وجود المسلمين الاخرىٰ ، لذا كان من الضروري تغذية اجواء هذه المراكز بالخطاب الاسلامي الاصيل ، وشدها إلى محور العمل الرسالي المشترك في اطار الصحوة الاسلامية المعاصرة وحركتها المتنامية .

٨ ـ إذا استثنينا الجمهورية الاسلامية في ايران ، فإن اكثر الحركات والمنظمات الاسلامية انتشاراً وفعالية في العالم الاسلامي ، هي تلك الحركات المنبثقة من المنطقة الاسلامية العربية ؛ كالحركات الاسلامية في مصر والسودان والعراق وتونس ولبنان والاردن ودول منطقة الحجاز وغيرها ، ولاشك أن اجواء وعناصر هذه الحركات هي بأمس الحاجة للتوجيه والشد نحو مبادئ الثورة الاسلامية وقيادتها الرائدة .

٩ ـ أن ابرز المجتمعات الاسلامية التي استُهدفت من قبل دوائر التبشير الصليبي والاستكبار العالمي ، بالتشويه والتحريف وزرع بذور الفرقة والانشقاق هي الشعوب الاسلامية العربية ، باعتبارها اقرب المجتمعات إلى المصادر الرئيسية للشريعة الاسلامية (القرآن ، والسنة الشريفة ، والتاريخ الاسلامي) ، وباعتبارها أولىٰ المجتمعات التي حملت الاسلام وانطلقت به إلى الشعوب والمجتمعات الاخرىٰ ، مما يجعلها ـ بسبب هذا الاستهداف ـ اكثر من غيرها حاجة إلى ازالة كافة معالم التشويه والتحريف ، وعلاج حالات التمزق والفرقة الطائفية والاقليمية ، واعادتها إلى الاسلام النقي الاصيل ، وتطوير حركتها الاسلامية لتتكامل مع حركة الثورة الاسلامية وقيادتها

الرسالية .

١٠ ـ بذل الاستكبار العالمي بقيادة الولايات المتحدة الاميركية جهوداً كبيرة ، لعزل مسلمي البلاد العربية عن مبادئ الثورة الاسلامية وقيادتها الرائدة ، بل إنهم خططوا بخبث شيطاني كبير لتشويه صورة هذه الثورة العملاقة وقيادتها التاريخية ، واختلقوا انواع الشبهات والاكاذيب والافتراءات ، وروّجوا لها من خلال مئات الوسائل الاعلامية المرئية والسمعية والمقروءة ، مما يستدعي توسيعاً وتطويراً اعلامياً للخطاب الثقافي الاسلامي الهادف للناطقين باللغة العربية ، يأخذ بنظر الاعتبار مواجهة هذا التشويه للثورة الاسلامية وقيادتها ، وردّ الشبهات المختلقة حولها ، وفك الحصار والعزلة عنها .

١١ ـ أن هناك اكثر من ١٠٠ محطة اذاعية وتلفزيونية محلية وخارجية تبث برامجها اللااسلامية للمنطقة الاسلامية العربية ، كما أن هناك الآلاف من الصحف والمجلات ووسائل الاعلام الاخرىٰ تصب جهدها في تكريس الفكر والسياسة الاستكبارية في المنطقة ، والامعان في تشويه الاسلام وابعاد المسلمين العرب عن الاسلام الحقيقي وعلمائه المجاهدين ، ولابد ـ في مقابل ذلك كله ـ أن يكون صوت الاسلام شاخصاً من بينها ، وبسبب هذا الحصار الاعلامي والسياسي المضروب حول المنطقة الاسلامية العربية ، لابد من أن يصلها صوت الاسلام النقي ، وهنا تتأكد ضرورة دعم وتقوية خطاب الاعلام الاسلامي باللغة العربية .

إن كل هذه الأسباب تعطي للخطاب الثقافي الاسلامي باللغة العربية ميزةً واضحة ، تجعله من المقدم في سلم أولويات اهتمام الجمهورية الاسلامية في ايران ؛ لأن اوضاع العالم الاسلامي العربي تؤثر بشكل اساسي سلباً أو ايجاباً علىٰ دور الجمهورية الاسلامية

الايديولوجي والسياسي في العالم ، وخصوصاً العالم الاسلامي ، أما ما يجب أن يميّز الخطاب الثقافي الاسلامي باللغة العربية ، فهو بالدرجة الاولىٰ أن يكون خطاباً ثقافياً ذا صفة شمولية وموحدة ؛ إذ عليه أن يقوم بدورين في آن واحد ، فهو يهدم البناءات الثقافية الاستكبارية وتاثيراتها في النفسية الاسلامية العربية ، ويبني مكانها خطاباً اسلامياً نقياً واضحاً موحداً في جميع اطروحاته ومعطياته .

وبالدرجة الثانية لابدَّ من أن يكون سريعاً فعّالاً متطوراً لا يتخلف عن مسار التطور الثقافي العالمي والاقليمي ؛ إذ إن قوة الخطاب الثقافي تقاس بملاحقته للمسارات الثقافية وتطوراتها ، والآراء المطروحة علىٰ هامشها وتفسيرها وتقويمها علىٰ ضوء المبادئ وبالتالي ترجمتها إلى ركائز ثقافية وسياسية تبنىٰ عليها الشخصية المتلقية لذلك الخطاب الثقافي .

وبالدرجة الثالثة لابد أن يكون الخطاب الثقافي الاسلامي علىٰ درجة من الوضوح ، تجعله ميسوراً بالنسبة للعقلية الوسط التي هي سمة العالم الشرقي اليوم ، بعيداً عن التقعّر في العطاء الثقافي السطحي .

هذه واحدة من هموم الدعوة الاسلامية تراود افكار الدعاة الاسلاميين واقلامهم ، نحاول في هذه المرة أن نجعلها فاتحة إثارةٍ للعاملين في هذا المضمار ، أملاً في أن نحقق دفعة تقويمية مسؤولة للخطاب الثقافي الاسلامي يستطيع أن يصمد في وجه الخطاب الاستكباري المدروس ، وأن يقوم علىٰ أسس علمية مؤثرة وفعالة يستهدي الشعار القرآني الخالد : ﴿ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن إن ربك هو أعلم بمن ظلّ عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين﴾ (٣) .

صدق الله العلي العظيم والحمد لله رب العالمين

(٣) النحل : ١٢٥ .

من آفاق القيادة الإسلامية

الحكمة من إعداد القوة

* ولي أمر المسلمين آية الله العظمى السيد الخامنئي «دام ظله»

من حديث لولي أمر المسلمين وقائد الأمة الاسلامية سماحة آية الله العظمى السيد علي الخامنئي «مد ظله» بمناسبة يوم جيش الجمهورية الاسلامية.

المتأمّل منّا في قضايا ما بعد الثورة حتى يومنا هذا، وما قدّمه جيش الجمهورية الاسلامية ـ بوجوده وجهوده ونشاطه ـ من عطاء معنوي كبير للشعب الايراني، لابد له أن يشكر الباري تعالىٰ؛ فنحن مكلفون بشكر أنعُم الله، والرحمة الإلهية تشمل الشاكرين، علىٰ كل انسان أن ينظر إلى أنعم الله، وأن يسعىٰ جهد استطاعته في عدّها وأداء شكرها.

ولاشك في أن من أعظم وأهم النعم الإلهية أن تكون القوات المسلحة في بلدٍ ما تتمتع بمثل هذا البناء وهذا النّظم وهذه المعنويات والتوجهات؛ فهذه بحد ذاتها نعمة إلهية كبرىٰ علىٰ شعب له مثل هذا الجيش.

وجوب شكر النعمة الإلهية

من الطبيعي أن احصاء النعم الإلهية لا يُتاح لأي كان . ففي دعاء عرفة ـ الذي آمل أنكم قد وفّقتم لقراءته ، وسيحالفكم الحظ في كل سنة إن شاء الله في أيام عرفة لقراءته والتدبّر في معانيه ـ تلاحظون أن الامام الحسين بن علي عليه السلام يقول في أوائله : «**أنا أشهد يا إلهي بحقيقة إيماني وعقد عزمات يقيني وخالص صريح توحيدي وباطن مكنون ضميري ... أن لو حاولت واجتهدت ... أن أؤدي شكر واحدة من أنعمك ما استطعت ذلك إلّا بمنّك ...**» .

فالحسين بن علي ـ هذا المضحّي الذي لا مثيل له في تاريخ الاسلام والقيم المعنوية ـ يذكر مجموعة من النعم الإلهية مفصّلاً جزئياتها فيما يقارب صفحة واحدة ، ليقول إنّني غير قادر بكل ما أوتيت من قوّة على أن أشكر نعمة واحدة من نعمك ، وإذا وفقت لشكر نعمة فهذا التوفيق على الشكر يعد بحد ذاته نعمة من الله .

فما كل أحد يُكتب له التوفيق ، ولا كل أحد يرى جمال الحقيقة والمعنوية ليثني عليه ، ولا كل أحد يُدرك عظمة الفضل الإلهي ، ووجود النعمة الإلهية ؛ فالغفلة والانانية والغرور لا تتيح لنا أن ننتبه إلى أننا في محضر زاخر بالالطاف الإلهية ، أو أن نلتفت إلى ماهية هذه الألطاف والنعم ، فإذا ما كتب التوفيق لأحد لكي يتغلب في دوافعه ونواياه الذاتية والمادية على الغرور والهوى وقصور النظر ، وتمكّن من مشاهدة الجمال المعنوي ، ووقف أمامه موقف اجلال وتعظيم وخشع له قلبه ، فهذا بحد ذاته نعمة إلهية كبرى تستلزم الشكر . والإنسان غير قادر مطلقاً على شكر النعم الإلهية حق قدرها .

من أكبر المفاخر التي يحرزها المرء في مجال عمله هو أن يكون ذلك العمل في خدمة بلده وشعبه وأهدافه ، وأن تكون فيه خدمة معنوية لكل الانسانية . كم من الناس اليوم يكدحون صباحاً ومساءً

بكل طاقاتهم وجهودهم ، إلّا إن جهدهم مكرّس لخدمة الظلم والشر ، فعملهم لا ينتفع به أحد ، ولا تعمر به الدنيا ، ولا الانسانية منه في راحة، ولا الظلم به يزول ، فليس في عمل هؤلاء مفخرة لهم .

ينصبُّ الاهتمام في العالم المادّي الذي اعتاد حمل السلاح ، وتعارف على التسلّح واكتساب المهارة الحربية ، في وضع تلك المهارة والتجربة تحت ارادة اشخاص استحوذت عليهم الأنانية . لاحظوا ، بإمرة من تأتمر الجيوش الكبرىٰ في العالم اليوم ؟ الأشخاص الذين تأتمر بأمرتهم وتخضع لقراراتهم ينفقون مليارات الدولارات ، ويأتون بالجيوش والمعدات من أقصىٰ نقاط العالم إلى بقعة حساسة وغنية بالنفط ، لحماية شخص أو للهجوم علىٰ بلد ونهب ثروته ؛ ولكن من هم هؤلاء ؟ مَن هذه الحفنة من أراذل الناس المتمكنة من القدرات المادية والمتسلطة علىٰ الجيوش ؟

في تلك الجيوش يتحرك مئات الآلاف من الناس ، ويأتمرون بالأوامر ، ويرسلون هنا وهناك ويقتلون ويجرحون ويتعرضون للمآسي والحرمان من أطفالهم ونسائهم ، وتعيش أسرهم لوعة فراقهم وتتحمل الآلام والعناء ، ولكن بأمر من يجري كل هذا ؟ ولأي شيء ؟ وماهي الغاية ؟ وماهي النوايا الكامنة وراء هذه التحركات في العالم كلّه ؟

هذه الظاهرة ليست وليدة اليوم وإنما هذا هو وضع الجيوش في عرف العالم علىٰ امتداد التاريخ ؛ ففي الماضي كانوا يسوقون ملايين الناس في السفن أو علىٰ ظهور الخيل من قارة إلى قارة لاحتلال مضيق أو بحيرة أو نهر أو بلدة ، وكان كثيراً ما يحصل أنهم يعودون خائبين مهزومين بعد سنوات من العناء ؛ فمن هم اولئك الذين كانوا يجيّشون تلك الجيوش ؟ وبإرادة من كانوا يسيرون ؟ فهل كانت هناك ذرّة من معاني القيم الإلهية والانسانية والمعنوية حاكمة علىٰ تلك

الجهود ؟

ومع كل هذا ، إذا شعر الانسان أنه يعيش في مؤسسة عسكرية مبنية علىٰ ألّا تطلق رصاصة واحدة إلّا من أجل اقامة حق أو دحض باطل ، وفي سبيل ازاحة ظلم واقرار عدل ، ومن أجل أن يتمكن شعب مؤمن باللّٰه من صيانة استقلاله وشخصيته وهويته من عدوان المعتدين ، أفليست هذه مفخرة لذلك الانسان ؟ لاشك في أنها تستلزم شكراً كثيراً .

يجب علىٰ من يعملون اليوم لهذه الاهداف النبيلة في جيش الجمهورية الاسلامية أن يشعروا أن عملهم هذا طاعة للّٰه وعبودية له .

الامام السجاد عليه السلام يسأل اللّٰه تعالىٰ في الدعاء المبارك المسمىٰ بدعاء مكارم الأخلاق ـ وهو من أدعية الصحيفة السجادية وأوصيكم بقراءته ـ كل ما هو لازم لكمال الانسان قائلاً : «**اللّٰهم صلِّ علىٰ محمد وآله واكفني ما يشغلني الاهتمام به واستعملني بما تسألني غداً عنه واستفرغ أيامي فيما خلقتني له**» ، أي تكون عامة الحياة لذلك الهدف وفي ذلك الطريق الذي من أجله خُلقَ الانسان .

العمل لغايات إلهية مفخرة كبرىٰ

إنها مفخرة كبرىٰ أن يشعر المرء في أجواء المهنة التي يحترفها أنه يعمل لغايات إلهية ، وللدفاع عن هويته وشخصيته وعن استقلال شعب يعيش في عالم يملؤه الظلم والطبقية والبطش والتمييز وغلبة الماديات والشهوات ، وفي سبيل رفع راية استقلال الانسان ، وراية المعنويات والدفاع عن الحق وعن الحقوق المسحوقة والمنسية، ولمقارعة الظلم والطغيان ، واستنكار عدوان القوىٰ الكبرىٰ والمتسلطة علىٰ الشعوب الأُخرىٰ .

علىٰ الشخص الذي يعمل في مؤسسة هدفها الذود عن هذه

الحقائق وعن شعب يحمل هذه الأهداف ، أن يشعر أنه مشمول بهذه الفقرة من الدعاء : «**واستعملني بما تسألني غداً عنه واستفرغ أيّامي فيما خلقتني له**» ، وأنه يقضي حياته في سبيل هذه الأهداف السامية التي خلق الله الانسان لأجلها .

خلقنا الله تعالىٰ لنسير في مدّة حياتنا الدنيا بما وفّره لنا من نعم وامكانات نحو التكامل المعنوي ، ونطبّق القيم المعنوية في حياتنا ، وننشر كل ما هو حسن في كل ربوع المعمورة ، وأن نبدأ ذلك من محيط حياتنا الخاصة . لتكن نيّتنا سيادة القيم الإلهية وسيادة الحقيقة والتوحيد والمثل الانسانية ، وهذه طبعاً مفخرة ، وأنتم تحملون مثل هذا الفخر .

الحكمة من وجود القوات المسلحة

الأساس في وجود الانسان في القوات المسلحة هو التضحية ، والحكمة من وجود القوات المسلحة هي التضحية ، والحكمة من وجودها هي الدفاع عن الحدود المادية والمعنوية للبلد ؛ الحدود المادية التي تعني الحدود الجغرافية ، والحدود المعنوية التي يراد بها استقلال الشعب ؛ فاستقلال الشعب له حدود أوسع من الحدود المادية ، وليس هذا بالأمر الهيّن .

الحدود الجغرافية لبعض البلدان لم تخترق ، إلّا أن العدو تغلغل إلى اعماقها واصبح له نفوذ قوي في ثقافتها وسياستها واقتصادها عبر أساليبه الاستعمارية ، في حين تتوهم تلك الشعوب أنها تعيش في داخل حدودها حياة آمنة ، وهي لا تعلم أن عدوها هو الذي يدير شؤونها ويأمر حكامها ويعيّن لهم حدود الحرب والسلم ، فأمثال هذه الشعوب حدودها مخترقة من حيث لا تشعر .

واجب القوات المسلحة هو الدفاع عن استقلال وهوية الشعب .

وحينما يكون للقوات المسلحة في البلد عزم راسخ ويقين ثابت بالأهداف السامية لذلك الشعب ، فمن الطبيعي أن يشعر ذلك الشعب بالأمان والمنعة ، ويشعر مسؤولوه بالقدرة على مجابهة مطامع وعدوان القوىٰ الاجنبية . أما إذا لم تكن القوات المسلحة على أهبة الاستعداد فمن الطبيعي أن ترتعش مفاصل مسؤوليه وشخصياته السياسية ؛ لأن العدو لا يجامل ، وعندما تكون للأجنبي مطامعه ومآربه فهو لا يتورع عن شيء ولا يقيم وزناً لأية معايير .

الغطرسة الاميركية

لاحظوا ، أين الخليج الفارسي من سلطة حكومة الولايات المتحدة الاميركية ؟ لقد رأى المسؤولون الاميركيون مصالحهم في هذه المنطقة رغم بعد المسافة ، من غير أن يعيروا اهتماماً لكون هذا الرأي مقبولاً لدىٰ العقلاء والمنصفين وعلماء الحقوق في العالم أم لم يكن ؛ لأنهم يعوّلون علىٰ قدراتهم الحيوانية كما يجري في الغابة ، ففي قانون الغاب لا يعترف الحيوان الأقوىٰ بوجود دار للحيوان الضعيف ولا يرىٰ له حرمة توجب عدم اختراقها ، وإنما ينظر إلى قوّة براثن نفسه .

ليس هناك من مانع يقف بوجه القوىٰ المتغطرسة . وهذا هو النظام العالمي الجديد الذي يعتقدون بوجوب سيادته علىٰ العالم ؛ أي أن تكون هناك امبراطورية واحدة يحكمها الاقوىٰ ؛ فمن هي الدولة الأكثر قوّة من حيث المادة والسلاح والعدة والامكانات والثروات ؟ تلك الدولة التي تدّعي وجوب الوقوف علىٰ رأس تلك الامبراطورية ، أما الآخرون فلكل بحسب مكانته وفقاً لسلسلة المراتب ، انحداراً إلى قاعدة الهرم حيث لا حرمة هناك ولا كرامة ، لا للشعوب ولا للدول ؛ فالآخرون هم الذين يتخذون لها قراراتها ويرسمون لها مسارها

وينهبون ثرواتها ويطؤون أرضـها ويـقيمون لأنـفسهم فـيها قـواعـد عسكرية .

وفي خضم هذه المعمعة يجب علىٰ كل شعب يريد حياة انسـانية مستقلة وصيانة حقوقه أن يتأهب للدفاع عن ذاته ، ولابد له من التأهب ليخمش ـ عندما تقتضي الضرورة ـ وجه العدو باظفاره ليثنيه عن غيّه ويدفعه إلى الندم علىٰ فعلته ؛ وهذا ما يوجب علىٰ القوات المسلحة أن يكون لها مثل هـذا الاسـتعداد عـلىٰ الدوام لكـي يشـعر ذلك الشـعب بمقدرته علىٰ الصـمود ، وليشـعر القـادة السـياسيون فـي ذلك البـلد بقدرتهم علىٰ المقاومة والرفض .

مؤامرات الاعداء وتمنياتهم

لقد بلغت ثورتنا الاسلامية الكبرىٰ ، هذا الإعصار العـاصف الذي زعزع قصـور الجور في العـالم ، مـرحـلة مـن النـضوج اليـوم زرعت الرعب في أعماق وجود الكيان الاستكباري . وكان الخوف مـن هـذه الثورة قد دبَّ إلى نفوسهم منذ بداية انطلاقها ، إلّا إنهم كانوا يسـلّون أنفسهم بأمل أنها لن تبقىٰ وسيكون مصيرها الزوال ، فما إن انتصرت الثورة حتى أمّلوا أنها لن تبقىٰ أكثر من ستة أشهر ، ثم قالوا بعد إنها لن تصمد أكثر من سنتين ، وتصوروا بعد بدء الحرب المفروضة أنه لن يمضي وقت طويل حتى تستسلم الثورة ، وطفقوا يقدّمون العون للمعتدي من كل جانب ، ولكنهم لاحظوا أن ايـران الاسـلامية وقـفت بعزم وصلابة كالطود الشامخ ، ودحرت المعتدين بدون السماح لهم بتحقيق مكسب واحد في ارضنا ، وحافظت علىٰ حدودها بكـل فـخر ومجد ، ولم يكن هذا بالأمر الهيّن .

إلّا إنهم استمروا يمنّون أنفسهم قائلين إن حالة الحرب كانت تثير المشاعر ولهذا لم نستطع القيام بأي عمل ، غـير أنـنا سـنرغمهم فـي

مرحلة البناء على التبعية لنا ، والتراجع عن منهجهم والشعور بالسأم والملل من الثورة . ومرّت ثماني سنوات من البناء استطاع خلالها الناس المخلصون المؤمنون تقديم الكثير من العطاء لبلدهم بكل اقتدار وبدون الاعتماد على الأجانب ، حتى غدا اولئك في هذا الميدان العظيم من القادة الكبار ، وكانت النتيجة أن الاعداء اخفقوا في مرحلة البناء أيضاً عن ربط هذا البلد بعجلة سياستهم ، وجرّبوا كل السبل والوسائل لكنهم فشلوا فيها جميعاً .

والحقيقة هي أن الاجهزة الاستكبارية قد امتلأت اليوم بكل وجودها خوفاً ورعباً من هيبة هذه الثورة الكبرى ، ومن هذا الشعب العظيم الذي صمد تسع عشرة سنة رغم كل هذه المصاعب .

وأنتم لاحظتم بأم أعينكم كيف أحيى هذا الشعب ذكرى الثورة في الثاني والعشرين من بهمن هذا العام ، ورأيتم كيف يمجّد هذا الشعب معالم ثورته ، وشاهدتم كيف يكرّم شبابنا وجامعيّونا وعمّالنا وكل طبقات شعبنا شعائر الدين ومظاهر العبادة ، على الرغم من كل المساعي التخريبية للأعداء . وقد شاهد العدو هذه المظاهر وشاهد اعتكاف الطلبة الجامعيين في مسجد الجامعة ، ورأى المساجد مليئة بالمعتكفين وأكثرهم من الشباب ، فامتلأ رعباً .

هذه الأبعاد كلها انعكاس لعظمة هذه الثورة وعظمة هذه الرسالة وعظمة الإمام الراحل .

السبيل الوحيد للعدو

بقي أمام العدو اليوم سبيل واحد هو الحصار الاعلامي ، فيجب الالتفات إلى أن هذا الحصار هو السبيل الوحيد الذي يريد العدو تجربته بكل ما أوتي من قوّة ، وأنه قد حشد مئات الاذاعات والصحف والمجلات والتلفزيونات وشتّى انواع وسائل الاعلام في العالم كله

ضد الثورة ومفاهيمها ، وهم يعملون حالياً لمضاعفة هذا النشاط ، فما هو الهدف من وراء ذلك ؟ الهدف هـو زعـزعة تـمسك الشـعب بـهذه الركيزة الايمانية الحصينة ، وهو طبعاً جانب بالغ الأهمية .

اعلموا أن المقاتل حينما ينهزم أمام العدو في جبهة الحرب ، فـإن السبب في هزيمته يُعزى إلى وجود انكسار داخلي فيه . ولكن كـيف تتسرب الانهزامية إلى روح الانسان وإلى قلبه ؟ ذلك حـينما يـتزعزع إيمانه طبعاً . وما صمود شعبنا في كافة الميادين حتى يومنا هـذا إلّا بسبب ما يتصف به من ايمان راسخ . هذا حال عامة الشعب بمن فيه من الفتيان والشـباب والآبـاء والامـهات ، إلّا ثـلّة مـن حـثالات العـهد البهلوي العفن ممّن قد غرق في الفساد ولا صلة لهم بالدين ، ولا إيمان لهم حتى اليوم لا هم ولا بعض ذويهم ، وكل ما رأيتموه أو سمعتم به من معارضة للدين إنما مصدره مثل هؤلاء الأشـخاص ، بيد أن قلوب عموم أبناء شعبنا تتسم بالإيمان الراسخ .

أما الشيء الذي تتخذه هذه الدعاية والحصار الاعلامي هـدفاً لهـا فهو هذا الإيمان ؛ بمعنىٰ أنهم يرمون إلى زعزعة هذا الإيـمان والنـيل منه ، بواسطة الدعاية الكاذبة والزيف والمعلومات الخبيثة المـغرضة عن الدين وعن الثورة وعن الشخصيات ، وعـبر قـلب الحـقائق وبث التحليلات المغلوطة إلى الشعب وإلى الشباب خاصة . هذا هو دأبـهم اليوم؛ وليس كلامي هذا من باب الحدس والتخمين بل عن علم ويقين .

لديَّ معلومات عمّا يـجري وراء الابـواب فـي هـذا العـالم ؛ فـلدينا والحمد لله اجهزة معلومات قوية وذات إعداد عال بحيث نستطيع أن نطّلع من خلالها علىٰ ما يجري في العالم ، وذاك هـو مـا يـجري فـي العالم حالياً . أضف إليه أن بعض مجريات الأمـور أعـلنوا عـنها هـم بأنفسهم صريحاً واتضحت حقيقة مقاصدهم ومآربهم من بين ثنايا تلك التصريحات .

ضرورة الاعداد العسكري

من الطبيعي أنكم كلما كنتم أقوىٰ كان ذلك أفضل لحفظ هذا البلد واستقلاله الحقيقي الذي ناله بفضل ثورته الاسلامية . لا ينبغي لكم الوقوف عند حد معين في تقوية الروح المعنوية لديكم وفي تقوية الاستعداد الفكري والاداري والتزود بالمعدات والآلات . تجهزوا بكل ما يستلزمه أمر الجيش ، وحافظوا جهد المستطاع علىٰ الوحدة بين مؤسسات ومفاصل القوات المسلحة ـ التي تتألف في بلدنا من مؤسسات الجيش ، وحرس الثورة الاسلامية ، وقوىٰ الأمن الداخلي ، وإلى جانبها قوات التعبئة الشعبية ـ فالوحدة ركيزة القوة ؛ وإن من أكبر أسباب اقتدار القوات المسلحة هي وحدتها . هناك بين المؤسسات حدود فاصلة ، ولكن ينبغي أن يكون فيما بينها تلاحم وترابط معنوي وأخوي مطلق .

علىٰ كافة القوات المسلحة في البلد أن تقوّي ما أمكن نظم بنائها ومعداتها وامكاناتها القتالية ومعنوياتها وشتىٰ أسباب الاقتدار ، وتكثر من التجربة والتمرّس ليكون للشعب اقتدار حقيقي . يتصور السذّج في العالم أن القوة العسكرية تكمن في انفاق الأموال وشراء المعدات ، لكن الحقيقة أن من أعظم البلاء أن تضطر المؤسسة العسكرية للتوجه نحو الآخرين لتوفير المعدات لنفسها .

عليكم أن تعززوا ـ كما فعلتم حتى الآن ـ الروح المعنوية في ذاتكم ؛ فقواتنا المسلحة استطاعت حتى الآن بحمد اللّه أن تحقق تقدماً ملموساً في مختلف المجالات .

كان من المستحيل أن يصدّق المطّلع قبل عشرين سنة ـ أي قبل انتصار الثورة ـ لو قيل له إن القوات المسلحة الايرانية ستتمكن بعد عشرين سنة من صناعة معداتها بنفسها . وإنما كانوا يقولون نشتري المعدات بالأموال ، شأنهم في ذلك شأن أبناء الذوات الذين لا يجيدون

القيام بأي عمل . النقود في أيديهم ينفقونها هنا وهناك بـلا حسـاب ، ويحسبون أنهم يعيشون حياة العزّة .

العزّة الحقيقية لمن يعتمد على ذاته . العزة الحقيقية اليوم لقواتنا المسلحة التي تستطيع أن توفر معداتها لنفسها بنفسها .

كانت الحرب أكبر تـجربة لنـا طـيلة ثـماني سـنوات ، وعـليكم أن تحافظوا جيداً على ما اكتسبتموه فيها . أما ما تفتقدون إليه فعليكم أن توفّروه . إن للجوانب المادية شأنها ، إلّا إن الآفاق المعنوية أكثر أهمية مـن الماديات . عـليكم بـالتحلّي بـالآفاق المـعنوية والعـمل الصـالح والتوكل على اللّه والارتباط الوثيق فيما بينكم ، والاهتمام ببناء النظام في القوات المسلحة .

الهوية الحقيقية للقوات المسلحة

تتلخص الهوية الحقيقية للقوات المسلّحة في متانة نظمها ؛ فالقوات المسلحة العارية من النـظم المـتين إنـما هـي مـجرد حشـود بشـرية لا قيمة قتالية لها ، كما أن الأساس في ذلك البناء المتين ـ الذي تتصف قواتنا المسلحة بالتجديد فيه أيضاً ـ هو الانضباط والأُخوة ، وسلسلة المراتب ليست تمييزاً . هـذه الجـوانب لهـا أهـمية بـالغة . لقـد جـاءت ابـتكاراتكـم والمـنجزات الكـبرى لقـواتـنا المسلّحة بـفضل الثـورة والإسلام ، وعليكم بـالعمل جـهد اسـتطاعتكم لتـعميقها وتـوسيعها ، وسيحذو الآخرون حذوكم متعلمين منكم .

سيكون جيش الجمهورية الاسلامية الايرانية إن شاء اللّه بالشكل الذي يـجعل بقية الجيوش تستفيد من تجاربه في مـختلف المـجالات لتطوير بنيتها ، وليس ذلك اليوم ببعيد ولا هو بعجيب ، وسيتحقق عن قريب بإذن اللّه . واعلموا أنكم ستصبحون قـدوة تـحتذي بكـم بـقية جيوش العالم في مجال الأجواء التـي نشأتـم بـها، والتـوجهات التـي

تتحركون في ضوئها ، ينبغي لهم أن يأتوا ويتعلموا منكم النظم وكيفية التحرّك والعمل .

يجب عليكم مواصلة السير بنفس هذه النيّة وهذا الدافع ، وعليكم بالسعي ما استطعتم لتكامل ذاتكم ، واستعينوا على أموركم بالله تعالىٰ ، عساه تعالىٰ أن يوفقكم وينزل رحمته عليكم ويشملكم برعايته ، وأن يشمل تعالىٰ برحمته الواسعة إمامنا الراحل الذي يعتبر هذا الكيان من بركات وجوده وتدبيره .

قال أمير المؤمنين (ع) :

السَّيفُ فاتِقٌ والدِّينُ راتِقٌ ، فالدِّينُ يأمُرُ بالمعروفِ والسَّيفُ ينهىٰ عنِ المنكرِ . قالَ اللهُ تعالىٰ : « ولكُم في القِصاصِ حياةٌ » .

(غرر الحكم)

دراسات

البحث القرآني عند المسيحيين

السيد
محمد علي الأبطحي

إن التعرف على أبحاث ودراسات المفكرين والمحققين المسيحيين حول القرآن الكريم مهمٌ ومفيد في مجالين اساسيين :

المجال الأول : معرفة الرأي الآخر ونظرياته عن الاسلام وكتابه الكريم ورسوله الصادق الامين .

المجال الثاني : تشخيص موارد الشبهة التي يقع فيها امثال هؤلاء المفكرين والمحققين عندما يبحثوا في ذلك .

وهذه الدراسة في القرآن الكريم وعلومه واحدة من تلك الدراسات ، كشفت عن رأي أحد المحققين المسيحيين ، وتجلّت فيها مجموعة من الشبهات لم يكن بدّ لنا من الاشارة إلى أهمها والرد عليها في الهامش بما تسع له هذه الدراسة .

« التحرير »

بدأ التحقيق فى العلوم القرآنية ، والغور فى معارف هذا الكتاب السماوي عند المفكرين والمحققين المسيحيين ، منذ أمد بعيد نسبياً ، وتبنى عدد من المستشرقين التحقيقات القرآنية تبعاً لطبيعة مطالعاتهم فى الثقافة الشرقية والاسلامية ، فيما خاض آخرون غمار التحقيق فى القرآن ككتاب مقدس لِتَخَصُّصِهم فى مجال العلوم الاسلامية والدينية . والأهم من كل ذلك هو دراسة المعارف القرآنية من قبل رجال الكنيسة بهدف التقريب بين الاديان الالهية ، والتعمق إلى جوهر الاديان . وهو انجاز لم يحققه آباء الكنيسة

إلّا ما ندر .

ويستحق مثل هذا الاعتراف لأتباع الاديان الاخرىٰ التي سبقت الاسلام كل ثناء وتقدير ؛ لأنه اعتراف بقداسة القرآن والاسلام ، وهو يعني فيما يعنيه الاقرار بأن ظهور الاسلام نسخ الاديان التي سبقته ، أو جاء مكملاً لها علىٰ الاقل .

ورغم أن البحوث الرئيسية للعلوم القرآنية صدرت في معظمها عن المحققين المسيحيين في اوربا وأميركا ، افلح المفكرون ورجال الدين المسيحيين في الشرق والمنطقة العربية ، الذين ادلوا بدلوهم في ابداء الرأي حول القضايا الاسلامية والقرآنية ، أفلحوا في اعطاء آراء اكثر عمقاً من اقرانهم ؛ لأنهم لمسوا الاسلام عن قرب ، وتبحروا في حقائقه ضمن اجواء الثقافة الاسلامية نفسها ، وبالتالي كانوا في منأىً عن الكثير من الاتجاهات الفكرية الغربية .

ومن المفكرين والعلماء المسيحيين الذين بذلوا وقتاً وجهداً كبيرين في مجال التحقيقات القرآنية ، الاب يوسف درة الحداد ، إذ أثمرت جهوده عن عدة مجلدات في العلوم القرآنية .

ولد الاب يوسف الحداد سنة ١٩١٣ م ، في احدىٰ قرىٰ القدس ، وانصرف منذ اوائل عمره إلى تلقي العلوم الدينية المسيحية ؛ وبعد أن أنهىٰ دراسته في كلية القديس حنا التبشيرية في القدس سنة ١٩٣٩م ، أُوفد إلى حمص في سوريا وإلى بعلبك في لبنان لمدة خمس سنوات للقيام بمهام تبشيرية .

أبدىٰ منذ بواكير سنه الدراسي اهتماماً بكسب العلوم القرآنية ودراسة المعارف الاسلامية ، وتعرّف علىٰ المزيد من الحقائق عن الاسلام بتأثير حوزة نشاطه في حمص وبعلبك ، حيث يكثر المسلمون فيها ، وآمن بأن الاديان الالهية تنطلق من جوهر واحد ، وأنه لابد من القيام بدراسات متبادلة بين الاديان للغوص في أعماقها

الفكرية .

وفي تلك الايام أصدر الرئيس السابق لمجلس الشعب المصري مصطفىٰ المراغي بياناً ، دعا فيه المؤمنين من كافة الطوائف الدينية ، إلى المشاركة في اقامة صرح الحضارة الدينية المرتكزة علىٰ الفكر الالهي ، من خلال تعرف بعضها علىٰ الآخر ، فاستجاب الاب يوسف الحداد لهذه الدعوة ، وبدأ بحوثاً واسعة استمرت عشرين عاماً ، انصرف فيها إلى القراءة والتحقيق والتأليف ، ليخرج علىٰ المفكرين والمثقفين المسلمين والمسيحيين بثلاث دورات هي :

١ ـ دروس قرآنية ، وتتألف من أربعة مجلدات تشكل بمجموعها ٢٠٢٢ صفحة من القطع الوزيري .

٢ ـ في سبيل الحوار الاسلامي المسيحي ، في ستة مجلدات ، طبع منها اثنان فقط حتىٰ الآن .

٣ ـ دراسات انجيلية ـ مصادر الوحي الانجيلي ، في تسعة مجلدات ، طبع منها اربعة فقط .

● تعريف بسلسلة الدروس القرآنية

١ ـ الانجيل في القرآن : وهو الجزء الاول من مجموعة دروس قرآنية ، وينتظم الكتاب في ثلاثة فصول ، ومقدمة يشير فيها إلى أن ما جاء في القرآن الكريم حول المسيح والانجيل والنصارىٰ ، أمر يبعث علىٰ الفخر بين المسلمين والمسيحيين ، وأن من الضروري أن يطلع عليه كل المؤمنين بالله واليوم الآخر ، ويقول إنها حقيقة اراد نقلها إلى ابناء منطقة المشرق العربي التي يسكنها المسلمون والمسيحيون معاً ، ويدعو ابناء كل طائفة إلى التعرف علىٰ الكتاب المقدس لدىٰ الآخر ؛ من أجل التقارب بين الطائفتين ، دون أن تقترن تلك الدعوة بالحث علىٰ اعتناق الدين الآخر .

الفصل الاول من الكتاب جاء تحت عنوان القرآن والكتاب ، ويتضمن المباحث التالية : موقف القرآن من الاديان ، واشتراك الرؤية بين القرآن والكتاب المقدس حول التوحيد ، والقرآن ونسخ التوراة والانجيل ، وشهادة القرآن بصحة الكتاب المقدس في عهد نزوله ، واعتقاد القرآن بتحريف الانجيل ، واستحالة تحريف الكتب المقدسة ، ومكانة الكتب المقدسة وخاصة الانجيل في القرآن ، وموقف القرآن من اهل الكتاب .

وتركز البحث في هذا الفصل حول اعتراف القرآن بقداسة الكتب المقدسة واهتمامه بها وبخاصة الانجيل ، حيث استعرض جميع الآيات القرآنية حول الانجيل والكتاب المقدس واهل الكتاب .

الاشكالية الرئيسية في هذا الفصل تحوم حول بحث التحريف ، فلقد جمع كل الآيات التي تدور حول التحريف أو كتمان الحقائق في الانجيل ، واجاب عليها بصورتين :

- الاولى ؛ أنه يعتقد أن جميع آيات التحريف حول الكتب المقدسة مدنية ، ويستدل بأن بحث التحريف لم يكن قديماً وإنما طرح في المدينة بسبب الصدامات بين اليهود والمسلمين ، وأن المراد بتحريف الكتب المقدسة هو تحريف التوراة وليس الانجيل .

الثانية ؛ أنه استعرض الآيات واحدة فواحدة ، وطرح مسوغات لتوجيه كل آية ، ويبدو أن معظم هذه المسوغات غير مقبولة ، إلّا أن أهمية الموضوع تكمن في الاطلاع على رؤية مفكر مسيحي ازاء هذه المسألة .

الفصل الثاني من الكتاب حمل عنوان مريم أم المسيح في القرآن ، وأشار المؤلف في مستهل البحث إلى النصوص القرآنية الواردة في مريم ، واستنتج في ختام البحث أن القرآن اعتبر مريم العذراء آية لله في ستة جوانب ، فهي آية في الاصطفاء وفي الولادة وفي الطفولة

والشباب وفي معجزة الحمل وفي ولادة المسيح وفي مواكبة ولدها المسيح في طفولته وفي حياتها وشخصيتها .

خصص المؤلف الفصل الثالث من الكتاب للمسيح في القرآن ، وبدأه ايضاً بذكر النصوص القرآنية ، ثم تبع النصوص بالتحليل الذي أشار في بدايته إلى الصورة الرائعة التي رسمها القرآن الكريم في سورة مريم للمسيح ، من خلال وصفه باوصاف تفوق جميع الانبياء[1] ، فضلاً عن عامة الناس : ﴿ولنجعله آية للناس ورحمة منا﴾ .

ثم يشير المؤلف إلى الآيات القرآنية حول عيسىٰ في ولادته وشبابه ورسالته ، ويخصها ببحوث واسعة يضيف إليها شواهد من الانجيل .

وفي ختام كتابه اورد المؤلف ثلاثة بحوث مستقلة ، بدأها بمسألة ألوهية المسيح في القرآن ، واعتبرها نقطة الخلاف الرئيسية بين الاسلام والمسيحية ، واعتقد في الوقت نفسه أن هذا الخلاف ظاهري وليس جوهرياً ؛ لان الالوهية التي يرفضها القرآن ـ حسب رأيه ـ ليست تلك الالوهية التي نسبت إلى المسيح في الانجيل ، والتثليث المسيحي لا يقصد منه التثليث الذي جاء في القرآن ، وأن الالقاب التي ذكرها القرآن للسيد المسيح هي اقرب للخالق منه إلى المخلوق .

ولهذا أفرد المؤلف بحثاً موسعاً مهماً حول التثليث والالقاب الالهية للمسيح في القرآن ، وقارن ذلك ببعض المعتقدات الاسلامية مثل وحدة الوجود ، وببعض فقرات الانجيل ، واورد مبررات لغوية لها .

وكتب اخيراً فصلاً في موقف اهل الانجيل من القرآن ونبي الاسلام ، ذكر فيه آيات الانجيل حول القرآن والنبي ، واحترام المسيحية للاسلام والنبي محمدﷺ منذ بداية البعثة ، وخلص في البحث ايضاً إلى أن القرآن وقف موقف الاحترام من الانجيل والسيد المسيح .

(١) هل يقصد أن اوصاف عيسىٰعليه السلام تفوق اوصاف جميع الانبياء اطلاقاً، أم باستثناء النبي محمدﷺ؟ وعلىٰ الاول لو كان الكاتب ينطلق من القرآن الكريم فيما يقرره من حقائق، لوجد أن افضل من وصفه القرآن من الانبياء اطلاقاً هو النبي محمدﷺ . من ذلك وصفه تعالىٰ في قوله الكريم : ﴿وإنك لعلىٰ خلق عظيم﴾ القلم : ٤ . «التحرير»

٢ ـ بيئة القرآن الكتابية : وهو الجزء الثاني من سلسلة دروس قرآنية ، ويقع في ٢٨٤ صحفة و ١٢ فصلاً .

ابتدأ حداد كتابه هذا بالبحث في تاريخ نزول القرآن ومحيطه ، وحمل الفصل الأول عنوان الاديان الموجودة في الجزيرة العربية في زمن البعثة ، واشار فيه إلى الوضع الاقتصادي لشبه الجزيرة العربية، وموقعها الاستراتيجي باعتبارها حلقة الوصل بين الشرق والغرب والشمال والجنوب ، ويناقش المؤلف التوحيد التوراتي في الحجاز وجزيرة العرب ، ثم يعكف على دراسة تاريخ اليهود ووضعهم ايام البعثة النبوية ، ويعتقد أن الكثير من اليهود كانوا على دين موسىٰ مؤمنين بالتوحيد التوراتي دون أي انحراف .

وخصص الفصل الثاني للحديث عن النصارىٰ في ديار العرب ، وبحث فيه بداية النصرانية ونموها في المجتمع العربي ، واشار في بحث منفصل إلى تاريخ نصارىٰ العرب الغساسنة ، واللخميين في الحيرة وفي جنوب الجزيرة العربية واليمن والحجاز ومكة والمدينة . وكان غسان ملكاً رومياً أسس دولة نصرانية من دمشق إلى اواسط شمال الجزيرة العربية اواخر القرن الميلادي الثالث ، والغساسنة اسم لنصارىٰ تلك الفترة .

والنصارىٰ اللخميون من اتباع ملك من آل لخم حكم شمال شبه الجزيرة العربية ، عاصر الساسانيين سنة ٢٢٦ م .

عبادة الاصنام في الحجاز هو العنوان الذي حمله الفصل الثالث من الكتاب ، وفيه يعتقد المؤلف أن العرب كانوا لدىٰ مجيء الاسلام عباد اصنام في اللفظ موحّدين في المعنىٰ ؛ لأن عبادة الاصنام جاءت من خارج الجزيرة العربية ، وأن من اسماء اصنام العرب اللّه والرحمن والرحيم ، وهي اسماء وردت في القرآن ، وإنما وضعوها ايماناً منهم باللّه وتوحيداً له .

واستدل الكاتب في الفصل الرابع الذي دار حول شرك العرب في القرآن بنفس الطريقة التي استدل بها في الفصل السابق .

وفي الفصل الخامس تطرق بالتفصيل إلى شعر الجاهلية ، واعتبر أن روح الشعر الجاهلي اقرب إلى التوحيد منه إلى الشرك .

وانطوىٰ الفصل السادس علىٰ بحث تاريخي مهم ، حيث ذكر المؤلف الدعوات التوحيدية المستقلة التي سبقت الاسلام في المجتمع العربي وهي عبارة عن : عبادة رب السماوات في اليمن ، وعبادة الرحمن في اليمن واليمامة والحجاز ، وعبادة اللّٰه في مكة والحجاز ، وعبادة الرحيم عند عرب الشمال ؛ وعبادة رب البيت في الكعبة ، وعبادة رب العالمين في تدمر ، وعبادة اللّٰه اكبر في المجتمعات السامية والارمنية والعربية .

تطرق الاب يوسف درة الحداد في الفصل السابع من كتابه الثاني من سلسلة دروس قرآنية إلى تاريخ المصلحين الموحدين العرب قبل الاسلام ، واشار فيه إلى تاريخ الحكماء والشعراء والمصلحين والانبياء الموحدين العرب .

وافرد الكتاب فصلاً مستقلاً هو الثامن للحركة الحنيفية ؛ ويعتقد الكاتب أنها كانت حركة توحيدية ذات نفوذ وقدرة في الحجاز ومكة قبل الاسلام وكانت ميول اتباعها نصرانية[٢] ، ويرىٰ أن الاسلام اهتم في كتابه السماوي بالحنيفية .

وخصص فصله التاسع للحديث عن العلاقة بين الاثنين الاسلام والحنيفية ، واعتبر أن اطلاق اسم الامة الوسط علىٰ الحنيفية هو تنظيم لها ودمجها في الاسلام .

الفصل العاشر من الكتاب تناول موضوع موقف النبي من الاديان في الجزيرة العربية ، وبحث فيه عهد النبي قبل البعثة ، ثم قسّم الفترة التي عاشهاﷺ في مكة إلى ثلاثة عهود هي التأثير علىٰ المسيحية،

(٢) إن الحنيفية هي ملّة إبراهيمعليه السلام، ولم تكن لها ارتباطات وجذور نصرانية ولا يهودية، لقوله تعالىٰ في قرآنه الكريم : ﴿وقالوا كونوا هوداً أو نصارىٰ تهتدوا قل بل ملّة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾ البقرة: ١٣٥، وقوله تعالىٰ: ﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين﴾ آل عمران: ٦٧. ولو كانت هناك مشتركات مع النصرانية فهي مع الاصل الحق دون المحرّف منها. «التحرير»

وعهد التأثير على اليهود والتقدم نحو الاستقلال الديني ، وعهدان في المدينة هما تأسيس الامة الوسط والدفاع المسلح عنها ، وانتشار الاسلام بالفتوحات العسكرية .

اختص موضوع الفصل الحادي عشر بمصادر القرآن ، وتوزيع الفصل على ثلاثة بحوث : اولها : التصريحات التي وردت في القرآن - حسب مدعيات المؤلف - والتي يستنتج منها أنه يعتمد على مصادر سابقة . واورد اثني عشر تصريحاً هي القرآن في زبر الاولين ، أي في كتبهم ، والارتباط باهل الكتاب ، وتحقيقات الكتاب المقدس ، والاستشهاد باهل الكتاب ، وأن القرآن يعتبر اهل الكتاب كأبنائه ، والقرآن تفصيل الكتاب ، والقرآن يعترف بأن الكتاب كان امامه ، وأن النبي يجب أن يهدي على اساس هدى الكتاب ، ووجود علاقة بين الذكر الجديد والقديم ، وكذلك وجود رابطة بين الدين الجديد والقديم ، وأن وحدة الاديان في الاعتقاد بالله بمعنى وحدة الارتباط بين الاديان ، واخيراً فإن وحدة الكتاب المنزل تأكيد على علاقة هذا الكتاب بسائر الكتب المقدسة[٣] .

وفي بحثه الثاني من الفصل الحادي عشر حول مصادر القرآن ، ميّز الكاتب بين تصريحات القرآن واتهامات المخالفين الذين اعتبروا القرآن استنساخاً لكتب الانبياء وما إلى ذلك ، وذكر تلك التهم واحدة واحدة واورد دلائل الرد عليها .

وارتبط البحث الثالث بكيفية تنزيل القرآن الذي أُنزل بعلم الله وبواسطة الوحي ، واعتبره دليلاً قاطعاً على أنه نزل من عند الله .

واختص الفصل الثاني عشر بتاريخ جمع القرآن وحفظه تحت عنوان معجزة حفظ القرآن ، واورد فيه المباحث التاريخية المعروفة حول جمع القرآن التي جاءت في كتب العلوم القرآنية .

واختتم المؤلف كتابه بالبحوث التالية : ترجمة الكتاب والانجيل

(٣) إن الارتباط بين القرآن الكريم وسائر الكتب السماوية السابقة، كالانجيل والتوراة، هو ارتباط وحدة المُرسِل والوحي، وهو إنما يكون كذلك مع الكتب الحقّة التي انزلها على انبيائه لا المحرّفة من بعدهم؛ ويمتاز القرآن الكريم في مقامه الالهي على سائر الكتب السماوية الحقة التي سبقته قبل تحريفها، بأنه مصدِّقاً لها ومهيمناً عليها؛ لقوله تعالى في قرآنه الكريم: ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدِّقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع اهواءهم عمّا جاءك من الحق ... ﴾ المائدة: ٤٨. «التحرير»

إلى العربية قبل نزول القرآن ، واميّة النبي حسب ما ورد في الآيات والآحاديث ، والتأثيرات السلبية والايجابية للكتاب المقدس على البحوث القرآنية ، والتوحيد الفلسفي الكتابي في الشرق ، والتوحيد الفلسفي الافلاطوني الجديد ، وتوحيد اهل مكة المقارب للتوحيد الاسلامي .

٣ ـ اطوار الدعوة القرآنية : هذا هو عنوان المجلد الثالث من السلسلة ، وبحث فيه بالتفصيل سير تطور الدعوة إلى الاسلام في القرآن ، وقسّم المؤلف في مقدمته مسار الدعوة القرآنية إلى خمسة اقسام :

الاول : العهد المكي الاول الذي نزلت فيه ـ على حد اعتقاده ـ السور القصيرة ، التي تنذر بالوعد والوعيد بما ينسجم مع بيئة المجتمع العربي يومذاك .

الثاني : العهد المكي الوسيط الذي هاجر فيه عدد من المسلمين إلى الحبشة والطائف ، وحلّ عنصر جديد ليشكل محور السور القرآنية ، وهو القصص القرآني الذي يتحدث عن سيرة الانبياء الماضين والاعتبار بها في الدعوة إلى التوحيد .

الثالث : وهو الاخير ، يقع بين الهجرتين إلى الطائف والمدينة . وهو العهد الذي فكرّ فيه النبي باستقلال المسلمين ، وقد استفاد فيه القرآن من الامثلة التي كان يستشهد بها الانجيل .

وبعد هذه العهود تبدأ مرحلة المدينة ، إذ تبدلت دعوة الاسلام من كونها دعوة دينية إلى دولة دينية ، وتغيرت دعوة الآيات القرآنية تبعاً لذلك من الدعوة إلى الدين إلى الدعوة إلى الدولة ، وعالجت الآيات المدنية في معظمها فكرة بناء الدولة الدينية ، وتحديد اركان الاسلام داخل هذه الدولة لتتبلور تدريجياً الشريعة الاسلامية ، فيما تنطلق خارجها ألوية الجهاد والحروب المقدسة .

يرىٰ المؤلف أن ثمة عهدين لنزول القرآن في المدينة :

الاول : عهد الدفاع المسلح ، حيث أسس القرآن بصورة مستقلة عن اهل الكتاب الامة الوسط بين اهل الكتاب والمشركين .

والثاني : تأسيس الدولة الاسلامية ، واستمر من صلح الحديبية إلى وفاة النبيﷺ ، وتضمّن بدء الغزوات المسلحة علىٰ مختلف الجبهات(٤) .

بعد المقدمة ، خصص المؤلف الفصل الاول للبحث في الترتيب التاريخي للقرآن ، ناقش فيه ضوابط هذا الترتيب ، والتباين في الرأي بين المؤرخين المسلمين والمستشرقين في هذا الموضوع .

الفصل الثاني من الكتاب تناول النظم القرآني عبر عدة بحوث ، واعتبر الاعجاز البياني هو الدليل الاهم علىٰ الاعجاز القرآني ، وهو الجزء المتمم للاعجاز علىٰ مستوىٰ المحتوىٰ والمضمون .

ثاني بحوثه في هذا الفصل دار حول كيفية تنزيل الوحي . وبحث فيه النزول هل كان للفظ القرآن أم لمعناه ، مع ذكر الآراء المختلفة لعلماء الاسلام في ذلك ، فقد اعتقد البعض أن ما نزل به جبريل هو اللفظ ، واعتقد آخرون أن ما نزل هو المعنىٰ فيما كان جبريل ينتخب اللفظ المناسب ، ورأىٰ غيرهم أن ما نزل علىٰ النبي هو المعنىٰ وكانﷺ هو الذي يحدد اللفظ ، واستنتج المؤلف أن أياً من هذه الآراء لا ينافي نظرية الاعجاز لأن جميع الآراء تعني اعجاز اللّه أو اعجاز نبيه المستلهم منه تعالىٰ .

لغة القرآن هو موضوع البحث الثالث للفصل ، حيث يعتقد كاتبه أن لغة القرآن هي اللغة التي كان يتحدث بها النبيﷺ ، وهي اللغة العربية القرشية ، ونقل قول العلماء المسلمين بوجود مصطلحات من ٥٠ لغة في القرآن ، مستشهداً لاثبات نظريته بدلالات علم اللغة . أما من ناحية الصرف والنحو والقواعد فالآيات القرآنية تطابق ادبيات

(٤) الصحيح أن نُعنون هذه المرحلة بعنوان «انتشار الدعوة الاسلامية» في بلاد الجزيرة العربية وخارجها، لا بعنوان «الغزوات المسلحة علىٰ مختلف الجبهات» الذي يوحي بالشبهة الباطلة التي اطلقها المبشرون النصارىٰ والمستشرقون وروّجوا لها، وهي أن الاسلام إنّما انتشر بالسيف لا بالدعوة والدليل والحجة، وأن الغزوات المسلحة ما حصلت إلّا بسبب وقوف الزعماء والحكام الطغاة أمام الدعوة الاسلامية ومنع خطابها أن يصل إلى الناس. «التحرير»

قريش .

وانتظم البحث الرابع في موضوع العلاقة بين الآيات والسور ، وكيفية نزول القرآن وتأليفه .

ولفت البحث الخامس إلى ست نقاط في مبحث الاعجاز في نظم القرآن هي : في معرفة الوجوه والنظائر ، وفي الضمائر والتأنيث والتذكير ، وفي مقدمات الجمل ومؤخراتها ، وفي العام والخاص ، وفي المجمل والمبين وفي الاستفادة من الجمل التي يفهم في ظاهرها أنها متناقضة لكن معانيها واحدة ، وأخيراً في الآيات المتشابهات ، ومسألة المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ .

وترتبط البحوث السادسة والسابعة والثامنة بالنظم القرآني ايضاً ؛ فقد أشار الكاتب إلى السور الموزونة التي تستخدم الموسيقى الشعرية ، ثم جرى البحث في مسألة الشعر في القرآن ، وهل فيه شيء من ذلك أم لا ؟

وختم بحث النظم المنطقي للآيات بالحديث عن الاعجاز بين الانجيل والقرآن ، وأوضح أن في الانجيل اعجازاً معنوياً[٥] فقط ، دون أن يزعم احد وجود اعجاز في لفظه .

في الفصل الثالث يرى المؤلف أن العهد المكي الاول يمتد من عام البعثة (٦١٠ م) إلى هجرة المسلمين إلى الحبشة (٦١٥ م) ، حسب التقسيم التاريخي الذي تصوره للمرحلة المكية ، وذكر ٣٦ سورة تتعلق بهذا العهد ، معتقداً أن هذه السور جميعها تحمل رسالة قصيرة تتضمن وعداً ووعيداً من الآخرة ، وهي مستلة من عادات بيئة المجتمع العربي .

واعتبر أن النبي والقرآن كانا يهتمان في العهد الاول ـ الذي اطلق عليه اسم العهد المسيحي ـ بالآداب والسنن المسيحية ، وعلى حد قوله فإن دعوة القرآن في هذه البرهة كانت اقرب إلى الدعوة

(٥) إنما يصح هذا في الإنجيل الحق الذي أنزله الله على نبيه عيسى بن مريم عليه السلام ، لا المحرّف من بعده؛ وقد صرح القرآن الكريم بهذه الحقيقة في آيات كريمة كثيرة، منها قوله تعالى : ﴿ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكّروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون * يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيّن لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾ المائدة: ١٤ ـ ١٥، وقوله تعالى: ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنّى يؤفكون * اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون * يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون * هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ التوبة: ٣٠ ـ ٣٣، وقوله تعالى: ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويلٌ لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾ البقرة: ٧٩. «التحرير»

المسيحية من الفترات الأُخرىٰ ؛ لأن النبي ـ باعتقاد المؤلف ـ كان إلى ما قبل البعثة حنيفياً[٦] علىٰ كتاب المسيح ، ولأن الدعوة القرآنية في مراحلها الاولىٰ هي دعوة مسيحية من ناحية موضوعاتها إلىٰ الاصلاحات الاجتماعية ، وهي اخلاقية كالدعوة المسيحية ، وتؤكد علىٰ القيامة كثيراً كما في الدعوة المسيحية ، ولأن دعوة القرآن الاولىٰ دعوة مسيحية في شكلها كالدعوة إلى الزهد والتوبة والصلاة ، واخيراً لأن الاحداث التي تناولها القرآن في تلك الفترة كانت تتعلق بالمسيحية ، كالاستشهاد بنصارىٰ نجران في سورة البروج[٧] ، والإخبار عن انتصار الروم ـ وهم اهل كتاب ـ علىٰ فارس في سورة الروم ، وتفاصيل قصة مريم وولادة السيد المسيح في سورة مريم ، هذا مضافاً إلى أن اول حادث تاريخي للمسلمين هو هجرتهم إلى الحبشة التي كانت تؤمن بالديانة المسيحية ؛ واستناداً إلىٰ كل هذا أطلق المؤلف علىٰ هذا العهد اسم العهد المسيحي[٨] .

واطلق علىٰ العهد المكي الثاني اسم العهد الاسرائيلي ، وتميز بتأكيد القرآن علىٰ التوحيد المحض ، مصحوباً بالتعابير الشديدة العنيفة . واستطاع القرآن في هذه الفترة أن يوسع دائرته من المسيحية إلى التوراة ، ويستند إلى القصص المقبولة عند اليهود . ومرت آيات القرآن في أول هذا العهد بفترة انتقالية بين الانجيل والتوراة ، واستشهد المؤلف مستدلاً علىٰ رأيه بسور القمر و ص والاعراف والجن ويس وفاطر ومريم ، وبعدها جاء القرآن بقصص التوراة ، وسرد المؤلف ٢١ سورة مكية مع امثلة منها اعتبرها أدلّة علىٰ اثبات رأيه .

وعدّد بعض الخصائص علىٰ أنها من مميزات العهد الثاني ومنها :

اولاً : أن اسم القرآن جاء إلى جانب اسم الكتاب .

ثانياً : أنها فترة الدعوة إلى التوحيد الخالص ، ولهذا تطرق إلى

(٦) إن الحنيفية هي ملّة إبراهيم لقوله تعالىٰ: **﴿وقالوا كونوا هوداً أو نصارىٰ تهتدوا قل بل ملّة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾** البقرة: ١٣٥، وقوله تعالىٰ: **﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين﴾** آل عمران: ٦٧. (راجع الهامش٢). «التحرير»

(٧) السورة التي ورد فيها أمر نصارىٰ نجران هي سورة آل عمران الآيات ٦١ ـ ٦٤ وليس سورة البروج.

(٨) إن اطلاق اسم العهد المسيحي علىٰ العهد المكي الاول ـ كما هو مدعىٰ الاب يوسف درة الحداد ـ هو خلاف نسخ المسيحية بالاسلام، أما موارد الاشتراك المعنوي فإنما هي بين القرآن الكريم والانجيل والتوراة الحق لا المحرّفين؛ لأنهما يشتركان في وحدة المُرسِل مع امتياز القرآن عليهما بأنه مصدق لهما ومهيمن عليهما لقوله تعالىٰ : **﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدّقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه ...﴾** المائدة: ٤٨. (راجع الهامش ٣) «التحرير»

بحوث : دلالات التوحيد في القرآن ، واهتمام القرآن بالوجدان في الاستدلال التوحيدي ، وهل دلالات التوحيد من متشابهات القرآن ؟ وهل العلوم التكوينية القرآنية من المتشابهات ؟ .

ثالثاً : نزول القصص القرآنية في هذا العهد ، ولهذا بحث المؤلف الموضوعات التالية : الهدف من نقل القصص القرآنية ، واسلوب القصص القرآني ، والتكرار والاعجاز في القصص القرآنية ، وعلاقة القصص القرآنية بالبيئة الاجتماعية العربية واهل الكتاب في عهودهم، وهل القصص القرآنية من المتشابهات ؟ وهل في القصص القرآنية تناقض أم لا ؟ .

المرحلية المكية الثالثة وهي مرحلة العهد الوسط ، واعتبر أن السور القرآنية التي نزلت في هذا العهد يتعلق جزء منها بفتنة الارتداد عن الاسلام في مكة ، فيما عالجت سور أخريات توجيه الانذار الاخير للمكذبين ، واشار إلى تسع سور ترتبط ببحث الارتداد مستخرجاً ـ حسب منهجه ـ عناوينها وموضوعاتها ، وإلى احدىٰ عشرة سورة تتعلق ببحث الانذار الاخير بالطريقة نفسها .

وفي تعليقه علىٰ العهد المكي الثالث يحدد الكاتب ثلاثة وجوه للمرحلة : تحول المسلمين إلى امة توحيدية ، والبحث في الاستقلال عن اهل الكتاب ، والاهتمام بالامثال في القرآن .

وبعد أن أنهىٰ دراسته وتعليقاته علىٰ المراحل الثلاثة في مكة ، خرج بآرائه العامة حول القرآن المكي ، ومنها اعتقاده أن القرآن المكي اتبع نفس طريقة الانجيل في المصادر والموضوعات وطريقة الدعوة واسلوب الجدل ، واعتقاده ايضاً أن الدعوة القرآنية في مكة كانت بسيطة وليست لاهوتية ، وعملية وليست فلسفية ، واصلاحية وليست انشائية ، واخلاقية وليست تشريعية أو اعتقادية .

ومن العناوين التي أشار إليها ايضاً : مسألة تعلم النبي ، والقرآن

اسلوب جديد في النبوة والمعجزة ، وشخصية النبي في مكة ، والنبي والوحي ، والرسالة والرسول في مكة ؛ ليستنتج في النهاية أن القرآن المكي هو تعريب لتوحيد الانجيل[٩] .

وحسب تصنيف الكتاب تم تقسيم العهد النبوي المدني وسير نزول القرآن في هذا العهد إلى فترتين : الاولىٰ : عهد الامة الوسط ، والثانية : العهد الاسلامي .

واعتبر المؤلف أن الهجرة كانت ثورة في حياة النبي وفي سيرة الرسالة ، وبعد ان عدّ أسباب الهجرة أشار إلى مشاكل النبي الجديدة مع المدنيين ، ثم استعرض تأثيرات الهجرة علىٰ الرسول والرسالة . ومن المواضيع التي طرحها في هذا الفصل : الهجرة ثورة في السيرة الشخصية للنبي ، والوحي والتنزيل واسلوب الدعوة ، والانتقال من الدين إلى الدولة ، وطريقة الدعوة ، والاستقلال عن أهل الكتاب ، وتأسيس الدين الاسلامي للامة الوسط .

بعد مقدمته حول الهجرة أشار الكاتب إلى خصائص القرآن المدني . واعتبر أنه تميز باسلوب النظم الجديد واسلوب التشريع واسلوب تدوين التاريخ واسلوب المجادلة ، ثم رسم الخريطة التالية للسور القرآنية في العهد المدني (٦٢٢ م – ٦٣٢ م) :

العهد المدني الأول :

١ ـ مرحلة تأسيس الامة الوسط (وتبدأ من ١٢ / ربيع الاول ، الموافق لخريف ٦٢٢ م ، وتنتهي في ١٧ / رمضان من السنة الهجرية الثانية ، الموافق لآذار / مارس من سنة ٦٢٤ م) حيث نزلت سورة البقرة .

٢ ـ فترة صمود قريش التي استحكمت فيها حنفية اهل الكتاب (وتبدأ من بدر في آذار / مارس من سنة ٦٢٤ م ، وتنتهي بمعركة الخندق في شوال من السنة الهجرية الخامسة ، آذار / مارس من سنة

(٩) هذا في الواقع تنظير وتكرار لشبهات من سبقوه من المبشرين والمستشرقين، التي ردّها القرآن الكريم في آيات عديدة، منها قوله تعالىٰ في رد تعلّم الرسول ﷺ وردّ أخذه من النصارىٰ واليهود واشباههم : ﴿أنّى لهم الذكرىٰ وقد جاءهم رسول مبين * ثم تولّوا عنه وقالوا مُعلَّم مجنون﴾ الدخان: ١٣ ـ ١٤، وقوله تعالىٰ: ﴿وقال الذين كفروا إن هذا إلاّ إفكٌ افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلماً وزوراً * وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهي تملىٰ عليه بكرةً واصيلاً﴾ الفرقان: ٤ ـ ٥، وقوله تعالىٰ : ﴿ولقد نعلم إنهم يقولون إنما يعلّمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾ النحل: ١٠٣، وغيرها من آيات القرآن الكريم. ولو كانت هناك مشتركات معنوية فهي بين القرآن الكريم والانجيل والتوراة الحق لا المحرفين، فالقرآن الكريم مصدقٌ لهما ومهيمن عليهما لقوله تعالىٰ : ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدّقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه..﴾ المائدة: ٤٨، (راجع الهامشين ٣ و ٨). «التحرير»

٦٢٧م) ؛ ونـزلت فـيها سـور الانـفال وآل عـمران والحشـر والنسـاء ومحمد والاحزاب .

٣ـ الانتقال من مـرحـلة الدفـاع إلى الهـجوم ، (وتـبدأ مـن مـعركة الخندق في آذار ـ مارس من سنة ٦٢٧ م ، إلى فتح الحديبية في السنة الهجرية السادسة ، آذار / مارس ٦٢٨ م) ، ونزلت فيها سور الطلاق والبينة والمنافقون والمجادلة والنور .

العهد المدني الثاني :

وأطلق عليه اسم العهد الاسلامي ، وفيه انتشر الاسـلام بـالهجوم المسلح ، ودعا نبي الاسلام (احمد)ﷺ النصارىٰ إلى كلمة سواء . أما حصيلة هذه الفترة فهي :

١ ـ فتح الحديبية وشـمال الحـجاز فـي السـنة السـادسة للـهجرة الموافقة لسنة ٦٢٨ م .

٢ ـ فتح مكة وجنوب الحجاز في شهر رمضان من السنة الثـامنة للهجرة الموافق ٨ لكانون الثاني / يناير من سنة ٦٣٠ م .

٣ـ فتح الجزيرة العربية في اليمن والشمال (٦٣١ و ٦٣٢م) ، ونزلت في هذه الفترة سورتا التوبة والنصر .

تأسست الامة الوسط فـي العـهد المـدني الاول ، وجـاءت سـورة البقرة لتوضح هذا المعنى ، إذ خصصت السورة قسمها الاول للدعوة إلى تأسيس هذه الامة ، فيما وضع القسم الثاني من السورة شريعة الامة الوسط وقانونها ، بينما اختص القسم الثالث بالجهاد في سبيل هذه الامة . وقد خاض المؤلف بالتفصيل في هذه البحوث ، واعتبر أن اجـزاءً مـن سـور الانـفال وآل عـمران والحشـر والنسـاء ومـحمد والاحزاب عالجت مسألة سيطرة قريش وتقوية الامة الوسط .

وبحثت سور الطلاق والبينة والمنافقون والمجادلة والنور عـملية الانتقال من الدفاع إلى الهجوم .

والمراد من الامة الوسط ـ حسب رأي المؤلف ـ هو كون الاسلام وسطاً بين اليهود والمسيحية ، ووسطاً في العقيدة والشريعة (الاحوال الشخصية والاخلاق والخطيئة والكبائر والشرك) والتصوف والعزلة .

من البحوث الاخرىٰ التي حواها الكتاب (اطوار الدعوة القرآنية) الجهاد لحماية الامة والدولة ، وهو بحث يختص بالعهد الاول للنبي في المدينة ، وفيه أشار المؤلف إلى موضوع تسريع الجهاد الذي يهدف إلى اخضاع العرب للدولة الاسلامية ، وأشار ايضاً إلى موضوع السياسة والدين .

وتناول ايضاً ضمن بحوث العهد المدني الاول ، عهد التشريع في القرآن ، والعلاقة بين النبي واليهود .

واعتبر الكاتب أن الاسلام تعززت قوته وهيبته في العهد المدني الثاني ، أو العهد الاسلامي علىٰ حد تعبيره ؛ بسبب صلح الحديبية وفتح شمال الحجاز ، وذكر أن آيات من سور الحج والتحريم والتغابن والجمعة والفتح والحجرات والممتحنة والصف أشارت إلى تبلور هذه المرحلة .

تلا ذلك فتح مكة ثم جنوب الحجاز ، إذ اختصت اجزاء من سورتي الحديد والمائدة بتشريعات ما بعد الفتح والمجادلة مع نصارىٰ نجران والدعوة إلى كلمة سواء[١٠] .

وتمت هذه المرحلة بفتح الجزيرة من اليمن وحتىٰ الشمال حسب رأي المؤلف ، الذي حاول اثبات ذلك من خلال البحث الوافي ، والاشارة إلى الآيات القرآنية التي ترتبط بالاحداث التي رافقت الفترة.

ويعتقد الكاتب أن العهد الاسلامي شهد حالة من الدعوة القرآنية إلى القومية العربية ، وأن النبي برز مبشراً سواء في الحياة العامة أو الخاصة وحتىٰ الحياة الجهادية للامة العربية .

(١٠) المجادلة مع نصارىٰ نجران والدعوة إلى كلمة سواء وردت في سورة آل عمران الآيات ٦١ـ ٦٤.

وينهي الحداد فصله الرابع بذكر تاريخ وفاة النبيﷺ والحوادث التي تلته ودور القرآن فيها .

وفي خاتمة المطاف ـ بعد اكثر من الف صفحة تبحث في العلاقة بين القرآن والكتاب ـ خاض المؤلف في البحوث التالية :

أ ـ وحدة اجواء الفكر النبوي مع فكر الكتاب المقدس(١١) .

ب ـ ترجمة القرآن والانجيل إلى العربية علىٰ عهد النبي(١٢) .

جـ ـ ارتباط النبي محمدﷺ الدائم مع اهل الكتاب ، وأخذه حقائق الانجيل عن كبير العلماء المسيحيين ورقة بن نوفل(١٣) علىٰ حد زعم المؤلف .

د ـ شخصية النبي التي لا توصف ، فقد كان عظيماً في السياسة والدبلوماسية والشؤون العسكرية والادارية والقانونية والادبية ، وخصص الكاتب فصولاً لهذه العناوين .

هـ ـ اخلاقه العالية التي كانت من اهم اسباب نجاحه في دعوته .

و ـ فطرية المفاهيم القرآنية التي ساعدت كثيراً علىٰ نشرها .

ز ـ وجود خصائص في القرآن لا وجود لها في الكتاب المقدس (الوسطية ، وتأسيس الدين والدولة في وقت واحد ، ونشر الدين بطريق الجهاد) ، وأخيراً فأن القرآن هو كتاب التوحيد الخالص .

٤ ـ نظم القرآن والكتاب ، اعجاز القرآن : وهو المجلد الرابع من سلسلة دروس قرآنية ، ويقع في ٢٠٨ صفحات ، وهو مخصص ـ كما يبدو من اسمه ـ للبحث في مسألة الاعجاز في الالفاظ القرآنية .

ويبدأ الكتاب بعبارة لحنا الفاخوري يقول فيها : إن الاستاذ يوسف الحداد وصل إلى نتيجة مهمة في كتابه ، هي أن الاعجاز القرآني قد سبق باعجاز التوراة والانجيل ، وجاء القرآن مصدقاً لما بين يديه كما في الآية(١٤) .

يشير المؤلف في كتابه إلى تاريخ الكلام في اعجاز القرآن ،

(١١) لما كان القرآن الكريم هو وحي اللّه لنبيه محمدﷺ ، فإن كانت هناك مشتركات بينه وبين الكتاب المقدس (الانجيل)، فهي مع الانجيل الحق لا المحرف، وهو كذلك مع التوراة الحق لوحدة المُرسِل والوحي مع امتياز التصديق والهيمنة؛ لقوله تعالىٰ : ﴿**وانزلنا إليك الكتاب بالحق مصدّقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه** ...﴾ المائدة: ٤٨، (راجع الهوامش ٣ و ٨ و ٩).* التحرير»

(١٢) يرد عليه ما أوردناه في الهوامش (٣ و ٨ و ٩ و ١١). «التحرير»

(١٣) هذه شبهة مكررة من المبشرين والمستشرقين ردها القرآن الكريم في مواضع كثيرة من آياته الكريمة. (راجع الهامش ٩). «التحرير»

(١٤) بل ومهيمناً عليه لقوله تعالىٰ :﴿**وانزلنا إليك الكتاب بالحق مصدّقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه** ...﴾ المائدة: ٤٨، وهو إنما يكون مع الكتاب الحق لا المحرّف (راجع الهوامش المرقمة ٣، ٨، ٩، ١١). «التحرير»

ويسرد موقف الفرق الاسلامية من الاعجاز ، ويقول إنه من العلوم المستحدثة ، ثم يثبت فهرساً في نهاية الفصل الاول للكتب التي تبحث في الاعجاز عبر التاريخ .

وفي الفصل الثاني اثار المؤلف امرين :

الاول : أن أعجاز القرآن ليس فقط في البيان ، وإنما في الموضوعات ايضاً .

الثاني : أن القرآن اهتم في نظمه وبيانه بجمال الفن والابداع .

وبحث في الفصل الثالث موضوع الوحي هل هو باللفظ أم بالمعنى ؟.

في حين خصص الفصل الرابع للغة القرآن وعالج مسألتين، هما الفرق بين لغة قريش ولغة نجد ، وأن القرآن نزل بعربية قريش ، ووجود بعض الجمل لقريش في قبال جمل نجدية موجودة في القرآن.

الفصل الخامس تناول اسلوب نزول القرآن ، وتدرج النزول في فترات زمنية مختلفة ، والعلاقة بين الآيات والسور القرآنية المختلفة .

وبيّن المؤلف في الفصل السادس الاسلوب البياني في القرآن ، وشكل الخطابات القرآنية من مجاز وتشبيه واستعارة وكناية وحصر واختصاص وايجاز واطناب وخبر وانشاء واعجاز ، واستدل لهذه الحالات بالامثلة .

وفي الفصل التالي ناقش المؤلف موضوع الاعجاز في التوراة والانجيل ، ثم بحث في الفصل الثامن الاعجاز في النظم القرآني ، حيث تطرق إلى التأخر والتقدم والعام والخاص والمجمل والمبين والاختلاف والتناقض والآيات المتشابهة .

وضمت الفصول اللاحقة بحوثاً في المحكم والمتشابه وغرائب القرآن في المفردات وفي الضمائر والافراد والنظائر وتركيب الجمل

والتعابير ، واسلوب النظم القرآني وابداعاته وفواصل القرآن واسرار الحروف المقطعة في بدايات بعض السور ، وتأثير المراحل المختلفة للدعوة على اسلوب القرآن ، ثم بحث الكاتب في اصل اعجاز القرآن ومعناه وفق مختلف الرؤى .

واختتم الكتاب بموضوع الاعجاز في الانجيل والقرآن ، حيث يعتقد مؤلفه :

١ ـ أن كلاً من القرآن والانجيل تحدَّيا بالاعجاز .

٢ ـ لم يستطع أن يرد على هذا التحدي أي أحد .

٣ ـ أن في الكتابين اعجازاً في الاعمال والاقوال .

واورد اخيراً آراء الاستاذ عباس محمود العقاد في اعجاز الانجيل ، واستنتج أن المراد بالفرقان هو الاعجاز في مجموع الكتب السماوية .

ولا ريب في أن القارئ المسلم لن يوافق الحداد في بعض تحليلاته واستنتاجاته ؛ وقد وضع المفكرون المسلمون هذه المجموعة تحت مبضع التشريح والمناقشة والنقد ، وترتّب على ذلك ظهور مجموعة من المصنفات قد نطرق الحديث فيها إذا وفقنا الله لاحقاً . وضمن هذا السياق لابأس بمطالعة هذه السلسلة مع أخذ وضع مؤلفها بالاعتبار ؛ فإنها لا تخلو من فائدة وبخاصة للباحثين في المجالات القرآنية .

الشرعية وولاية المعصومين عليهم السلام

المصدر والدلالات

١

من فقه مدرسة أهل البيت عليهم السلام

* كاظم قاضي زادة
تعريب : عباس الاسدي

● مقدمة

من المباحث المهمة التي استقطبت الاهتمام في العصر الحاضر العلاقة بين الدين والحكم ، أو بمفهوم أوسع الارتباط بين الدين والسياسة . ولهذا البحث تاريخ يمتد إلى مئة عام مضت ، لكن طرحه كان يتسم في بعض الفترات بجدية اكبر ، فيما كانت تتسع دائرة تأثيراته الاجتماعية لتشمل مختلف شرائح المجتمع . وتكاثرت الآراء حول هذا الموضوع ، وتشعب البحث فيه اثناء تبلور الحركة الاسلامية ، وتشكلها وبعد انتصارها في ايران . والسؤال الذي يُطرح في هذا البحث : هل يُرتجى من الدين الاسلامي أن يتدخل في شؤون الحكم والسياسة ، أم هو يبين في ذاته اموراً تؤمّن للانسان هدايته المعنوية وسعادته الاخروية ؟ والسؤال بتعبير أوضح : هل السياسة جزء من ذات الدين وتجاهلها يعدّ نقصاً في الدين ، وأن السلطة التي تدير الشؤون الاجتماعية دون الاسترشاد

بالدين هي سلطة لادينية بل سلطة معادية للدين ، أم تعتبر هذه المسائل بمجملها من المباحث العقلائية ، وليس للدين في هذا المجال رسالة معينة ، وعلىٰ المجتمع أن يدير شؤونه بما هو أصلح له ؟

لم يقدم المفكرون المسلمون رؤىً موحدة حول هذا الموضوع ، فإذا تجاوزنا موقفَي النفي التام والاثبات التام ، فهناك مواقف وسطىٰ متعدده بين النفي والاثبات ، ويحتاج هذا المبحث إلى التعمق والتوسّع لعدم توغله في العمق التاريخي أولاً ، ولقلة ما كتب عنه بشكل معمق ومستقل ثانياً ، لا سيما وأن مثل هذا الطرح (فصل الدين عن السياسة والحكم) اضافة إلى الجانب العلمي أصبح ذريعة لفئتين : الحكام النفعيين اللادينيين . والمتدينين المترفين ، اللذين غالباً ما تعرّض لهما الامام الخميني﵀ في طرحه لبحث امتزاج الدين بالسياسة .

تاريخياً عالج الكاتب المصري المعروف علي عبد الرازق في كتابه (الاسلام واصول الحكم) الطرح التفصيلي الافضل بين الدين والخلافة، ورغم أن كتابه لم يكن الأول في هذا المضمار ، إلّا إنه كان الأهم لما تركه من ردود فعل واسعة وعنيفة من قبل المجتمع الديني وعلماء الازهر . وبعده تابع رأيه آخرون ، واخيراً دافع عنه مثقفون شيعة ايضاً امثال مهدي بازركان والدكتور مهدي الحائري اليزدي .

وسنتطرق هنا من دون اصدار حكم وبموضوعية تامة إلى وجهة نظر هؤلاء ، وإلى اهم دليل مشترك يجمع اصحاب هذا الرأي حول الفصل بين الدين والسياسة . ويمكن أن نطلق علىٰ هذا الدليل أنه تفسير لادينيّ لحكومة النبيﷺ وامير المؤمنين؈ ؛ وقد جرت الاستعانة بالشواهد القرآنية لنفي العلاقة بين حكم النبيﷺ ورسالته، كما نوقشت الآيات وبعض الاحكام الشرعية التي قد تثبت كون الحكومة منصباً إلهياً .

ونشير في مستهل الامر إلى رأي هذه المجموعة حول نوع حكومة

النبي وسيرته السياسية ، ثم نذكر الدلائل التاريخية لمن يقف إلى جانب هذا الرأي ومن يخالفه ، لنجري من بعد مناقشة للرأي نفسه .

رأيان حول حكم النبيﷺ

مما لا شك فيه أن النبيﷺ قد تدخّل في السياسة بلحاظ قيادته للمجتمع الاسلامي ، وادارته لشؤون الدولة الاسلامية منذ هجرته حتىٰ رحيله ؛ لأن قيادة الدولة وادارة شؤونها الهامة يعني ممارسة السياسة في اعلىٰ مستوياتها ، لكن السؤال الذي يطرح هنا هو : هل كان حكم النبيﷺ كرسالته تنصيباً إلهياً وجزءاً لا يتجزأ من الدين ، أم كان يختلف بطبيعته عن الرسالة ، وإنما مارسه النبيﷺ بعد أن انتخبته وبايعته الامة ؟

يعتقد اغلب المفكرين المسلمين بالتنصيب الإلهي للنبيﷺ ، ويزيد الشيعة علىٰ ذلك في الاعتقاد ايضاً بتنصيب امير المؤمنينعليه السلام وذريته المعصومين لولاية المجتمع الاسلامي ، وبوجود التنصيب لا يجدون مجالاً لاضفاء الشرعية علىٰ الحكم من طرق أخرىٰ[١] .

الرأي الأول : فصل الدين عن الحكم

لا يرىٰ اصحاب هذا الرأي وجود أي دليل علىٰ معالجة الدين لمشروع الحكم والخلافة ، ويعتقدون أن حكومة النبي لم تكن سوىٰ زعامة دينية ترتبط بالشؤون المعنوية والاخروية . يقول علي عبد الرازق بهذا الشأن : «أن زعامة النبيﷺ زعامة دينية ، واردنا بكونها دينية انها جاءته عن طريق الرسالة»[٢] .

ويقول كاتب مقال «اللّٰه والآخرة هدف بعثة الانبياء» . بهذا الصدد : «توجد في احاديث الانبياء وصايا تعالج قضايا الحياة المختلفة ، كما تهتم خطب نهج البلاغة ورسائل امير المؤمنينعليه السلام ، بالاخلاق والعلاقات الاجتماعية وقضايا الحكم والادارة ، بالاضافة إلى العلوم

(١) يعتقد البعض أن البيعة إلى جانب التنصيب إذا كانت موافقة له فهي مؤكدة، وإذا خالفته فهي مرفوضة.

(٢) علي عبد الرازق، الاسلام واصول الحكم: ٧١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

الإلهية والدينية والتربوية ، فعلاوة على مسؤولية الرسالة والامامة فقد نهضوا باعباء التعليم والاصلاح واسداء الخدمة والاعمال الصالحة ... ولا تعتبر هذه التعاليم والوصايا رغم جودتها وفضلها جزءاً من الدين والشريعة ، وليست مصداقاً للآية ﴿إن هو إلّا وحي يوحى﴾»[٣] .

نفهم من هذه العبارة أن الدين لا يشتمل على السياسة والحكم ، لكنه لا يتنافى في نفس الوقت مع السياسة وادارة الحكم ، فيستطيع المسلم أن يتدخل في الشؤون الاجتماعية على اساس التعاليم الدينية، ويكافح الظلم ويقيم حكومة العدل ، غير أن الدين لا يخوض في تفاصيل السياسة وليست له إلّا هذه التوصيات العامة .

واورد مؤلف كتاب «الحكمة والحكم» عبارة اوضح من سابقتها في قوله : «ليست هناك اية اشارة في مفاهيم النبوة أو الرسالة أو الامامة يستنبط من خلالها تشكيل نظام سياسي يأخذ على عاتقه مسؤولية تطبيق الواجبات ، إنما الامة هي التي يجب عليها أن تكتشف الفرد الاكمل والاصلح للمجتمع ـ وقد يكون نبياً أو اماماً ـ وتنتخبه لتولي القيادة السياسية للدولة ، مثلما تسعى لتدبير شؤونها الصحية ... فادارة الدولة لا تمثل جزءاً من النبوة ، ولا علاقة لها بطبيعة الامامة»[٤] .

بعد طرح المؤلف للموضوع بهذه الصورة ، يعكف على تفسير الكيفية التي حكم فيها النبيﷺ واامير المؤمنينعليه السلام ، ويرى أن اساس الشرعية في حكمهما البيعة وانتخاب الناس ، منكراً كون الحكم منصباً إلهياً لهما : «الشاهد على هذه الدعوى زعامة النبي الاكرمﷺ ومولى الموحدين علي بن أبي طالبعليه السلام ، ويمكن أن نلحظ بوضوح في هذين الشاهدين التاريخيين أن انتخاب القيادة السياسية لتطبيق القوانين والاحكام الاسلامية وتفعيلها ، إنما تحقق عبر بيعة الأمة لتشكيل

(٣) مهدي بازركان ، خدا آخرت هدف بعثت انبياء (الله والآخرة هدف بعثة الانبياء)، مجلة كيان، العدد ٢٨، ص ٥٥ .

(٤) مهدي حائري يزدي، حكمت وحكومت (الحكمة والحكم): ١٧٠.

حكومة شعبية خارج نطاق الوحي والنبوة . ولسنا بحاجة إلى دراسة معمقة لنبيّن أن الزعامة السياسية للنبيﷺ لم تكن جزءاً من مهمة النبوة ، كما أنها ليست من مستلزمات امامة عليؑ ؛ لأن النبي كان نبياً قبل أن يبايعه الناس للقيادة ، وعلي كان اماماً وموجهاً دينياً للامة من قبل اللّه قبل أن ينتخب كقائد سياسي وخليفة رابع .

وقد حظيت بيعة الأُمة للنبي برضا اللّه في قوله : ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾ ، وفي الآية دلالة صريحة على أن البيعة لم تأت بأمر من اللّه ، إنما رضي اللّه عنها بعد تحققها»[٥] .

(٥) نفسه : ١٦٧ ـ ١٦٨ .

ويمكن أن نستنتج النقاط ادناه من مجموع ما ذكرنا :

ـ أن السياسة والحكم ليسا جزءاً من الدين ، وشرعية السلطة السياسية لا تؤخذ بطريق التنصيب الإلهي .

ـ تسلم مقاليد الحكم وتطبيق العدالة ليس من شؤون النبوة ، وقيام النبيﷺ بالحكم لم يكن نابعاً عن أمر إلهي .

ـ شرعية الحكم النبوي والحكم العلوي قامت على اساس البيعة والانتخاب ، وما النبيﷺ وعليؑ إلّا وكلاء عن الامة وليست لهما ولاية شرعية على الحكم .

الرأي الثاني : اشتمال الدين على السياسة والحكم

الرأي الآخر وهو المشهور ، بل عليه اجماع المسلمين تقريباً ، هو أن الحكم النبوي قائم على اساس التنصيب الإلهي ، ومع وجود النص الإلهي على الخلافة ، تكون الطرق الاخرى لاكتساب الشرعية مرفوضة . ويرى اصحاب هذا الرأي أن للنبيﷺ مناصب ثلاثة : الرسالة والقضاء والامامة ، إذ يقتضي المنصب الثالث تشكيل النظام السياسي وادارة المجتمع . بعبارة ثانية : اجمع المسلمون على أن اللّه تعالى فوّض حق الحكم إلى المعصومؑ ، الذي له المرجعية الدينية

لنشر التعاليم الإلهية وتفسير الوحي ، وله ايضاً حق القضاء في النزاعات والمرافعات الفردية والاجتماعية ، وتتمثل الشرعية في إعمال السياسة الاسلامية إما بشخصه أو باذنه ، ويفتقد بالتالي أي حكم آخر غير حكمه للصفة الشرعية والقانونية .

ادلة أنصار الرأي الأول

اورد أنصار كلا الرأيين ادلتهم لاثبات ما دعوا إليه ونقض ما جاء به الآخر .

وفيما يلي ندخل في دراسة ونقد تلك الادلة :

١ ـ الكتاب : ذكر القرآن الكريم من خلال آيات عديدة في شأن النبي ﷺ وحقوقه على الناس ومسؤوليتهم تجاهه ، ورفع عن عاتقه ﷺ أيّ مسؤولية وراء المسؤولية الدينية . وتدل هذه الآيات على أن النبي ﷺ لم يكن له شأن من الملك والزعامة السياسية وأن عمله ﷺ لم يتجاوز حدّ التبليغ المجرّد عن الزعامة والسلطنة .

وتمسك علي عبد الرازق بالآيات الكريمة التالية لاثبات رأيه :

* ﴿من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولّى فما ارسلناك عليهم حفيظاً﴾ (٦).

* ﴿وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل﴾ (٧) .

* ﴿ولو شاء الله ما اشركوا وما جعلناك عليهم حفيظاً وما أنت عليهم بوكيل﴾ (٨) .

* ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ (٩) .

* ﴿قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل﴾ (١٠) .

* ﴿ربكم اعلم إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم وما ارسلناك عليهم وكيلاً﴾ (١١) .

(٦) النساء : ٨٠.

(٧) الانعام : ٦٦.

(٨) الانعام : ١٠٧.

(٩) يونس : ٩٩.

(١٠) يونس : ١٠٨.

(١١) الاسراء : ٥٤.

* ﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً﴾ (١٢).

* ﴿إنا انزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدىٰ فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل﴾ (١٣).

* ﴿فإن اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلّا البلاغ﴾ (١٤).

* ﴿نحن اعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار﴾ (١٥).

فقد رأىٰ علي عبد الرازق من خلال تصوره للآيات اعلاه أن القرآن ينفي صريحاً أن يكون النبيﷺ حفيظاً علىٰ الناس أو وكيلاً أو جباراً أو مسيطراً، وأن يكون له حق اكراه الناس حتىٰ يكونوا مؤمنين (١٦).

واذا كانت ظواهر بعض افعال النبيﷺ توحي بأنه يحاول ترسيخ أُسس الحكم فإن حقيقة الامر ليست كذلك. ومن تلك الافعال الجهاد، لكن القرآن الكريم في المقابل يشتمل علىٰ آيات تدل علىٰ أن الدعوة إلى الدين إنما تتم من خلال البيان والوعظ وتحريك القلوب لا بالحديد والسيف، كقوله تعالىٰ:

* ﴿لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ (١٧).

* ﴿ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن﴾ (١٨).

* ﴿فذكر إنما أنت مذكر * لست عليهم بمصيطر﴾ (١٩).

* ﴿أفأنت تكره الناس حتىٰ يكونوا مؤمنين﴾ (٢٠).

ومن الادلة الاخرىٰ التي تستند إلى أساس التصورات الخاصة للآيات القرآنية، هي تبيين الغاية والهدف من الرسالة في القرآن، ويبين مهدي بازركان تصوره للموضوع المذكور بالصورة التالية: «يُفهم من مجموع الآيات والسور القرآنية أن القسم الاعظم منها يحوم حول مسألتين: اللّٰه والآخرة. اللّٰه للايمان به وعبادته والامتناع عن عبادة واتباع الآلهة الأُخرىٰ، والآخرة للايمان بالقيامة والحياة في تلك

(١٢) الفرقان: ٤٣.

(١٣) الزمر: ٤١.

(١٤) الشورىٰ: ٤٨.

(١٥) ق: ٤٥.

(١٦) راجع: الاسلام واصول الحكم: ١٧١.

(١٧) البقرة: ٢٥٦.

(١٨) النحل: ١٢٥.

(١٩) الغاشية: ٢١ ـ ٢٢.

(٢٠) يونس: ٩٩.

الدنيا بشكليها ، بينما الآيات القرآنية خصصت اقل من نسبة اثنين في المئة للاحكام الفقهية .

والقرآن الذي يُعتبر ثمرة الدعوة وخلاصتها ولغة الرسالة ، فضلاً عن أنه لا يقدم لنا أية توصية حول الدنيا ، فهو يلومنا على الانصراف لامر الدنيا ونسيان الآخرة : ﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا * والآخرة خير وابقى﴾ . ﴿كلا بل تحبون العاجلة * وتذرون الآخرة﴾»[٢١] .

٢ ـ السنّة : من الادلة الاخرىٰ التي ساقها القائلون بالفصل التمسك بالسنة بمفهومها الواسع (القول والفعل والتقرير) ، وقد اشار عبد الرازق في معرض استدلاله هنا إلى روايتين وقال : «روىٰ صاحب السيرة النبوية (احمد بن زيني دحلان المتوفى سنة ١٣٠٤ هـ ، أن رجلاً جاء إلى النبيﷺ لحاجة يذكرها ، فقام بين يديه ، فأخذته رعدة شديدة ومهابة ، فقال لهﷺ : **هوّن عليك فإني لست بملك ولا جبار ، وإنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد بمكة** ... وقد جاء في الحديث أنه لما خير علىٰ لسان اسرافيل بين أن يكون نبياً ملكاً ، أو نبياً عبداً ، نظر عليه الصلاة والسلام إلى جبريلؑ ، كالمستشير له ، فنظر جبريل إلى الارض ، يشير إلى التواضع ، وفي رواية فاشار إليه جبريل أن تواضع ، فقالﷺ: **نبياً عبداً**»[٢٢] .

والاستدلال بالسنّة في قسمه الاكبر يعتمد علىٰ تحليل السيرة السياسية للنبيﷺ ، ويشكّك علي عبد الرازق ـ وهو يحلل تاريخياً السيرة النبوية ـ في استناد نظام حكم خاص إلى النبيﷺ ، وبهذا الصدد يدرس بالتفصيل أحد المظاهر الرئيسية للحكم وهو القضاء ، ويقول ـ ضمن اعترافه بأنهﷺ تبنّىٰ شخصياً بعض حالات القضاء ـ: «إذا اردنا أن نستنبط شيئاً من نظامهﷺ في القضاء نجد أن استنباط شيء من ذلك غير يسير ، بل غير ممكن ؛ لأن الذي نقل إلينا من احاديث القضاء النبوي لا يبلغ أن يعطينا صورة بينة لذلك القضاء ،

(٢١) مهدي بازركان، خدا آخرت هدف بعثت انبياء، كيان، العدد ٢٨ ، ص ٥١ ـ ٥٢ .

(٢٢) الاسلام واصول الحكم : ١٧٤.

ولا نظاماً خاصاً فيه ، ان قلنا أنه كان له نظام»[٢٣] .

ثم يشير إلى حالات مختلفة لنصب القضاة واختلاف الروايات في ذلك ، ويستنتج من خلال حالات التنصيب المؤقتة أن النبيﷺ لم يؤسس نظاماً سياسياً محدداً ، ولم يصدر منهﷺ ما يمكن أن نعتبره ادارة كاملة لشؤون المجتمع ، ويمكن أن نقف علىٰ خلاصة رأيه في العبارة التالية : «إذا نحن تجاوزنا عمل القضاء والولاية إلى غيرهما من الاعمال ، التي لا يكمل معنىٰ الدولة إلّا بها ، كالمعاملات التي تتصل بالاموال ومصارفها (المالية) وحراسة الانفس والاموال (الشرطة) وغير ذلك مما لا تقوم بدونه اقل الحكومات وأعرقها في البساطة ، فمن المؤكد اننا لا نجد فيما وصل إلينا من ذلك عن زمن الرسالة شيئاً واضحاً يمكننا ونحن مقتنعون ومطمئنون ، أن نقول إنه كان نظام الحكومة النبوية»[٢٤] .

وانتبه عبد الرازق إلى اشكالية واجهت نظريته ، وهي احتواء الآيات القرآنية والسيرة النبوية علىٰ مظاهر لتثبيت نظام سياسي ايضاً ، منها مسألة الجهاد ومحاربة الاعداء والدفاع عن الارض ، حيث الدلالة عليها في العديد من الآيات القرآنية واضحة ، وكذلك مسألة الشؤون المالية كالزكاة والجزية والغنيمة ، لأن تدبير الشؤون المالية يعتبر من المهمات الحكومية ، وفوق هذا وذاك وجود روايات تكشف عن ارسال ولاة وعمال إلى حواضر العالم الاسلامي كاليمن ونجران ومأرب وغيرها .

هذه الاشكالية جعلت عبد الرازق نفسه يتردد في نظريته ، لكنه بعد أن اعترف تلويحاً بوجود نظام حكم نبوي يعتبره شيئاً منفصلاً عن الرسالة ، ويتمسك بالادلة القرآنية التي اوردها سابقاً[٢٥] .

ولم تصدر عن الكاتب المذكور أية اشارة إلى مرتكز الحكومة العرفية ـ وليست الدينية ـ للنبيﷺ بما أنها لم ترتكز علىٰ التنصيب

(٢٣) نفسه : ١٤٩ .

(٢٤) نفسه : ١٥٣ .

(٢٥) نفسه : ١٥٧ ـ ١٥٩ .

الإلهـي والديـني ، إلّا إن المـؤلّفين الشـيعيين المـعاصرين اللـذين يسايرانه في عقيدته اعتبرا أن حكومة النبي قـامت علىٰ اسـاس آراء الأُمة .

وفـي هـذا الصـدد يـحلل مـؤلف كـتاب «الحكـمة والحكـم» قـيام النبيﷺ والامام عليؑ بشؤون الدولة والخلافة وسيرتهما كالتالي:

«من جهة اخرىٰ نلاحظ أن بعض الانبياء السلف ، وخـاصة نـبي الاسلام العظيم خاتم الانبياءﷺ تولىٰ إلى جانب منصب النبوة الرفيع الامور السياسية وادارة الدولة ، كما أن الامام عليؑ بالاضافة إلى منصب الامامة والولاية الإلهية العامة الذي اوكـل إليـه مـن قـبل اللّـه وبواسطة الوحي ، تولىٰ في برهة من الزمن منصب الخلافة السياسي وادارة شؤون الدولة بطريق البيعة والانتخاب . وعلينا أن نعلم أن هذا المنصب السياسي لا يمكن أن نعتبره جزءاً من الوحـي الإلهـي ؛ لأن الأمـة هـي التـي اضـافته عـلىٰ مـنصبهم الإلهـي وعـرضته عـليهم لضرورات زمانية ومكانية دون أن يتصدوا له بانفسهم»[٢٦] .

(٢٦) مهدي حائري يزدي، حكمت وحكومت: ١٤٣.

واعتبر المؤلف بشكل واضح البيعة هي الارضـية المـمهّدة لقـيام حكومة النبي ، مشيراً إلى الآية الكريمة : ﴿لقد رضي اللّه عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾ ، قائلاً : إن الآية دالة علىٰ أن اللّه تعالىٰ أمضىٰ ـ أساساً ـ بيعة الناس وأثنىٰ علىٰ الأمة بسبب انتخابها المناسب[٢٧] .

(٢٧) نفسه : ١٦٧ .

وقد سلك بازركان ايضاً طريقاً مماثلاً ، إلّا إنه لم يُبد رأيـاً حـول اساس شرعية الحكم النبوي ، فهو في خصوص النبيﷺ إنما يشير إلى آلية القـرار عـندهﷺ ، ويـعتبر مـبدأ الشـورىٰ أبـرز عـلامة فـي حكمهﷺ توضح لنا أن القرارات الحكومية للنبيﷺ لم تكن صادرة عن الوحي ، وبالتالي فهي قابلة لدراسة المعارضين لها ونقدها ايضاً . يقول بهذا الصـدد : «لو فسّـرنا الديـمقراطـية أسـاسـاً بـحكم الشـعب للشعب ، وادارة الامم شؤونها بنفسها ، واعتبرنا أن الطريق للوصول

إليها هو الالتزام بآراء الاكثرية في الانتخابات أو التشاور الحر ، فهذا هو بالضبط نظام الادارة العامة الذي أوصىٰ به القرآن ، وهي نظرية عمل بها قبل الثورة الاسلامية في ايران بزمن طويل الامام علي عليه السلام والامام الحسن عليه السلام اثناء فترة خلافتهما ، فهناك آية في القرآن تخاطب النبي صلى الله عليه وآله مباشرة وتأمره باستشارة أصحابه في كل الامور ، والعفو عن جرأتهم والتعامل معهم برحمة ولين (البقرة : ١٥٩) ، وفي آية أخرىٰ يرسم القرآن المجتمع الاسلامي النموذجي الذي من مواصفاته ادارة شوؤنه الداخلية عبر التشاور »[٢٨] .

كما قدّم بازركان تحليلين مختلفين حول السيرة السياسية للأئمة الاطهار عليهم السلام ، والتحليل الثاني الذي أبداه في خطاب له سنة ١٩٩٢م ، ثم تممه وصححه بعد عامين يعرض لنا بشكل عام عدم رغبة الأئمة عليهم السلام في التدخل في السياسة ، ويحلل تحركاتهم الاجتماعية تحليلاً غير سياسي . واليك موجزاً وجانباً من هذا التحليل[٢٩] : « رغم إلحاح المأمون لم يوافق علي بن موسىٰ الرضا عليه السلام أن يتحمل مسؤولية الخلافة ، لكنه قبل بولاية العهد من اجل مصالح معينة ، وقد وافق عليها بشكلها الظاهري وامتنع عن أي تدخل ومسؤولية ، فإذا كانت امامته كنبوة جدّه مستلزمة للحكم والامساك بالسلطة ملازمة قطعية (أو عضوية والهية) لأعلنها من قبل ونفذها . وقد اعتبر عليه السلام التنصيب أو الانتخاب بهذه الصورة ـ لهارون الرشيد ولغيره من الخلفاء ـ تصرفاً عدوانياً وفضولياً ، وكان يرىٰ أن الخلافة والحكم بهذه الصورة يتعارضان مع الحق والمصلحة ، كما أن جده الامام جعفر الصادق عليه السلام لمّا وصلته رسالة المتمرد الايراني الشهير ابو مسلم الخراساني ضد بني أمية ، يدعوه فيها الىٰ تسلّم الخلافة ويطلب منه القبول بالبيعة ، كان رده أن قام بإحراق الرسالة .

وأما سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام فهو امام اعتُبرت ثورته

(٢٨) مهدي بازركان، دفاعيه از اسلام (دفاع عن الاسلام)، صحيفة كيهان هوائي، العدد ١٠٩٧ .

(٢٩) تحليله الآخر يعود إلى خطاب له سنة ١٩٦٢.

ونهضته وشهادته غالباً ـ لا سيما في نصف القرن الاخير ـ أنها جاءت لإسقاط يزيد ، وتأسيس حكومة الحق والهدىٰ والعدالة الاسلامية في المجتمع الاسلامي يومذاك ؛ لتصبح اسوة لاجيال المستقبل ، بينما كانت كلمته الاولىٰ وحركته وما قام به مباشرة وشخصياً هي الامتناع عن البيعة لولاية عهد يزيد التي رشحه لها أبوه معاوية ، والتي تعني التغيير وتأسيس حكم استبدادي في الامة والسنة النبوية واحلال الملكية محل الخلافة علىٰ حد تعبير المودودي.

وجاء خروج سيد الشهداء من المدينة ومكة وحركته نحو كربلاء قاصداً الكوفة استجابة لاصرار الناس ، والدعوات الشفوية والمكتوبة الكثيرة التي وجهها اليه أعيان الكوفة وعامة الناس فيها لانقاذهم من الظلم والفساد الاموي ، وكان تصدّيهعليه السلام للقيادة وادارة شؤون الناس دعوة شعبية وديمقراطية تماماً ، ولم يقرّر تنفيذ هذه الفكرة الخطيرة ـ بصورة قطعية ورغم نصائح أخيه وبعض محبيه الواعين بهذا الصدد ـ قبل أن يرسل مسلم بن عقيل للتحري والاطمئنان .

وتبين معركة الامام الحسين وشهادته ونهضته حقيقة مؤداها أن الخلافة والحكم من وجهة نظر الامام والاسلام ليسا ليزيد والخلفاء ، ولا هما لله وإنما هما للامة وفقاً لانتخابها .

واصبح الامام الحسن المجتبىٰ خليفة ابيه علي المرتضىٰعليه السلام علىٰ اساس بيعة المسلمين له ... وعقد الصلح مرغماً مع معاوية بسبب اصرار الناس ، ولا شك في أن الامام الحسنعليه السلام ما كان يأذن لنفسه أن يتصالح علىٰ الخلافة مع الآخرين لو اعتبرها ملكاً شخصياً أو مهمة ربانية أو نبوية ، كما أن الرسول الاكرم لم يعرض النبوة والرسالة الالهية للصلح والمعاملة أو الملاعنة ، وأن أيّاً من الائمة لم يتنازل عن امامته لمن ادعاها ، فالخلافة في رأي الامام الحسنعليه السلام هي بمعنىٰ الحكم وادارة شؤون الامة وهي من حقوقهم»[٣٠] .

(٣٠) خدا وآخرت هدف بعثت انبياء، مجلة كيان، العدد ٢٨، ص ٤٩ ـ ٥٠ .

ويستمر بازركان في عرض رأيه بتحليل حكم امير المؤمنين الذي استمر خمسة اعوام ، معتبراً أن شرعية حكمه منبثقة عن الامة ، وأنه قبل اقبال الناس عليه لم يبادر الىٰ عمل ما للاستيلاء علىٰ الحكم ؛ لأنه لم يعتبر الخلافة حقاً شخصياً له ، كما اعتبر الكاتب آلية حكمه عليه السلام قائمة علىٰ اساس الشورىٰ ، مشيراً الىٰ أن عهده لمالك الاشتر إنما كان يحتوي علىٰ تعليمات حكومية مع فصل الدين نهائياً عن السياسة ، بحيث إنه حذّر مالكاً من أن تمنعه مسؤولية الحكم عن اداء التكليف الشرعي الديني ، واوصاه بطاعة الله وخدمة رعيتّه .

٣ـ ادلة اخرىٰ : من الواضح أننا لا نجد اجماعاً علىٰ فكرة فصل الدين عن السياسة ، وليس ثمة من يزعم ذلك ، كما أن الدليل العقلي لا يمنع عن امتزاج الدين والسياسة في سيرة النبي صلى الله عليه وآله ، غير أن انصار هذه الفكرة تمسكوا لاثباتها باستدلالات تتضمن وجوهاً عقلائية وبعض المستلزمات العقلية أو العقلائية للسيرة :

أ- عدم تحقق نظام سياسي في العصر النبوي .

أحد هذه الوجوه ـ قد تقدم عرضه ضمن السيرة ايضاً ـ هو التمسك بعدم وجود نظام سياسي كامل في فترة النبي صلى الله عليه وآله فلو كانت الحكومة جزءاً من الدين لاهتم الدين بمقدمات تأسيسها ولتوضحت أهم معالمها في حياة رسول الله وسيرته الحكومية ، إلا إن غياب بعض هذه المعالم في فترة حكومة المدينة يضع اكثر من علامة استفهام امام وجود نظام حكم متكامل للنبي صلى الله عليه وآله .

ب ـ عدم امكان اشتمال الدين علىٰ السياسة .

وعلىٰ مستوىً آخر يتضمن الدين تعاليم كليّة عامة ، فيما تختص السياسة بالجزئيات والموضوعات الخارجية ، والدين الذي جاء لهداية البشرية علىٰ مر التاريخ اكبر شأناً من أن يتوقف دوره علىٰ تبيين جزئيات عصر من العصور ، ومن الواضح أن ذكر القضايا

الفرعية والجزئية ـ التي تحتاج اليها مختلف العصور ـ في عصر واحد إن لم يكن مستحيلاً فهو قطعاً مما لم يحدث .

يقول مؤلف «الحكمة والحكم» : «الحكم وتدبير شؤون الدولة ـ وهو عبارة عن ادارة شؤون الناس اليومية وبناء نظامها الاقتصادي والامني ـ يعتبر من فروع العقل العملي ومن الموضوعات الجزئية والمتغيرات التي تتعرض للتذبذب والتبدل باستمرار ، وهذه الحالة من التغيّر التي تحصل دائماً في الموضوعات الحسية والتجربية يجعلها تختلف في علاقتها مع كليات الوحي الالهي واوامره ، وتتحمل الامة مسؤولية التحديد الصحيح للموضوعات التجربية»[٣١] .

(٣١) مهدي حائري، حكمت وحكومت: ١٤١.

ج ـ المصالحة والامتناع عن الخلافة .

نظراً إلى أن الملاحظ في سيرة الائمة الاطهار عليهم السلام أنهم سمحوا بالمصالحة على الخلافة ، كما فعل الامام الحسن المجتبى عليه السلام ، أو أنهم امتنعوا عن قبولها رغم توفر الظروف المناسبة ، كما فعل الامام الرضا عليه السلام فهذه النكتة توضح لنا أن الحكم ليس جزءاً من الدين ، وإلاّ لما صالح الأئمة الاطهار على منصب الولاية والقيادة ولما امتنعوا عن قبوله ، مثلما لم يصالح النبي محمد صلى الله عليه وآله والانبياء الآخرون على رسالاتهم[٣٢] .

(٣٢) راجع: كيان، العدد ٢٨، ص ٤٩ ـ ٥٠ .

د ـ عدم تعميم الزعامة السياسية على الانبياء .

من الدلائل الاخرى التي ساقها البعض للفصل هي عدم اعطاء القيادة السياسية لبعض الانبياء ، وفي هذا يقول بازركان : «من أدلة أنصار ادغام الدين والسياسة ووحدة النبوة والحكم (أو استلام العلماء للحكم) زعامة النبي الدينية والسياسية والادارية والقضائية في اعوام المدينة العشرة ؛ وكذلك فإن الشاهد على توأمة النبوة والحكم سلطة انبياء بني اسرائيل ومنهم داود وسليمان ، والزعامة الدينية الاجتماعية السياسية الادارية للنبي موسى في مواجهة

فرعون وتهجير بني اسرائيل إلى الأرض الموعودة .

الجواب : حينما نطالع القرآن نلاحظ أن تولي الحكم من قبل خاتم الانبياء وبعض انبياء اليهود لم يكن حالة عامة تشمل جميع الانبياء ، بل هي استثناء إذا اخذنا بالاعتبار كثرة الانبياء الذين لم يتبوأوا منصب الحكم ، فالنبوة والحكم في الأصل هما امران أو شكلان منفصلان ومختلفان ، فكل منهما ينبثق عن مصدره الخاص ومبناه بحيث لا يمكن أن نجمع بينهما»[٣٣] .

هذا الاستدلال باللحاظ المنطقي يعتبر قياساً استثنائياً مفاده أن الحكم لو كان جزءاً من الدين لكان كل الانبياء قد تولّوا منصب الحكم ، وبما أن جميعهم لم يكونوا حاكمين بل إن الكثير منهم لم يتول هذا المنصب إذن فالحكم ليس جزءاً من الدين .

وقد ذكر أنصار هذا الرأي اجابات علىٰ بعض الادلة التي أوردها اصحاب الرأي المعارض ، وعلىٰ الآيات التي يُستدل بها غالباً علىٰ شأن ولاية النبي ومنصبه الحكومي ، سنشير إليها لاحقاً عند الاشارة إلى تلك الأدلة ذاكرين ما يبدو لنا من نقد لها ، وقبل ذلك كله نتعرض للرد علىٰ الأدلة التي طرحناها قبل قليل .

(٣٣) مهدي بازركان، خدا، آخرت، كيان ، ص ٥٦ .

الرد علىٰ ادلة انصار الفصل بين الدين والحكم

١ ـ دليل الكتاب :

ذكروا آيات عديدة لحصر المنصب الإلهي للنبيﷺ بالرسالة ، ولكن ماذا يراد بهذا الحصر ؟ وهل جاء بإزاء توهّم منصب آخر لهﷺ ؟ وماهو ذاك المنصب المتوهَّم الذي ينفيه هذا الحصر ؟

إذا لاحظنا تقسيم الحصر في علم المعاني والبيان إلى الحصر الحقيقي والحصر الاضافي ، فعلينا أن نقول إن الحصر هنا اضافي يراد به في الغالب أن يُبيَّن أن النبيﷺ من شأنه أن يبلّغ الرسالة

باعتباره رسول الله ، أما هداية الناس إلى الحق فهو بيد الله تعالىٰ وعلىٰ اساس قوانين النظام الإلهي البديع ، فلا يمكن ادخال الايمان إلى قلب من ليس له أي اقبال علىٰ الدين والتقوىٰ ولا رغبة له في ذلك .

يقول العلامة الطباطبائيﷺ في ذيل الآيتين ٧٩ و ٨٠ من سورة النساء : «فالحسنات وهي الامور التي يستحسنها الانسان بالطبع كالعافية والنعمة والامن والرفاهية كل ذلك من الله سبحانه ، والسيئات وهي الامور التي تسوء الانسان كالمرض والذلة والمسكنة والفتنة كل ذلك يعود إلى الانسان لا إليه سبحانه ، فالآية قريبة مضموناً من قوله تعالىٰ : ﴿ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها علىٰ قوم حتىٰ يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم﴾[٣٤] .

(٣٤) الانفال : ٥٣ .

قوله تعالىٰ : ﴿وأرسلناك للناس رسولاً﴾ ، أي لا سمة لك من عندنا إلّا أنك رسول وظيفتك البلاغ ، وشأنك الرسالة لا شأن لك سواها ، وليس لك من الامر شيء حتىٰ تؤثر في ميمنة أو مشأمة ، أو تجر إلى الناس السيئات ، وتدفع عنهم الحسنات»[٣٥] .

(٣٥) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن ٥ : ٥ ، طهران، دار الكتب الاسلامية.

الحصر في هذه الآية الشريفة والآية التي تليها وتؤكد مضمونها (الآية التي استشهد بها عبد الرازق) ، هو بإزاء توهم ما ينسب من السيئات إلى النبيﷺ وأن له دوراً فيها .

والآيات تدل علىٰ حصر الوظيفة في التبليغ والانذار ، إما بإزاء رغبة النبيﷺ الملحة في هداية جميع الناس وايمانهم ، أو بإزاء توهم التأثيرات التكوينية للرسول (بما هو رسول) علىٰ الآخرين ؛ ومن الواضح أن نظام التكوين البديع لا يقتضي مثل هذا الاجبار ؛ ولا يمكن اذن الاستشهاد بها بإزاء منصب الامامة والقيادة وتطبيق الدين في المجتمع الذي يحمل مفهوماً مختلفاً عن مسألة اجبار المعاندين والمخالفين والجائهم إلى الايمان .

وفي ذيل الآية الشريفة : ﴿فهل علىٰ الرسل إلّا البلاغ المبين﴾[٣٦] .

(٣٦) النحل : ٣٥ .

يقول المفسر الطباطبائي : «بلغهم الرسالة بلاغاً مبيناً تتم به الحجة عليهم ، فإنما وظيفة الرسل البلاغ المبين وليس من وظيفتهم أن يلجؤا الناس إلى ما يدعونهم إليه ... فإنما الرسول بشر مثلهم والرسالة التي بعث بها انذار وتبشير ، وهي مجموعة قوانين اجتماعية أوصاها إليه الله فيها صلاح الناس في دنياهم وآخرتهم ... وعلىٰ هذا ليس من شأن الرسول اجبار الناس والجاؤهم علىٰ الايمان»[٣٧] .

(٣٧) الميزان ١٢ : ٢٥٦.

والآية الكريمة : ﴿لا اكراه في الدين﴾ لا تعني ابداً التخلي عن المؤسسة السياسية والحكم ، فمعلوم أن هناك اكراهات عديدة في الدين عملياً ، نحو اكراه المدين علىٰ تسديد دينه ، واكراه المرأة علىٰ طاعة الزوج ، واكراه اللص علىٰ ترك السرقة وغير ذلك ، وما تريده الآية أن الايمان لا يستحصل بالاكراه ، وليس مما تطلبه الشريعة أيضاً وإنما يُكتسب بالارادة وحرية الاختيار[٣٨] .

(٣٨) راجع: السيد ابو القاسم الموسوي الخوئي، البيان في تفسير القرآن : ٣٢٧، النجف، مطبعة الآداب.

ونفي وكالة النبي عن الناس ينطوي كذلك علىٰ مفهوم واضح لا يرتبط من قريب أو بعيد بقيادة الامة وادارة شؤونها ، فالوكيل هو الذي يؤدي عملاً نيابة عن موكله ؛ ونفي الوكالة عن النبي يراد به أنه ﷺ لا يستطيع أن يؤمن أو يؤدي عملاً صالحاً نيابة عن الناس ، إذ إن الايمان والعمل الصالح قائمان بالشخص نفسه ولا يمكن أن يؤديا بالوكالة . يقول العلامة الطباطبائي في هذا المقام في ذيل قوله تعالىٰ : ﴿... فمن اهتدىٰ فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل﴾[٣٩] : «اعلام لهم بكونهم مختارين فيما ينتخبونه لانفسهم ... فلهم أن يختاروا لانفسهم ما يحبونه من نفع أو ضرر ، وليس هو ﷺ وكيلاً لهم يتصدىٰ من الفعل ما هو لهم»[٤٠] .

(٣٩) يونس : ١٠٨ .

(٤٠) الميزان ١٠ : ١٣٦ .

من الواضح في ضوء التصورات المذكورة عن الآيات الشريفة أن انحصار الوظيفة في الرسالة والانذار والتبشير ليس انحصاراً

حقيقياً، ولا ينفي المناصب الإلهية الاخرىٰ للنبيﷺ ، حتىٰ إن بعض المفسرين السنّة الذين اعتبروه حصراً حقيقياً ذكروا أن هذه الآيات نُسخت بآيات الجهاد وغيرها ، فقد قال القرطبي في ذيل الآية : ﴿من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولىٰ فما ارسلناك عليهم حفيظاً﴾ : «قال القتبي : حفيظاً أي محاسباً ، فنسخ الله هذا بآية السيف وامره بقتال من خالف الله ورسوله»(٤١) .

الرد الآخر الذي يمكن أن نذكره في قبال الاستدلال بهذه الآيات ، هو الالتفات إلى الآيات التي تثبت منصب القضاء للنبيﷺ ، بل تفصح عن منصبه كحاكم وعدم جواز التمرد علىٰ تعليماته ، وإذا اعتبر مدلول هذه الآيات معارضاً لتلك ، فهي تتمتع علىٰ الاقل بدلالة اقوىٰ ، ولايمكن أن نتجاهلها ونعرض تصورات أحادية لظواهر بعض الآيات.

وإليك بعض الآيات الدالة بوضوح علىٰ وجود مناصب إلهية اخرىٰ للنبيﷺ غير منصب الرسالة(٤٢) :

* ﴿النبي أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم﴾(٤٣) .

* ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضىٰ الله ورسوله امراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً﴾(٤٤) .

* ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الأمر منكم﴾(٤٥) .

* ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنما علىٰ رسولنا البلاغ المبين﴾(٤٦) .

* ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتىٰ يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾(٤٧) .

* ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه علىٰ امر جامع لم يذهبوا حتىٰ يستأذنوه إن الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم﴾(٤٨) .

(٤١) محمد بن أحمد الانصاري القرطبي، الجامع لاحكام القرآن ٥ : ٢٨٨، بيروت ، دار احياء التراث العربي .

(٤٢) اورد كتاب دراسات في ولاية الفقيه تسع آيات قرآنية في هذا المضمار، وقد جرىٰ البحث بشكل موسّع حول بعضها، ج١ ب٢، ص ٣٥ ـ ٨١.

(٤٣) الاحزاب : ٦ .

(٤٤) الاحزاب : ٣٦ .

(٤٥) النساء : ٥٩ .

(٤٦) التغابن : ١٢ .

(٤٧) النساء : ٦٥ .

(٤٨) النور : ٦٢ .

فماذا يُفهم من الآية الاولىٰ (الاحزاب : ٦) التي تعلن أن النبي اولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم ، غير تقدم رأيه ـ وليس شأن رسالته ـ علىٰ آراء الناس في شؤونهم الحيوية الاجتماعية بل الفردية .

ونزلت هذه الآية الكريمة التي اعلنت ولاية النبيﷺ علىٰ المؤمنين، حينما اراد البعض الاستئذان من آبائهم وامهاتهم لما دعاهم الرسولﷺ لحضور غزوة تبوك[٤٩] .

وقد فهم المفسرون الشيعة والسنة غالباً من الآية أن فيها اطلاقاً لولاية النبيﷺ ، أو ولايته في الشؤون الاجتماعية علىٰ الاقل .

يقول الزمخشري : «النبي اولىٰ بالمؤمنين في كل شيء من امور الدين والدنيا من انفسهم ، ولهذا اطلق ولم يقيد ، فيجب عليهم أن يكون أحب إليهم من انفسهم ، وحكمه أنفذ عليهم من حكمها ، وحقه آثر لديهم من حقوقها ... ويتبعوا كل ما دعاهم إليه رسول اللّهﷺ أو صرفهم عنه»[٥٠] .

ووضح العلامة الطباطبائي اولوية النبيﷺ كالتالي : «... ولو دعته نفسه إلى شيء والنبي إلى خلافه ، أو ارادت نفسه منه شيئاً واراد النبي خلافه ، كان المتعين استجابة النبيﷺ وطاعته وتقديمه علىٰ نفسه ، وكذا النبيﷺ اولىٰ بهم فيما يتعلق بالامور الدنيوية أو الدينية. كل ذلك لمكان الاطلاق في الآية»[٥١] .

وعلىٰ اساس هذه الآية الشريفة اعتبر اغلب فقهاء الشيعة النبيﷺ صاحب ولاية مطلقة ، ويستثنىٰ الآخوند الخراساني من فقهاء القرنين الاخيرين ، الذي لم يوافق علىٰ امتداد ولاية النبي إلى جميع شؤون حياة المؤمنين (حتى شؤونهم الفردية)[٥٢] ، كما أن البعض اعتبر الخوض في مثل هذا البحث لا فائدة ترتجىٰ من ورائه في هذا الزمن .

وتعلن الآية الثانية (الاحزاب : ٣٦) لزوم اتباع النبيﷺ في قضائه التشريعي ، ورغم أن شأن نزول الآية الكريمة وموردها هو زواج

(٤٩) علي بن جمعة العروسي الحويزي، تفسير نور الثقلين ٤ : ٢٣٧، قم، اسماعيليان .

(٥٠) راجع: محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف ٥٢٣:٣ ، بيروت ، دار الكتاب العربي، والميزان ٢٩١:١٦.

(٥١) الميزان ١٦ : ٢٩١ .

(٥٢) الآخوند الخراساني، كتاب حاشية المكاسب : ٩٣، طهران، ١٤٠٦ هـ.

النبيﷺ من مطلقة ولده بالتبني ، إلّا إن المورد لا يخصِّص النص بتاتاً ، وتثبت عمومية الحكم في حالات القضاء المختلفة (الاحكام القضائية) بل في الأعم من القضاء .

يقول العلامة الطباطبائي في ذلك : «يشهد السياق على أن المراد بالقضاء هو القضاء التشريعي دون التكويني ، فقضاء اللّه تعالىٰ حكمه التشريعي في شيء مما يرجع إلى اعمال العباد ، أو تصرفه في شأن من شؤونهم بواسطة رسول من رسله ، وقضاء رسوله هو الثاني من القسمين ، وهو التصرف في شأن من شؤون الناس بالولاية التي جعلها اللّه تعالىٰ له بمثل قوله : ﴿**النبي أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم**﴾[٥٣] .

واعتبر الامام الخمينيﷺ القضاء في الآية الشريفة يشمل الحكم القضائي والحكم الحكومي[٥٤].

وفي رواية استشهد الامام الرضاﷺ بهذه الآية ، وطبقها علىٰ حكم اللّه ورسوله في اختيار الائمة ، واعتبر السبب في هذا القضاء الإلهي هو عدم مقدرة الناس علىٰ معرفة الاوصاف الضرورية في الامام واختياره . «**فمن ذا الذي يبلغ معرفة الامام أو يمكنه اختياره ... فأين الاختيار من هذا وأين العقول عن هذا ؟**»[٥٥] .

الامر الآخر الذي يدل وبشكل واضح علىٰ أن الشأن الولائي للنبي يعد جزءاً من الدين ، هو أن المخاطب في هذه الآية وغيرها هو المؤمن والمؤمنة والذين آمنوا ؛ وبلحاظ أن تعليق الحكم علىٰ الوصف مُشعر بالعلية ، فإنه يستنتج من هذه الآية أن اتباع النبي والانصياع لاحكامه ضروريان لتحقق وصف الايمان ومن مقدماته .

الآية الثالثة (النساء : ٥٩) فيها دلالة تامة علىٰ لزوم اتباع النبيﷺ وأولي الامر ، وهذا الاتباع ـ بالتأكيد ـ ليس في دائرة الرسالة ؛ لأن تكرار امر ﴿**أطيعوا**﴾ يُشعر بأن ذكر اللّه هنا ليس من باب التشرف ،

(٥٣) راجع : الميزان ١٦:٣٤١.

(٥٤) الامام الخميني، كتاب البيع ٢: ٤٧٨، قم، اسماعيليان.

(٥٥) الاصول من الكافي، محمد بن يعقوب الكليني ١:٢٠١ ـ ٢٠٢، طهران، دار الكتب الاسلامية.

وطاعة اللّه علىٰ الظاهر هي نفسها طاعة الرسول في أمر الوحي ، وطاعة الرسول طاعته في شؤون الحكم والاوامر التي يصدرها الرسول نفسه .

وثمة احتمالات عديدة بالنسبة لأولي الامر ، وهناك اختلافات لدىٰ المفسرين وفي الآيات المنقولة عن الشيعة وعن السنة ، وعند الشيعة رأيان :

الأول : اولوا الامر هم الائمة الاطهار عليهم السلام فقط ؛ بدليل الروايات الواردة بهذا الشأن ، وبدليل الاطلاق في الطاعة التي اوردتها الآية ، ومعلوم أن الطاعة المطلقة لغير المعصوم لا تنسجم مع الحكمة الإلهية، وقد مال إلى هذا الرأي الشيخ الطوسي في التبيان والعلامة الطباطبائي في الميزان(٥٦) .

الثاني : وهو ما تمسك به بعض الفقهاء في الاستدلال به علىٰ حكومة الفقيه في عصر الغيبة ، مستفيدين من استناد مقبولة عمر بن حنظلة إليها ، وهو أن المراد بأولي الامر هو الائمة المعصومون عليهم السلام ، والفقهاء الجامعون للشرائط في عصر الغيبة الذين لهم تفويض بالولاية من جانب المعصومين عليهم السلام(٥٧) .

ومهما يكن من امر فإن لهذه الآية الشريفة دلالة علىٰ منصب الامارة والحكم الإلهي للنبي صلى الله عليه وآله واولي الامر ، ولا سيما إذا رجعنا إلى الآية التي سبقتها والاخرىٰ التي تلتها ، وإلى الروايات التي جاءت في تفسيرها .

وانتبه علي عبد الرازق إلى هذه الآية ، وقال في مقام الرد علىٰ دلالتها : «إن اولي الامر قد حملهم المفسرون ... علىٰ امراء المسلمين في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وبعده ، ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وامراء السرية ... وقيل علماء الشرع»(٥٨) .

ومن الواضح أن علي عبد الرازق اضطر هنا للتمسك بالاقوال

(٥٦) محمد بن الحسن الطوسي، التبيان في تفسير القرآن ٣:٢٣٦، بيروت، دار احياء التراث العربي والميزان ٤ : ٤١٢ ـ ٤١٦.

(٥٧) راجع: الامام الخميني، كتاب البيع ٢ : ٤٧٨ ـ ٤٨٢، والشيخ حسين علي المنتظري، دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الاسلامية ١ : ٦٨ ـ ٦٩، قم، دفتر تبليغات اسلامي.

(٥٨) حميد عنايت، سيرى در انديشه سياسى عرب (مطالعات في الفكر السياسي العربي) : ١٨٤ ـ ١٨٥، طهران، امير كبير .

الضعيفة ، فمعظم اهل السنة حمل اولي الامر على ما يدل معناه عليه من ولاية الامر ، فضلاً عن ذلك فإن الآية الكريمة تأمر بطاعة افرادٍ هي غير طاعة اللّٰه ورسالة الانبياء ، وهذه الطاعة هي جزء من الدين وتُثبت منصب الامارة والحكم .

ويحاول علي عبد الرازق أن يرد بشكل آخر بالنسبة إلى مفاد الآية بقوله : «وغاية ما قد يمكن ارهاق الآيتين (الآية المذكورة ، والآية ٨٤ من سورة النساء) به أن يقال إنهما تدلان على أن للمسلمين قوماً منهم ترجع إليهم الامور . وذلك معنى اوسع كثيراً واعم من تلك الخلافة بالمعنى الذي يذكرون ، بل ذلك معنىً يغاير الآخر ولا يكاد يتصل به»[٥٩] .

(٥٩) الاسلام واصول الحكم : ١٣٣.

ورغم أننا نتفق مع علي عبد الرازق في أن الآية الشريفة لا يستفاد منها اثبات الخلافة المصطلحة ، إلّا إنه لا يكتفي بنفي شكل الخلافة من الشريعة ، بل يتجاوز ذلك إلى نفي النظام السياسي برمته فلا توجد خلافة ولا أي نظام سياسي آخر ولا تحديد لولي الامر بالشخص أو بالوصف في الشريعة ، وهذا في الحقيقة يبعد الدين عن السياسة تماماً ، ولا شك في أن مثل هذا الرأي يتناقض مع هذه الآية .

وللآيات الرابعة والخامسة والسادسة دلالات مماثلة على المطلوب، نمسك عن الخوض في تفاصيلها تجنباً للاسهاب .

ولبعض الآيات التي ذكرناها دلالة صريحة على منصب القضاء للنبيﷺ ، والقضاء وتبعاته بدوره يعتبر من الشؤون الولائية ، ولابد للقائلين بانفصال الدين عن الحكم من تصحيح رأيهم على الاقل ، والقول بأن المراد هو الفصل بين الدين وادارة المجتمع سوىٰ القضاء .

بعد هذا التصحيح يطرح السؤال التالي : كيف يمكن لدين أن يتبنىٰ عملية القضاء وتبعاتها ، ثم يهمل ادارة المجتمع التي ترتبط ارتباطاً

مباشراً بالجهاز القضائي ؟ فقد بات من الواضح اليوم أن السلطة القضائية حاكمة ونافذة على مجموعة النظام الحكومي ، كما يمكن للحكومة أيضاً أن تصيب هذا الجهاز العظيم بخلل نتيجة لعدم التنسيق .

الرد الآخر على الاستدلال بالآيات التي تحصر شأن النبي صلى الله عليه وآله والأنبياء في بيان الوحي ، هو الالتفات إلى روايات المعصومين عليهم السلام .

وإذا كان من غير المنتظر بذل عناية خاصة لروايات اهل البيت عليهم السلام ، من قبل المفكرين غير الشيعة ، فإنه يتعين على علماء الشيعة الانتباه إلى أن هذه الروايات بإمكانها أن تفسر وتشرح وتبين وتخصص وتقيد الآيات المحكمات . ورغم أن الرأي هو ما يراه الكتاب الحكيم في حالة مخالفة الروايات للقرآن والسنّة القطعية ، إلّا إن المخالفة على نحو العموم والخصوص أو الاطلاق والتقييد أو التفسير و«الحكومة»[٦٠] ، هي ليست مخالفة عرفاً ، فهناك الكثير من عمومات الكتاب ومطلقاته التي تخصصها الروايات[٦١] .

ونظرة اجمالية في روايات اهل البيت عليهم السلام ، تكشف لنا أن منصب الولاية والحكومة على المسلمين ولزوم طاعة النبي والائمة عليهم السلام هي من صلب التعاليم الدينية ؛ وهذه بعض عناوين كتاب الحجة من اصول الكافي التي تبين إلى حد ما محتوى الروايات المذكورة في الكتاب :

- باب فرض طاعة الائمة .
- باب أن الائمة ولاة امر الله وخزنة علمه .
- باب أن الائمة ولاة الامر وهم الناس المحسودون الذين ذكرهم الله عزوجل .
- باب التفويض إلى رسول الله وإلى الائمة في امر الدين .
- باب أن قوله تعالى : ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى اهلها﴾

(٦٠) المقصود بذلك الحكومة المصطلحة في علم الاصول .

(٦١) كتب بازركان في بحث الارتداد ومستندات لزوم قتل المرتد من وثائق وشواهد، وكلها لا يمكنها أن تصمد امام الآية ١٨٦ من سورة آل عمران؛ ويعتقد أنه لم ينتبه إلى الملاحظة المذكورة في هذا المقال. راجع: كيهان هوائي العدد ١١٢١.

فيهم نزلت[٦٢].

وإليكم واحدة من روايات هذا الباب نوردها مثالاً: عن علي بن ابراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن عمر بن أذينه عن فضيل بن يسار، قال: «سمعت أبا عبد اللّه عليه السلام يقول لبعض اصحاب قيس الماصر: **إن اللّه عزوجل ادّب نبيه فأحسن ادبه، فلما اكمل له الادب قال: ﴿إنك لعلىٰ خلق عظيم﴾، ثم فوّض إليه امر الدين والامة ليسوس عباده فقال عزوجل: ﴿ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾**[٦٣]...».

فقد استخدمت هذه الرواية الصحيحة جملة «ليسوس عباده» للتعبير عن وصف سياسي للنبي صلى الله عليه وآله وهو ما يجري النقاش بشأنه، ويتضمن هذا الباب عشر روايات بعضها جاء بمضمون مماثل للحديث الذي ذكرناه.

وفي ختام هذا الرد الذي يبدو أنه قد اخذ مداه حول الآيات التي تمسكوا بها، نكتفي بنقل آية ذكروا لها مدلولاً آخراً من خلال ترجمتها وتفسيرها بشكل خاص، رغم ما لظاهرها من دلالة علىٰ البعد الاجتماعي والسياسي للدين.

قال تعالىٰ: **﴿لقد انزلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾**[٦٤].

بعد أن ترجم الدكتور مهدي الحائري الآية الكريمة[٦٥] قال في توضيحها: «يستفاد بوضوح من هذه الآية المباركة أن الرسل يبعثون فقط من أجل التدريب والتعليم علىٰ العدالة؛ لكي يعي الناس من هذه الآيات البينات والارشادات ما يوصلهم إلى معايير العدالة الحقة، ليقوموا بالقسط عن فهم وادراك. وعليه يتضح أن القيام بالعدل وتطبيق العدالة والنظام، وهو ما يعني بالضبط اقامة الحكومة المسؤولة لتدبير شؤون البلاد، يقع علىٰ عاتق الناس، وليس من شأن هؤلاء القادة الربانيين ومنزلتهم الرفيعة هذه المسؤولية

(٦٢) راجع: الاصول من الكافي ١: ٥٥٨ ـ ٥٩١.

(٦٣) نفسه: ٢٦٦.

(٦٤) الحديد: ٢٥.

(٦٥) حكمت وحكومت: ١٤٠.

التنفيذية ؛ لأن مرحلة تنفيذ تكليف العدل الذي يعني السياسة والتدبير وادارة شؤون البلاد ، ليس مما يمكن الوصول إليها من خلال تحليل طبيعة النبوة والامامة وتجربتها أو استنباطها من لوازمها الذاتية»[٦٦] .

(٦٦) م . ن .

وامام هذا الرأي نضع الردّين التاليين :

الأول : اقصىٰ ما تشير إليه الآية هو الغاية من ارسال الرسل ، والغاية من الكتاب والميزان والرسل هي قيام الناس بالقسط ، وليست لها دلالة علىٰ من يحقق هذا الأمر ، أهما الكتاب والميزان ، أم من يقوم بالتنفيذ بالاسم والصفة .

والحق أن الآية تريد أن توضح أن القيام بالقسط مناط بارسال الرسل بالكتاب والميزان ، أي إن هذه هي شروط لازمة للقيام بالقسط ؛ ولكن ليس في الآية دلالة علىٰ كفاية هذه الشروط من عدمها.

وإذا كان للآية ظهور في المطلوب المستدل ، فهناك آيات عديدة اشرنا إلى بعضها تثبت منصب الولاية النبوية ، وهي نص ولها تقدم علىٰ هذا الظهور .

ورغم أن الحكومة من جهة اخرىٰ ليست جزءاً من الدين علىٰ اساس الاستنباط المستدل ، إلّا إن السياسة تعتبر جزءاً منه ، بمعنىٰ أن الدين يحتوي علىٰ البرنامج الاجتماعي والسياسي العام الذي يتيح للناس تطبيق الدين علىٰ ارض الواقع ، وهذه النقطة ليست موضع خلاف ـ علىٰ ما يبدو ـ مع هذا الكاتب ، ولكن يمكن معها طرح هذه الآية كدليل مقابل لرأي علي عبد الرازق في نفيه الكلي لاشتمال الدين علىٰ السياسة .

الثاني : لقد قيل الكثير في غاية بعثة الانبياء ، إلّا إن هذه الاقوال غفلت عن ملاحظة مهمة هي أن طريق الاهتداء المناسب للمجتمع نحو

الاهداف العليا المطلوبة (اللّـه والآخـرة) ، يـصبح مـمكناً عـبر ادارتـه الصحيحة والقيام بالقسط الذي اعتبر هـو الهـدف فـي آيـات عـديدة اوصت به ، والذي يعد من الاهداف الوسطية للاديـان الإلهـية ودين الاسلام جميعاً .

وبالطبع فإن أي محاولة للحصول على مطامح دنيوية باسم الدين امر مذموم ، إلّا إن السعي للوصول بـصورة صـحيحة إلى مـقدمات هداية المجتمع وارشاده دون ارتكاب ظلم أو حرام ، يدخل في عـداد الواجبات بـاعتباره مـقدمة للـواجب عـلى الاقـل . ويـبدو أن التـركيز الشديد على الاهداف الأخروية وغايات الدين البعيدة المدى ، يفضي إلى نسـيان المسـار الذي يـجب أن يـطويه الانسـان فـي هـذه الدنـيا للوصول إلى تلك الاهـداف السـامية ، مـثلما يـؤدي التـفسير العـلمي لمجموعة المعارف الدينية والقرآنية إلى تجاهل البعد المعنوي للـدين واهدافه الأخروية .

قال الإمام علي (ع) :

نحن أمناء الله على عباده
ومقيموا الحق في بلاده . بنا
ينجو الموالي وبنا يهلك المعادي .

(غرر الحكم)

دراسات

منهج أهل البيت عليهم السلام في بناء الإنسان الكامل

الشيخ محمد علي التسخيري

قبل الحديث المجمل عن منهج اهل البيت عليهم السلام في بناء الانسان الكامل لابد من التعرض لبعض النقاط تمهيداً للموضوع .

النقطة الاولىٰ

قد لا نبالغ إذا قلنا إن كل المذاهب الاجتماعية تسعىٰ لاعطاء صورة عن الانسان الكامل ، وتبني تعاليمها علىٰ اساس من السعي لتحقيق هذه صورة . وربّما كان هذا المبدأ من تأثيرات الفطرة الانسانية نفسها ، وإن كان المذهب نفسه لا يؤمن بالفطرة .

فحتّى اولئك الذين يهبطون بالانسان إلى مستويات حيوانية سفلىٰ هم في الواقع يخطئون في المصداق ، وبالتالي يسلكون المنهج الخاطئ لتحقيق اهدافهم . على أنهم يعلمون انهم يخاطبون موجوداً معيناً له شروطه في التقبل ، ومن أوائل هذه الشروط أن تكون الفكرة المفروضة منسجمة مع نداءاته الانسانية عموماً وإن اخطأت في المصداق .

النقطة الثانية

إن الوجدان ـ وهو المحكمة التي يرجع اليها الانسان قبل أن يدخل إلى عالم المعرفة والدين والفكر المتطور ـ يقضي لاول وهلة بأن الانسان موجود متميز على غيره بعناصره الذاتية ، ولا يملك أي مذهب أن ينكر هذه الخصيصة المتميزة ، حتى ولو كان لازم كلامه هذا الانكار نتيجة لخطئه في الفهم والتصور .

إن الانسان قبل كل شيء يتحدث عن امور يعبر عنها بواسطة مصطلحات من قبيل الحق والعدالة والانسانية والاخلاق والفن وغير ذلك ، وهذه الامور لايمكن أن يستقيم لها معنىً إلّا إذا آمنا بالخصائص الذاتية ، وإلّا لم يعد هناك فرق بين الحق الانساني وأي حق آخر ، وبين السلوك العادل والسلوك الظالم ، والسلوك الانساني والسلوك الحيواني ، وهذا المعنى يخالف الوجدان البتة .

والاسلام يطلق على هذه الخصائص الذاتية اسم الفطرة ويضع لها مخططها، في حين تحاول المذاهب الاخرى أن تنكر الفطرة من جهة ، وأن تبقي على استعمالها لتلك المصطلحات من جهة أخرى ، وهذا ما نراه عين التناقض .

النقطة الثالثة

تجيب على هذا التساؤل : لماذا التركيز على اهل البيت عليهم السلام ؟

وتتلخص الاجابة في أن اهل البيت عليهم السلام هم المفسرون للقرآن الكريم ، وهم المرجع العلمي الثاني بعد القرآن ، وهم النموذج العملي للاسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله . هذه الحقائق اكّدها الرسول الكريم مراراً في حديث الثقلين وغيره ، حتى إن المسلمين لم يكونوا ليختلفوا في هذه المرجعية ، وإن كانوا اختلفوا في مسألة القيادة السياسية .

وقد اكّد الواقع العملي هذه الحقيقة عبر قرنين ونصف من الزمان ، فقد كانوا عليهم السلام معدن العلم ، ومرجع الأمة ، وحماة الحق ، لم تقصر لهم

باع ، ولم يقفوا امام تساؤل ، حتىٰ لقد عبر الخليل بن احمد الفراهيدي ـ وهو من هو في العلم ـ بقوله يصف علياً عليه السلام : «استغناؤه عن الكل واحتياج الكل إليه دليل امامته» ، وعبر الامام احمد بن حنبل وهو ينقل حديث سلسلة الذهب بقوله : «لو تلي هذا الاسناد علىٰ مجنون لبرئ من علته» .

فمن الطبيعي إذن أن نرجع إليهم في معرفة هذا المنهج ، منهج بناء الانسان الكامل ، لنسلك سبيلهم ونقتدي بهداهم .

النقطة الرابعة

إننا نلمح لدى العرفاء ومريدي التصوف تعرضاً للانسان الكامل ، حيث يتعرض البسطامي (المتوفى سنة ٢٦١ هـ) للانسان الكامل الذي يصل إلى هذا المقام بعد الفناء في الذات الإلهية ، يتحدث عنه ابن العربي في فصوص الحكم والفتوحات المكية كما يلخصه عزيز الدين النسفي بالاقوال الحسنة ، والافعال الحسنة ، والمعارف ، ولكنا نتصور أن تعريفاتهم ناقصة ومغلقة احياناً ، وأنها تفتقد المنهج التربوي الواقعي، بل تحاول أن تنأىٰ عن الواقع ، وأنهم إنما اخذوا في كثير من الاحوال عن منابع اهل البيت عليهم السلام ؛ فالاحرىٰ اذن أن نعود إلى المنهج الصافي الرقراق .

الخطوط العريضة لمنهج اهل البيت عليهم السلام

وإذا اردنا القاء نظرة علىٰ منهجهم في مجال بناء الانسان الكامل ، تبدو امامنا الخطوط التالية :

الخط الاول : التوعية بحقيقة المسيرة التكاملية للانسان .

وتركز النصوص الواردة عنهم عليهم السلام علىٰ ذلك ، مؤكدة أن علىٰ الانسان أن يجعل الله تعالى هدفه في كل عمل ، وأن كل خطوة تكاملية إنما تتم إذا كانت في اطار التقرب إلى الله ، وفي اطار تحقيق الرضا

الالهي لاغير ، وأن كل المصائب والمتاعب تُنسىٰ إذا كانت بعين الله ؛ وهنا يتم التركيز على عنصر النية باعتباره المنبع الفياض المستمر لمسيرة منسجمة في خط التقرب إلى الله ، وبها تتحول حياة الانسان اينما كان إلى عبادة ، وتتحول الارض كلها إلى مسجد، فيتسع مفهوم المسجد ليشمل الحياة ، وذلك بدلاً من حصر الحياة في المسجد أو الفصل بينها وبينه كما يفعل الآخرون .

والنصوص في هذا المجال كثيرة نذكر منها مايلي :

١ ـ الامام علي عليه السلام كان يؤكد : **«إن الله تبارك وتعالى اخفى رضاه في طاعته ، فلا تستصغرن شيئاً من طاعته فربما وافق رضاه وانت لاتعلم »**[١] .

٢ ـ ويقول عليه السلام : **«هيهات ! لا يخدع الله عن جنته ، ولا ينال ما عنده إلّا بمرضاته»**[٢].

٣ ـ وكان الامام الحسين عليه السلام يردد في مراحل نهضته : **«رضا الله رضانا اهل البيت . نصبر علىٰ بلائه ويوفّينا اجور الصابرين »** .

٤ ـ وكان يقول عليه السلام : **« من طلب رضا الله بسخط الناس كفاه الله امور الناس ، ومن طلب رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس »**[٣] .

٥ ـ وعن علي عليه السلام : **«الرضا ثمرة اليقين »**[٤] .

(١) الخصال ١:٢٠٩.

(٢) غرر الحكم ٢:٣١٤.

(٣) بحار الانوار ٧١:١٨٢.

(٤) غرر الحكم ، ح ٣٠٨٥.

الخط الثاني : العمل علىٰ تقوية العناصر النظرية الانسانية وترشيدها .

وهذه العناصر التي يشهد بها الوجدان هي عنصر التعقل ، وعنصر الارادة ، والميول والدوافع الغريزية وقد سعت النصوص الواردة عنهم عليهم السلام الىٰ تقوية هذه العناصر وتجليتها في السلوك الانساني ، مع تأكيد علىٰ الحالة المتوازنة فيها بحيث تؤدي دورها الطبيعي دون أن يطغىٰ بعضها علىٰ البعض الآخر ، وإلّا انقلب الامر إلى ضده وتحولت إلى عناصر سلبية قاتلة . وتتجلىٰ هذه العملية التربوية الانسانية فيما يلي :

أ ـ تنمية عنصر التعقل واعطاؤه الدور الاساسي في البين :

والحديث عن هذا المجال رحب فسيح والروايات كثيرة وكتب احاديثهم ملأىٰ بالتوجيهات ، وقد اوجدت التأثير في المجال العقائدي، كما في مسألة التركيز علىٰ ضرورة الايمان العقلي باصول العقيدة أو في مسألة التحسين والتقبيح العقليين حيث طرحت اروع نظرية اسلامية في البين أو في مسألة الصفات الالهية أو في مجال القضاء والقدر وغير ذلك ، كما كان لها الاثر في المجال الاستنباطي ، حيث عاد العقل اصلاً من اصول الفقه علىٰ التفصيلات المذكورة في محلها . هذا فضلاً عن الحث علىٰ إعمال المنهج العقلي في مختلف مجالات المعرفة الاخرى . ونورد هنا بعض النصوص نماذج محيلين الراغبين في المزيد إلى الكتب الحديثية المفصلة :

١ ـ عن الامام امير المؤمنين عليه السلام : «**من قعد به العقل قام به الجهل**»[٥] .

٢ ـ عنه عليه السلام : «**العقل اقوى اساس**»[٦] .

٣ ـ وعنه عليه السلام : «**العقل رسول الحق**»[٧] .

٤ ـ عن الامام الصادق عليه السلام : «**لا غنىٰ أخصب من العقل ، ولا فقر احطّ من الحمق**»[٨] .

٥ ـ عن الامام الكاظم عليه السلام : «**يا هشام ، ما قسّم بين العباد افضل من العقل**»[٩] .

٦ ـ عن الامام الباقر عليه السلام : «**إنما يداقّ الله العباد في الحساب يوم القيامة علىٰ قدر ما آتاهم من العقول في الدنيا**»[١٠] .

٧ ـ وعن الامام علي عليه السلام : «**العقول أئمة الافكار ، والافكار أئمة القلوب ، والقلوب أئمة الحواس ، والحواس أئمة الاعضاء**» .

٨ ـ وعن الامام الكاظم عليه السلام : «**من اراد الغنىٰ بلا مال وراحة القلب من الحسد والسلامة في الدين ، فليتضرع إلى الله عز وجل في مسألته بأن يكمل عقله**»[١١] .

٩ ـ وعن الامام الصادق عليه السلام : «**حجة الله علىٰ العباد النبي ، والحجة فيما**

(٥) غرر الحكم ، ح ٦٣٣٥.

(٦) ن . م ، ٤٧٥ .

(٧) ن . م ، ح ١٣٢٥.

(٨) الكافي ١ : ٢٩ .

(٩) تحف العقول : ٣٩٧.

(١٠) معاني الاخبار ٢:٢.

(١١) الكافي ١ : ٢٨.

بين العباد وبين الله العقل »[١٢] .

١٠ ـ وعن الامام علي عليه السلام : «ما آمن المؤمن حتى عقل »[١٣] .

١١ ـ وعنه عليه السلام : «العقل عقلان : عقل الطبع وعقل التجربة ، وكلاهما يؤدي المنفعة »[١٤] .

١٢ ـ وعنه عليه السلام : «لو لم ينه الله سبحانه عن محارمه لوجب أن يجتنبها العقل »[١٥] .

١٣ ـ وفي الحديث عن وصايا لقمان : «تواضع للحق تكن اعقل الناس»[١٦].

ب ـ تقوية عنصر الارادة الانسانية :

وهذا المعنى امر يؤكده الاسلام ويخطط له تخطيطاً واسعاً ويفرد له جزءاً كبيراً من برامجه ، ومن المقطوع به أن أحد أهداف الصوم ، وكذلك احد اهداف عملية الحج ، هو تقوية الارادة الانسانية عبر التدريب على الصبر ، وهو المعنى المعطى للصوم ، وعبر تفهيم الانسان أن عليه أن يضبط حواسه بارادته ولا يدع نفسه تتغلب عليه ، وإلاّ عاد كالحيوان همه علفه .

وقد عمل اهل البيت عليهم السلام على تقوية هذه الارادة ، وتربية الاتباع الواعين الصابرين عبر النصوص المؤكدة على ذلك ، وعبر التأكيد على ضرورة ضبط النفس والسيطرة على الهوى .

يقول امير المؤمنين عليه السلام: «العقل صاحب جيش الرحمن والهوى قائد جيش الشيطان والنفس متجاذبة بينهما، فأيهما غلب كان في حيزه»[١٧] .

وعنه عليه السلام : «العاقل يتقاضى نفسه بما يجب عليه ولا يتقاضى لنفسه بما يجب له»[١٨] .

وعن الامام الكاظم عليه السلام : «اكثر الصواب في خلاف الهوى»[١٩] .

وقال الامام الحسن عليه السلام : «ايها الناس ، إنما اخبركم عن اخ كان من اعظم الناس في عيني . كان خارجاً من سلطان بطنه فلا يشتهي ما لا يجد ولا يكثر إذا وجد . كان خارجاً من سلطان فرجه فلا يستخف له عقله ولا رأيه . كان خارجاً من

(١٢) ن . م .
(١٣) غرر الحكم ، ح ١٦٩٣.
(١٤) مطالب السؤول : ٤٩.
(١٥) ن . م ، ح ٧٥٩٥.
(١٦) الكافي ١ : ١٦ .
(١٧) غرر الحكم ، ح ٢٠٩٩.
(١٨) غرر الحكم ، ح ١٨٥١.
(١٩) المحاسن ١:٣١١.

سلطان الجهالة فلا يمدّ يده إلّا على ثقة لمنفعة »[٢٠].

وعن رسول اللّه ﷺ : «ثلاث خصال من كن فيه استكمل خصال الايمان : الذي إذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل ، وإذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق ، ومن إذا قدر لم يتعاط ماليس له »[٢١].

ويقول الامام علي عليه السلام : «لن يستكمل العبد حقيقة الايمان حتى يؤثر دينه على شهوته »[٢٢].

ويقول عليه السلام : «كان لي فيما مضى أخ في اللّه ، وكان يعظّمه في عيني صغر الدنيا في عينه ... »[٢٣].

ويقول عليه السلام : «اكرم نفسك عن كل دنية وإن ساقتك إلى الرغائب ؛ فأنك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضاً ، ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك اللّه حراً»[٢٤].

ويقول عليه السلام : «الصبر احسن خُلل الايمان واشرف خلائق الانسان »[٢٥].

ويقول الامام الصادق عليه السلام : «لا ينبغي ... لمن لم يكن صبوراً أن يعد كاملاً»[٢٦].

ويقول عليه السلام : «من جعل له الصبر والياً لم يكن بحدث مبالياً»[٢٧].

ويقول الامام علي عليه السلام :«بالصبر تدرك معالي الامور»[٢٨].

ويقول الامام الصادق عليه السلام : «الصبر رأس الايمان »[٢٩].

ج ـ التركيز على ضرورة الاستجابة المتوازنة للميول والغرائز :

فهي في التصور الاسلامي من عطاء اللّه تعالى ، فيجب ألا تكبت من جهة وألّا يفسح المجال لها لتؤثر على السلوك تأثيراً اعمى ، بل يتم التوازن في عملها باختلاف الظروف والاحوال ووفق هدى الشريعة الغراء وعبر اعمال الارادة الانسانية الواعية .

فالغرائز طاقات فوّارة غُبئت في الذات الانسانية لتقوم بدفع الانسان للحفاظ على ذاته وللابقاء على نوعه ، والاندفاع نحو استكناه المجهول واعمار الارض واثراء المسيرة الانسانية والوصول بعد ذلك إلى التدين الواقعي ، ومالم يدعمها تعقل صحيح ويهديها وحي اصيل

(٢٠) بحار الانوار ٦٩:٢٩٤.

(٢١) بحار الانوار ٧١:٣٥٩.

(٢٢) بحار الانوار ٧٨:٨١.

(٢٣) بحار الانوار ٦٩:٢٩٤.

(٢٤) نهج البلاغة، ك ٣١.

(٢٥) غرر الحكم، ح ١٨٩٣.

(٢٦) تحف العقول: ٣٦٤.

(٢٧) بحار الانوار ٨:١٣٦.

(٢٨) غرر الحكم، ح ٤٢٢٧.

(٢٩) الكافي ٢:٩٠.

وعلم الهي واسع وتضبطها إرادة قوية ، فسوف تتحول إلى قوىٰ مخّربة وهّدامة تمزق الانسان وتهوي به في مكان سحيق .

ومن هنا جاءت الروايات الشريفة عن اهل البيت عليهم السلام لتؤكد هذه الحقيقة ولتدفع الانسان نحو المسيرة المتوازنة .

فللانسان أن يحب ذاته ويعمل لها ، ولكن ينبغي ألّا ينسىٰ أن ذاته مكتوب لها الخلود فعليه أن يعد لذاته في عالم الآخرة ، كما أن عليه ألّا ينسىٰ أن هناك حباً اسمىٰ للّٰه تعالىٰ الجمال والكمال المطلق ، وحينئذ ينسىٰ نفسه في حب اللّٰه .

يقول الامام امير المؤمنين في مناجاته : «**الهي ، كفىٰ بي عزاً أن اكون لك عبداً . وكفىٰ بي فخراً أن تكون لي رباً . انت كما احب فاجعلني كما تحب**».

ويقول الامام الصادق عليه السلام : «**لا يمحض رجل الايمان باللّٰه حتىٰ يكون اللّٰه احب إليه من نفسه وابيه وامه وولده واهله وماله ومن الناس كلهم**»(٣٠) .

ويقول الامام الباقر عليه السلام : «**الدين هو الحبّ والحبّ هو الدين**»(٣١) .

ويقول الامام الصادق عليه السلام : «**إذا تخلىٰ المؤمن من الدنيا سما ووجد حلاوة حب اللّٰه وكان عنه اهل الدنيا كأنه قد خولط ، وإنما خالط القوم حلاوة حب اللّٰه فلم يشتغلوا بغيره**»(٣٢) .

وقل نفس الشيء عن الغرائز الاخرىٰ كالغضب والتدين والتملك والغريزة الجنسية وغريزة الامومة وغيرها . ولن نطيل في هذا المجال فالحديث عنه واسع .

ولا ننسىٰ أن هناك ثروة دعائية ضخمة ورثناها عن اهل البيت عليهم السلام ، وهي تركز عنصر التعادل والتوازن اروع تركيز ، وهو ما نلاحظه مثلاً في دعاء الامام علي عليه السلام الذي رواه كميل بن زياد ، والادعية الواردة في الصحيفة السجادية وغيرها .

يقول الامام زين العابدين في دعاء مكارم الاخلاق : «**اللّٰهم صلّ علىٰ محمد وآل محمد ولا ترفعني في الناس منزلة إلّا حططتني عند نفسي مثلها ،**

(٣٠) بحار الانوار ٧٠: ٢٥.

(٣١) تفسير نور الثقلين ٥ : ٣٨٥.

(٣٢) الكافي ٢: ١٣٠.

ولا تحدث لي عزاً ظاهراً إلّا احدثت لي ذلة باطنة عند نفسي بقدرها ... اللّهم لا تدع خصلة تعاب مني إلّا أصلحتها ولا عائبة أؤنّب بها إلّا حسّنتها ولا اكرومةً فيّ ناقصة إلّا اتممتها ... اللّهم اجعلني اصول بك عند الضرورة واسألك عند الحاجة واتضرع اليك عند المسكنة ... اللّهم خذ لنفسك من نفسي ما يخلّصها وأبق لنفسي من نفسي ما يصلحها ، فإن نفسي هالكة أو تعصمها» .

ولا يسع المجال للتوسع فإن العطاء واسع .

الخط الثالث : التربية العملية للافراد على السير نحو الكمال .

ذلك أن الاسلام ـ كما هو واضح للمتتبع لبرامجه وخططه ـ لايكتفي بطرح النظرية العامة في مختلف المجالات ، بل يعمل على تفصيلها وتوضيحها وتقديم النماذج العملية والحسية لها لتتوضح امام الاذهان وتتركز في النفوس .

ولكي ينظر الناس إلى اهل البيت عليهم السلام نماذج حية للانسان الكامل نجد الآيات الكريمة والروايات الشريفة تطرحهم بوضوح ، وتؤكد على مرجعيتهم العلمية وكونهم نماذج عليا تطبيقية للمفاهيم المتقدمة ، فهم رمز الطهارة ، وهم محلّ المودة ، وهم سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق ، وهم باب حطة ، وهم باب مدينة العلم ، وهم مع الحق والحق معهم ، وهم حبل الله ، وهم الثقل الاصغر بعد الثقل الاكبر وهو القرآن ، وهم محل الولاية واصولها ، وهم الراسخون في العلم ، وغير ذلك .

ولكي يتجلى الحب والمودة وترتبط الامة ارتباطا عاطفياً حاراً بهم ، نجد الصلاة والسلام عليهم تقارن الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وتكملها ، وإلّا عادت بتراء .

بعد كل هذا نلاحظ أن تاريخهم وسيرتهم يكشفان عن نماذج عالية هي الاسلام المجسّد والقرآن المطبّق في مختلف المجالات الانسانية ، فهم الخلق العالي والسلوك السامي والخلق الحميد ، والعلم الواسع ،

والاهتمام الاقصىٰ بقضايا الامة اينما كانت ، والسهر علىٰ مصالحها وتقديم مصلحتها علىٰ أية مصلحة اخرىٰ ، فالامام الباقر يؤسس مدرسة علمية ضخمة يستمد من معينها العلماء ، والامام الصادق يعمل علىٰ توسعتها ودفع الشبه المثارة حول الاسلام والوقوف بوجه الاتجاهات الفقهية الخطيرة والمنحرفة ، والامام الكاظم يتحمل العذاب الطويل لبيان الحق ، والامام الرضا يدخل في قلب العمل الاجتماعي ويكافح الانحراف ، والامام العسكري يبعث بتلامذته إلى الكوفة ليردوا علىٰ شبهات بعض الفلاسفة ، وهكذا نجدهم عليهم السلام قمماً في الفكر والسلوك تستحق أن تقتدي بها الاجيال .

والتاريخ ينقل لنا الكثير من الاساليب العملية التي نفذّوها لبناء جيل اسلامي طليعي متقدم ، وزرع افراده في قلب الامة ليقوموا بدورهم في اكسابها السلوك الاجتماعي الذي يطلبه الاسلام ، بعد أن كانوا هم القمة في الورع والخلق الحميد .

وكتب الروايات زاخرة باوصاف هذه الفئة الطليعية . يقول الامام العسكري عليه السلام : **«شيعة علي هم الذين لا يبالون في سبيل الله أوقع الموت عليهم أو وقعوا علىٰ الموت ، وشيعة علي هم الذين يؤثرون اخوانهم علىٰ انفسهم ولو كان بهم خصاصة ، وهم الذين لا يراهم الله حيث نهاهم . ولا يفقدهم من حيث امرهم . وشيعة علي هم الذين يقتدون بعلي في اكرام اخوانهم المؤمنين»**(٣٣).

ويقول الامام الباقر عليه السلام : **«ما شيعتنا إلّا من اتقىٰ الله واطاعه ، وما كانوا يعرفون إلّا بالتواضع والتخشّع واداء الامانة وكثرة ذكر الله ...»**(٣٤).

ويقول الامام علي عليه السلام : **«شيعتنا المتباذلون في ولايتنا المتحابون في مودتنا المتزاورون في احياء امرنا ، الذين إذا غضبوا لم يظلموا وإن رضوا لم يسرفوا ، بركة علىٰ من جاوروا ، سلم لمن خالطوا»**(٣٥).

نسأل الله جل وعلا أن يجعلنا منهم ويوفقنا للسير علىٰ خطىٰ اهل البيت عليهم السلام .

(٣٣) التفسير المنسوب للامام العسكري: ٢١٩.

(٣٤) تحف العقول: ٢٩٥.

(٣٥) الكافي ٢:٢٣٦.

من وحي سيرة الإمام الصادق عليه السلام

١

* نبيل علي صالح
(سورية)

● المبحث الأول : مقدمة تاريخية

ولد الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام بالمدينة المنورة في السابع عشر من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين للهجرة النبوية الشريفة .

وقد كانت الفترة الزمنية التي عاشها عليه السلام حافلة بالأحداث السياسية والاجتماعية ، التي يمكن رصدها زمنياً وتاريخياً في النقاط التالية :

النقطة الأولى :

عاشت الأمة الاسلامية أجواء الإنحراف ، في طبيعة الحكم والممارسة الإسلامية ، منذُ أن نجحت السقيفة ـ كمشروع تفتيت سياسي واجتماعي وثقافي ـ في تحقيق أهدافها القبلية المشبوهة على صعيد رئاسة الدولة في طبيعة الزعامة القيادية ، وواقع المجتمع والناس في طبيعة العلاقات الناظمة ، وعلى صعيد الأمة من خلال

حتمية انهيارها وذوبانها في مشاريع المسخ والاستلاب والتبعية .

وقد كان من الطبيعي أن تعطي ثقافة السقيفة للأمة امتدادها التاريخي المنحرف ، بأن تقدّم لها إسلاماً مشوهاً ممسوخاً لا يحفظ الصلة العاطفية ، فضلاً عن الفكرية(*) ، بين أشرف رسالات السماء وأشرف أمم الأرض ، فلا يمكن أن يحفظ هذه الصلة العاطفية الروحية بين الأمة الإسلامية وبين الإسلام .

لقد كانت النتيجة الأولىٰ لنمو هذا المنطق القبلي المخالف لروح وقيم الإسلام الأصيل ، هي ابتعاد المسلمين عن ممارسة التجربة الصحيحة للإسلام ، وإدخالهم في متاهات النهج الجاهلي المعبّر عن نزعة ذاتية طغيانية في الوصول إلى كرسي الحكم ، حتىٰ ولو كان ذلك علىٰ حساب طموحات وأداء مبادىء الرسالة ، ومنظومتها الفكرية والتشريعية .

(*) الشهيد السيد محمد باقر الصدر، أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف: ١٣.

النقطة الثانية :

عانت الأمة بعد أن نجحت حالة الانحراف في مسخ هويتها واستبدالها بهوية جاهلية ، وتسلّط ذوو الأهواء وأصحاب المطامع عليها، أقول : عانت الأمة بقواها المعارضة والمجاهدة ، حالات الذوبان والانصهار في إرادات الحكام ؛ وكان من الطبيعي جداً أن تشهد تلك المرحلة مزيداً من الأزمات المعقدة والنكبات العاتية ، التي ظهرت من خلال قتال الحكومة الإسلامية الرشيدة ممثلة بإمامة وقيادة علي عليه السلام للناكثين والقاسطين والمارقين علىٰ القانون الإسلامي، وما أفرزته هذه الحالة الأمنية العسكرية الضاغطة من إرهاق نفسي وسلوكي ، واستنزاف مادي تعبوي أثّر سلباً علىٰ خط الجهاد والدعوة في بعض مفاصله العامة ولا سيما بعد استشهاد الإمام علي وظهور أحداث وظروف موضوعية أفضت راهناً إلى صلح الإمام الحسن معاوية ، ولاحقاً إلى استشهاد الإمام الحسين .

النقطة الثالثة :

معاصرة الإمام الصادق للأجواء السياسية والأمنية التي ترافقت مع نهاية الحكومة الأموية ، ووعيه لطبيعة ممارساتها وخططها التي قضت بالسيطرة على مقدرات الأمة من خلال اتباع سياسة الترهيب والترغيب ، والتأكيد على مبدأ القوة الحديدية القمعية ، من قتل الناس الأبرياء ، وتبذير الأموال العامة في أماكن اللهو والطغيان ، وهدر ثروات العباد ، وملاحقة المؤمنين والصلحاء ، والضرب على أوتار القبلية والعشائرية عبر إذكاء وإشاعة الصراع القبلي وممارسة التصفية الجسدية للأعلام الشيعة ، وهدم دورهم ، وإسقاط جميع حقوقهم المدنية ، وإعلان سب الإمام علي على المنابر وفي المحافل الرسمية العامة ، وتغذية الناس ببغضه ، وممارسة سياسة كم الأفواه، وشراء الضمائر ، وتأجير العقول ، وبالتالي إدخال الأمة في غياهب المجهول الغارق بالضبابية والصراعات الفئوية والذاتية الضيقة .

النقطة الرابعة :

انتهى الحكم الأموي الجائر ـ كما بدأ تماماً ـ بالدم والقهر والإستعباد ، فكان ذلك مرتعاً خصباً لقيام دولة بني العباس تحت ستار الدين من خلال دعوتها وشعارها الإسلامي المزيّف مناصرة آل محمد والانتقام من أعدائهم مستغلة عظمة الإسلام بحرارته الرسالية في نفوس المسلمين .

لكن سرعان ما تكشفت هذه السياسة الماكرة لبني العباس ، وزالت الأقنعة عن حقائق الشعارات المرفوعة ؛ إذ لم تكن هذه الدولة في مضمونها وفي مسيرتها ونوعية أهدافها إلاّ امتداداً جديداً لظاهرة الفرعنة الأموية بسلوكها وعقيدتها والتزامها .

لقد أنتج هذا الجو المحموم والضّاغط سياسياً وأمنياً آليات عمل فكرية وحركية ، من خلال التحول النوعي في نطاق الممارسة

الإمامية من حالة ردة الفعل والإستجابة الظرفية على مستوى الطرح العاطفي الساذج ، إلى حالة الفعل الإيجابي المنتج لنمط واع من العمل المقترن بشرائط وقوانين متحركة في إطار ظروفها الموضوعية الفكرية والعملية ، بعد فهم واقعي للنصوص القيمية والعقيدية ـ إذا صح التعبير ـ باعتبارها منارة التحرك والوضوح في طبيعة المسيرة الهادفة ؛ وهذا ما لاحظناه جلياً في معطياته الواقعية وتشخيصه الصحيح من خلال الإضطراب العمومي ، والتقاتل الداخلي الناتج عن حالات التخلخل في عمق البنية الاجتماعية والسياسية التي أحدثت موجات عارمة من الثورات ومشاريع الاستنهاض على اختلاف أهدافها وغاياتها .

في هذا الجو الرهيب والوضع المعقد المشحون بالعصبية الذاتية والنزعة الفردية التسلطية ، برزت شخصية الصادق عليه السلام قائداً رسالياً ربانياً يحمل للأمة أطروحة فكرية إسلامية ، وينشر تعاليمها وأُصولها العامة استمراراً فعّالاً لنهج وقيادة الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام من قبله ، فأنشأ لهذه الغاية النبيلة والسامية ـ طبعاً بعد وعيه ودراسته لحالة الفوضى في طبيعة الانشغال السياسي والأمني للحكام بقضايا الصراع على العرش والخلافة وإمارة المؤمنين ـ مدرسة وجامعة إسلامية علمية ، تدرّس علوم الإسلام وآدابه وفلسفته لكل المسلمين من شتى بقاع الأرض .

استمر الصادق عليه السلام في عمله وريادته الفكرية والروحية ، ودعوته إلى التمسك بمبادئ الإسلام وهدى القرآن حتى آخر حياته الشريفة المليئة بالعطاء والغنى والبذل ، ونشر العلم ، وإشاعة المعرفة ، والتي توقفت عن التضحية بانتقاله إلى الرفيق الأعلى في عهد المنصور الدوانيقي عن عمر ناهز الستين عاماً . وقد دفن جسده الشريف الطّاهر في مقبرة البقيع مرقد الطُّهر والعلم .

المبحث الثاني : صفاته الأخلاقية العالية

أولاً : خصاله وقيمه الخلقيه وعناصره النفسية

ترتبط الأخلاق والقيم ، في حركة المجتمع الإنساني ، ارتباطاً وثيقاً بقضايا الإيمان والمسؤولية والحساب ؛ وذلك بالرغم من التنوع العملي الهائل في طبيعة التعاطي معها ، ووعيها على صعيد حركة الفرد ومسؤوليته في الحياة .

من خلال هذا المضمون اعتمد الإسلام أساليب مختلفة في البناء الرّوحي والأخلاقي بهدف بناء الفرد المسلم المنتج وقد خلّف لنا الإمام الصادق عليه السلام في هذا المجال (الأخلاقيات والقيم) ثروة كبيرة ، وجدنا أثرها الواضح في شخصه ونفسيته ونهجه وسلوكه الأخلاقي الرفيع ، الذي بات يشكل ركيزة هامة في موضوع التربية الأخلاقية في الإسلام من حيث نموذجية الاقتداء والتأسّي الحسن .

وقد أوسع الكتّاب والباحثون سيرة وحياة الصادق تحليلاً ودراسة وعرضاً لخصاله الأخلاقية العالية من علم وإيثار وتضحية وأدب وكرم ومروءة وشجاعة ومحبة شكّلت بمجملها رصيداً حياً ومخزوناً سلوكياً طموحاً ، تميّزت بها شخصية إنسان عاش عمق الانتماء للإسلام في وعيه وعاطفته وسلوكه .

قال عنه مالك بن أنس : «وهو من رؤساء المذاهب الإسلامية» ، معرباً له عن إعجابه بشخصيته المبدعة : «وما رأتْ عين ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد الصادق علماً وعبادة وورعاً»[1] .

وقال عنه أبو حنيفة : «ما رأيتُ أعلم من جعفر بن محمد . وإنه أعلم الأمة»[2] . ومشهور قوله : «لولا السنتان لهلك النعمان» ، يعني السنتين اللتين حضر هو فيهما مجلس العلم والدرس عند الإمام الصادق .

(١) تهذيب التهذيب ٢:١٧٤.

(٢) جامع أسانيد أبي حنيفة ٢:٢٢٢.

وقال عنه الجاحظ : «جعفر بن محمد الذي ملأ الدنيا علمه وفقهه ، ويقال : إنّ أبا حنيفة من تلامذته ، وكذلك سفيان الثوري ....»[٣] .

وجاء في كتاب الملل والنحل للشهرستاني : «جعفر بن محمد الصادق هو ذو علم غزير ، وأدب كامل في الحكمة ، وزهد في الدنيا وورع تام عن الشهوات ...» .

ومن الواضح من خلال كل تلك الأقوال التي أدلى بها بعض أئمة الفكر وكبار المؤلفين ، أنّ شخصية الصادق عليه السلام تُجسّد ـ بعلمها وعملها ـ جامعة إسلامية تزخر بالعقلية المتفتحة والمبدعة ، والحركية النابضة بالوعي والانتماء والمسؤولية ، والقوة الفكرية بحجم الفكر المتطور المنسجم مع واقع الحياة والكون في جميع مراحل الحركة التاريخية البشرية . وننقل هنا بعض مناقبه وفضائله :

١ ـ سمو أخلاقه :

كان عليه السلام يحسن إلى كل من أساء إليه ، وقد أنضج هذا السلوك عند المسيئين إليه ثمار المحبة له والالتزام بنهجه فسيطر على قلوب الكثيرين منهم وجذبَ عواطفهم بأخلاقه وقيمه .

روى المؤرخون : «أنّ رجلاً من الحُجّاج توهّم أنّ هميانه قد ضاع منه ، فخرج يفتش عنه فرأى الإمام الصّادق عليه السلام يصلّي في الجامع النبوي فتعلّق به ولم يعرفه ، وقال له : أنت أخذت هميانى ، فقال له الإمام بعطف ورفق : **ما كان فيه** ؟ ، فقال ألف دينار ، فأعطاه الإمام ألف دينار ، ومضى الرجل إلى مكانه فوجد هميانه فعاد إلى الإمام معتذراً منه ، ومعه المال فأبى الإمام قبوله وقال له : **شيء خرج من يدي فلا يعود إليّ** فبهر الرجل وسأل عنه ، فقيل له : هذا جعفر الصادق ، وراح الرجل يقول بإعجاب : لا جرم هذا فعال أمثاله»[٤] .

وفي حديث آخر قال عليه السلام : «**إنّا أهل البيت مؤونتنا العفو عمّن ظلمنا**»[٥].

(٣) رسائل الجاحظ للسندوبي: ١٠٦.

(٤) الامام جعفر الصادق، لأحمد مغنية : ٤٨ .

(٥) الخصال : ٧ .

٢ ـ تواضعه ونكرانه لذاته :

روي[٦] : «أن رجلاً من السواد كان يلازمه ، فافتقده فسأل عنه ، فبادر رجل فقال مستهيناً بمن سأل عنه : إنه نبطي فرد عليه الإمام قائلاً : **أصل الرجل عقله ، وحسبه دينه ، وكرمه تقواه ، والنّاس في آدم مستوون**» ، فاستحيىٰ الرجل ، وكان عليه السلام من شدة تواضعه وحبه للناس (وهو الإمام وسيد المسلمين) كان يجلس علىٰ الحصير[٧] .

وقد قال ذات مرة لرجل من إحدىٰ القبائل : «**من سيّد هذه القبيلة ؟** فبادر الرجل قائلاً : أنا ، فأنكر الإمام عليه السلام ذلك ، وقال له : **لو كنت سيّدهم ما قلت : أنا**»[٨] .

٣ ـ كرمه وجوده وندّيّة كفه :

١ ـ دخل عليه أشجع السلمي فوجده عليلاً ، وبادر أشجع وسأل عن سبب علته ، فقال عليه السلام : «**تعدّ عن العلة ، واذكر ما جئت له** ، فقال :

ألبسك اللّـــه مـــنه عـــافية ... في نومك المعتري وفي أرقك
يخرج من جسمك السقام كما ... أخـرج ذل الفـعال مـن عـنقك

وعرف الإمام حاجته فقال لغلامه : **أي شيء معك ؟** فقال : أربعمئة، فأمره بإعطائها له»[٩] .

٢ ـ سأله فقير فاعطاه أربعمئة درهم ، فأخذها وذهب شاكراً ، فقال عليه السلام لخادمه ، : «**أرجعه** ، فقال الخادم : سئلتَ فأعطيتَ ، فماذا بعد العطاء ؟ قال عليه السلام : **قال رسول الله صلى الله عليه وآله : خير الصدقة ما أبقت غنياً ، وإنا لم نغنه ، فخذ هذا الخاتم فأعطه فقد أُعطيت فيه عشرة آلاف درهم ، فإذا احتاج فليبعه بهذه القيمة**»[١٠] .

٤ ـ عبادته وصلاته :

قال منصور الصيّقل : «رأيت أبا عبدالله عليه السلام ساجداً في مسجد النبي صلى الله عليه وآله ، فجلست حتى أطلت ، ثم قلت : لأسبّحن مادام ساجداً فقلت : سبحان ربي وبحمده استغفر الله وأتوب إليه ثلاثمئة ونيفاً وستين مرة فرفع رأسه»[١١] .

(٦) مطالب المسؤول عن الموسوعة ١ ـ ٢ : ٦٦.

(٧) النجوم الزاهرة ٥ : ١٧٦.

(٨) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ١ : ٣٢.

(٩) مناقب آل أبي طالب ٤ : ٣٤٥.

(١٠) الامام جعفر الصادق، لأحمد مغنية : ٤٧.

(١١) أعيان الشيعة ٤ ق ٢ : ١٣٨.

ثانياً: حكمه ووصاياه وجوامع كَلِمِه

عاش الإمام جعفر الصادق في دائرة الرسالة والوحي، وتربّى على نهج القرآن، وآداب الرسول، وخُلُقِ الإسلام، مثلما كان الحال بالنسبة لبقية الأئمة عليهم السلام، الذين تحول نهجهم المتين وسلوكهم الأخلاقي المتوازن إلى دروس عليا في الحكمة والموعظة الحسنة، تفتح للإنسانية آفاقاً واسعة من مفاهيم المحبة والكمال والجمال الهادف، والتوجيه الإرشادي البنّاء.

لقد أراد عليه السلام من خلال هذا التراث الفكري الخالد من المواعظ والحكم والكَلِم الطيّب، أن ينتصر لقيم ومبادئ المجتمع الإسلامي الفاضل، ويهذّب نفوس مواطنيه من دنس الخطايا والرذائل، ويحملهم على التزام الفضائل والخصال الحميدة العليا[١٢].

وفيما يلي نستعرض بعض هذه الحكم والمواعظ، وندرس في ضوئها ـ في جانب معين ـ فلسفة القيم في الإسلام:

١ ـ الصبّر والحرية.

٢ ـ حب الدنيا والزهد فيها.

٣ ـ الكسل والدّعة.

٤ ـ الإسراف والتبذير.

٥ ـ أخلاقية القوة في الإسلام.

٦ ـ دور التكافل الاجتماعي في بناء المجتمع المؤمن (ضمانة وقوة).

١ ـ الصبر والحرية:

يقول الإمام الصادق عليه السلام: **«وإنّ الحرّ حرٌّ على جميع أحواله، إنْ نابته نائبة صبر لها، وإنْ تداكّت عليه المصائب لم تكسره وإن أُسِر وقُهِر»**[١٣].

تعتبر الحرية بمعناها الإنساني أغلى ما يملكه الإنسان في وجوده واتساعه الكوني. إنها تأتي ممزوجة مع نفوسنا وأرواحنا، لكنها

(١٢) وذلك بشرط عدم إثارتها بطريقة حتمية مطلقة يقف عندها الانسان جامداً أمام مشاكله وتحدياته. لأنك عندما تُدخِل الانسان في حتميات واقعه فإنك تغلق عليه أبواب حرية الحركة داخل القيمة وتعزله عن الحياة والواقع، لذلك علينا أن نلتزم القيمة ونحركها في ممارساتنا ونخطط لها، ليس في المطلق، لأن ذلك يسقط الانسان والقيمة معاً، وإنما نخطط لها ونلتزمها في حجم قدراتنا الأرضية، واستعداداتنا الذاتية، وقابليتنا الانسانية الطبيعية. ومن خلال ذلك يمكن أن نطور الحياة، ونحركها لصنع انسان جديد يعمل على إنتاج واقع مستقر ومتوازن على الأرض.

(١٣) محمد بن يعقوب الكليني، أصول الكافي ٩٦:٢ دار التعارف، ١٩٩٠ ـ بيروت، تحقيق: محمد جعفر شمس الدين.

تعيش أزمتها ـ في الأساس ـ داخل ذاتنا ونسيجنا الحي من خلال وجود هذه الثنائية الصراعية[١٤] ـ إذا صح التعبير ـ بين داخل الإنسان وخارجه . إنها كيان يولد في رحم الفطرة ويتنامى بحركية مستمرة في المدى الخارجي الذاتي والموضوعي ولعلنا لا نغالي إذا ما قلنا إن أعمق وأوضح مفهوم وتصوّر عرفه الإنسان عن معنى الحرية ، هو المفهوم الإسلامي القرآني الذي ينطلق من خلال اعتبار «العبودية للّه جوهرة كنهها الربوبية» ، أي إبرام وإقامة عقد عبودية بين الإنسان واللّه ؛ وبمجرد الإتمام والإنجاز العملي لهذا العقد يصبح الإنسان مرهوناً ومحكوماً بعقد الحرية مع نفسه ومع الآخرين ، أي يصبح عبداً للّه من جهة وحراً أمام كل وجودات ومظاهر الطبيعة الأخرى من جهة ثانية .

إنّ عقد العبودية مع اللّه تعالى هو الالتزام الذي يقذف الإنسان في قلب الحرية ، ولكن الإنسان في الوقت نفسه مثقل بعبوديات كثيرة متنوعة من الرغبة والخوف والضعف وغيرها[١٥] ، وحياته فرداً ومجتمعاً ميدان مواجهة مستمرة مع هذه العبوديات . وموجبات عقد العبودية مع اللّه تعطي للإنسان هدفاً أساسياً وحيداً هو امتلاك الحرية ، أي تحويل الحياة إلى ميدان للصراع مع كل العبوديات[١٦] التي تتناقض مع عقد الحرية ، حيث لا عبودية حقيقية للّه بدون حرية حقيقية ، والعكس صحيح .

من خلال هذا العنوان الكبير رأينا الإمام الصادق عليه السلام يؤكد أنّ الإنسان نفس تحب وتعشق ممارسة الحرية في الحياة مهما كانت الاثمان والنتائج ؛ لأن مواجهتك للحياة بكل فكرها وطاقاتها وبكل قضاياها القيمية الكبيرة ، لايمكن أنّ تتجسّد على أرض الواقع أو تتحقق في إرادة إنسان إلاّ بالصبر والوعي المفكّر ، الذي يتحول من خلاله الإنسان إلى قوة هائلة تعطي للحرية حيويتها ومعناها الأرحب

(١٤) الملاحظ أن التفكير الغربي بقضية الحرية يعاني من قصور وخلل في وعيه لمسألة الحرية، فالانسان الغربي كالشرقي تماماً ميال للحرية، لكنه يبقى في نظرنا متعطشاً لمزيد من الحريات والخيارات الواقعية بسبب وصائية قيمة الحرية هناك، وضغط عوامل ونظم الحكم الاعلامية والثقافية التي تحدد له معنى واحداً وصنفاً فردياً للحرية، تستخدمه كأداة ميكانيكية في خدمة وسيطرة النظم المعرفية العاملة، مهما كان ثمن ذلك، بقطع النظر عن تناسب أو عدم تناسب هذا المعطى معه. وعن مدى تلبية ذلك لحاجاته كفرد ـ انسان .

(١٥) السيد محمد حسن الأمين، بحوث وحوارات قرآنية: ٢٠٨، الدار العالمية ١٩٩٤، بيروت ـ لبنان.

(١٦) ومن أقسى هذه العبوديات المعاصرة (المطلوب رفضها ومواجهتها)، عبودية الكيان الصهيوني والاستكبار الاميركي العالمي. والقضاء والقدر الذي يحاولون فرضه علينا فيما يسمى «بالنظام الدولي الجديد» و«مفاوضات التسوية».

والأوسع في صدّ كل المشاكل والتحديات .

إنّ الصادق عليه السلام يربط بين مفهوم الحرية وبين مفهوم الصبر . أن تكون حراً يساوي أن تكون صابراً . الحرية ليست شيئاً يعطيك إياه الآخرون ، وإنما هي شيء تعيشه إرادتك من حيث يعيشه فكرك ، وتعيشه قناعتك من حيث يعيشه موقفك[١٧] .

الذين لا يعرفون معنىٰ أن يعيشوا الجراح بكل قساوتها ، والذين لا يعرفون معنىٰ أنْ يواجهوا المشاكل بقلوب مطمئنة ، لن يكونوا أحراراً في الحياة .

وهكذا كان إمامنا الصادق عليه السلام يذوق مرارة الجرح ، وقسوة الموقف ، وعذاب التّحدي ، ووجع الحرية من أجل محاربة الذل والعبودية .

كان يواجه تشريعات القتل ، وأوامر تبديل شريعة اللّه ، وكبت الحريات العامة ، وايقاف حركة المجتمع . كان يواجه كل تلك العواصف بقلب مطمئن وروح هادئة ، فأعاد إلى النفوس استقرارها واطمئنانها بالاسلام ، وأحياها بالحرية الإنسانية والصبر المتوثّب صبر المتقدمين وليس صبر المنهزمين . يقول عليه السلام : «حياة المؤمن لا تتم إلّا بالصبر والمداراة»[١٨] .

ويقول مخاطباً الشباب : «يامعشر الأحداث ، اتقوا اللّه ولا تأتوا الرؤساء. دعوهم يصيروا أذناباً . لا تتخذوا الرجال ولا ئج من دون اللّه»[١٩] .

إنه إعلان مواجهة ورفض حاسم لعبودية الطبقات والمذاهب السياسية ، والتقاليد والأعراف الاجتماعية البالية والمتخلّفة .

وما أحوجنا في عصرنا الراهن إلى هذا النمط الواعي والعاقل من التفكير المستقل الحر ، والمنطلق بإتجاه تأسيس مواقع قوية للعمل الإنساني المنظّم والمنضبط في إطار مجتمعه وأمته . ألسنا بحاجة ماسة لتغيير واقع التفكك ، وعلاقات التنابذ والتباعد التي نعيشها في

(١٧) السيد محمد حسين فضل اللّه، من خطبة قيمة ألقاها سماحته في مدينة القرداحة عام ١٩٩٤.

(١٨) الحكم الجعفرية : ٧٢.

(١٩) البحار ٢٤٦:٢٤، ح ٥ .

مواقفنا وعلائقنا السياسية والاجتماعية والثقافية ، وفي أسلوب تفكيرنا وتحليلنا للواقع المعاش ؟

ألا نحتاج إلى إعادة نظر ـ أو على الأقل مراجعة ـ لحساباتنا الفكرية والسياسية ، وأساليب تعاملنا مع مشاكلنا ، ومقوّمات مواجهتنا للتحديات الراهنة ؟

يجب أن نعترف بأننا هزمنا في صميم مشروعنا الوطني والقومي بل حتى الاسلامي الذي يحاصر ويلاحق ويسجن ؛ ونحن نتحمل أسباب هزيمتنا بالدرجة الأولى .

نعم قد يكون من الممكن توجيه اللوم إلى الغرب في كثير من العلل والانقسامات التي نشكو منها ، والتي نشأت من خلال حركة الاستعمار القديم الجديد ، لكننا نحن ـ باعتبارنا مفكرين أو جماعات تدّعي النخبوية السياسية والثقافية في داخل مواقع السلطة أو خارجها ـ نتحمل مسؤولية كبيرة في هذا التفسخ التاريخي والسياسي والثقافي .

لذلك ـ كما نرى جميعاً ـ توجد هناك تحديات واسعة داخلية وخارجية تريد إسقاط الاسلام الذي عاد آخر عناوين ومقومات صمود هذه الأمة . والمطلوب عملياً هو السعي الدائب والمجاهدة المستمرة لإنجاز مشروعنا العام .

وبداية علينا أن نعيش حالة طوارئ واستنفار في فكرنا وسياستنا، وأن نبتعد عن أجواء التكاسل والتراخي والتواكل ، ولا نسمح للآخرين باستخدام قيمنا ومبادئنا[٢٠] . بطريقة تشرّع ظلمهم وعنصريتهم .

٢ ـ حب الدنيا والزهد فيها :

حذّر الامام عليه السلام من الافتتان بالدنيا ، والتعلق بأهوائها ، والاستغراق

(٢٠) حتى وصلنا إلى مستوى عالٍ من الوعي والتفكير بحيث انطلقنا لنفكر بأن مسألة أن يكون الفكر واقعياً يعني أن ينحني أمام الأمر الواقع ويسلّم له، لكن إن معنى واقعية الفكر، أن تتحرك عملياً من أجل تغيير الواقع بوسائل وأدوات الواقع التي تحتاج إلى من يصنعها ويزرعها ويحركها ويصبر عليها وعلى ثمنها بالباهظ، والواقعية تفرض عليك أن تجمع وتكثّف وتركّز عناصر القوة في نفسك وواقعك في سياستك وفكرك وإعلامك لتحمي انسانيتك ولتفرض على الذي يريد أن يضطهدها ويصنع لها الجراح، أن يعود انساناً من خلال ضغطك عليه كوسيلة لحماية انسانيتك. لذلك يجب أن نعي حقيقة هامة جداً وهي: إن الصبر على المبادئ الكبيرة ـ كالحرية مثلاً ـ يكلّف كثيراً من الدماء ومن الدموع، لكن الصبر كقيمة انسانية، يُمؤن الانسان بالأمن والاستقرار والطمأنينة، ويعصمه من الحزن والقلق السلبي. إنه الصبر في ساحة اللقاء والمواجهة والعمل. وليس الصبر في الذات القانعة المنخذلة.

في ملذاتها .

يقول عليه السلام : «من تعلّق قلبه بالدنيا تعلق فيها بثلاث خصال : همّ لا يفنى ، وأمل لا يدرك ، ورجاء لا ينال»[٢١] .

يربط الامام الصادق بين حبّ الدنيا والانشداد القلبي لها كمقدمة ، وبين كونها مصدر سلوك سيئ وانحراف للانسان نتيجةً ، أي أنه عليه السلام لم يذمّ الدنيا بذاتها ، ولكنه ذم حبها وعشقها والولع بها ، واعتبارها غاية ومنتهىٰ أمل . وكذلك ذم الدنيا المنحرفة والملذات المحرمة ، لا طيباتها والتمتع بمحللاتها .

لقد ذمّ الصادق عليه السلام عبادة الدنيا والتعلّق بها ؛ لأن التعلّق عائق أمام معرفة الله والحق ، الأمر الذي يكون مدعاة لإنكار كل القيم الانسانية الفاضلة .

لكن ذمّ الدنيا وإبراز النتائج السلبية المترتبة علىٰ التعلق بنهجها الأرضي، لا يعني أن نتطهّر من متطلباتنا وحاجاتنا البشرية ، وننسف من خلال ذلك أساس وجودنا وحركتنا خلفاء أرضيين في هذه الحياة، ولا يعني ذلك أيضاً أن تبقىٰ المعايير الأخلاقية الاسلامية مجرد شعارات جوفاء ، نعيش في عالمها الخيالي الخاص بعيداً عن حسابات الواقع والحياة ؛ لأن العدالة والمحبة مثلاً [٢٢] لا يمكن أن نحققهما بدون أن نتحرك خطوة عملية ملموسة باتجاههما من أجل تحسين وتركيز المعنى الحقيقي للعدالة في الحياة ، من عدل الحاكم ، وعدل القانون ، وعدل القضاء ، ومن أجل محاربة الظلم والبغض كي ننتج المحبة والسلام ، والملاحظ ـ في هذا المجال ـ أن فصل القيمة عن الواقع قد أدىٰ إلى صياغة ذهنية جماعية مشوّهة تؤمن بفصل الدين ، بقيمه وتشريعاته ومعاييره العقلية والأخلاقية ، عن الواقع الحياتي أيضاً .

تقوم هذه الذهنية علىٰ أساس أن الدين مجرد قيم سماوية مثالية

(٢١) موسوعة الامام الصادق ٣ و ٤: ٣٥٥.

(٢٢) نبيل علي صالح، نور الولاية : ١٤٤، مصدر سابق .

مقدسة لا عمل لها في نطاق الواقع المادي ومنطقة العقل البشري المحدود .

إننا نقول لهؤلاء جميعاً باختصار شديد : إن الدين ـ حالةً فكرية وسلوكية وشعورية ـ جاء بمجموعة كبيرة من القيم والمبادئ العملية التي أعطانا إياها اللّه تعالىٰ من أجل أن نمارسها في حياتنا ، ونجربها في ممارساتنا اليومية ولو بشكل جزئي محدود[٢٣] ؛ وذلك من أجل أن نرتفع بانسانيتنا وواقعنا الدنيوي إلى المستوىٰ الذي نتمكن فيه من التحرك في خط التكامل المادي والروحي ؛ لذلك فالتجربة الحية هي التي تصقل طبيعة مشاركة القيم في صنع انسانيتنا وتفاعلنا مع الحياة .

ومن خلال هذا الفهم نجد أن الدين لم يأتِ لنحبسه في الدائرة العبادية والطقوسية (الشعائرية) ، بل جاء ليعيش معنا في عمق تجاربنا وواقعنا الانساني الحي ، ويعايش عناصر وأبعاد الحياة البشرية كلّها ؛ لأن ذلك هو المنتج الحقيقي لمقوّمات استمرارية وجودنا في الحياة . وهنا نتساءل : ألا نستطيع أن نعتبر أن ذلك الفهم المغلوط للدين ـ مضافاً إلى عدم قدرتنا النفسية بالدرجة الأولىٰ علىٰ تجاوز قراءاتنا السابقة لنصوصه المقدسة ـ قد ساهم في تعميق ذهنية الفصل والرهبنة (الزهد بمعناه السلبي) لدىٰ الكثيرين ؟ ثم ماهي حقيقة الزهد الاسلامي ؟

بداية نقول : إن اللّه تعالىٰ قد استخلف الانسان علىٰ هذه الأرض ، ومن المتطلبات العملية لهذا الاستخلاف الرباني وجوب إعمار الأرض، والقيام بمهمات ومقومات هذا الإعمار .

ومن الواضح أن هذا الأمر لا يجتمع مطلقاً مع مفهوم الزهد بمعناه السلبي (الإبتعاد عن الدنيا والعيش علىٰ هامش الوجود والحياة) ؛ لأننا إذا كنا مطالبين من خلال النص القرآني والنبوي بالإعمار والبناء

(٢٣) لأن القيم جاءت لخدمة الحركة الانسانية في عمق ممارستها للواقع الحي، لتحميها من نقاط ضعفها، لذلك وطالما أن الانسان نسبي، فممارسته للقيمة الأخلاقية، وتفاعله معها لابد أن يكون أمراً نسبياً أيضاً، لكن يبقىٰ أمله قائماً في إلباس القيمة رداء المطلق.

من خلال ذلك نقول: أنه عندما تكون ممارسة القيمة الاكبر بداية سقوط للانسانية فلابد عندئذ أن نستخدم القيمة الاصغر خدمة وحماية لانسانيتنا من سوء ممارسة القيمة الاكبر كالصدق والكذب مثلاً. الصدق قيمة كبيرة ولكنك لا تستطيع أن تكون صادقاً في المطلق. لأنك قد تصل إلى مرحلة يكون فيها الصدق قيمة ضد وجودك وحريتك. فقد تقف أمام عدو يطلب منك أسرار وطنك وأمتك. هل يكون الصدق عند ذلك قيمة إنسانية كبيرة؟! طبعاً لا بل الكذب هنا هو القيمة الكبرى لأن الصدق عندها ـ يفترس حريتك ـ ويطبق علىٰ انسانيتك، من هنا نحن نؤكد ـ عندما نقول أن القيمة الأخلاقية نسبية حتى في الأديان: أننا لا نريد الإفلات والتحرر من القيم، بل نريد وعي القيمة في الواقع المتحرك من خلال أنها (القيمة) تمنحنا مساحة نستطيع فيها ان نملك حرية الحفاظ علىٰ قضايانا الكبرىٰ من دون إسقاط القيم .

الروحي والمادي ، فكيف نمارس الزهد بهذا المعنىٰ ؟

إن الزهد في الوعي الاسلامي أسلوب نفسي ونشاط عملي يقوم علىٰ أساس رفض ثانويات وامتلاك أولويات ضروريات .

إنه دعوة إلى امتلاك الأشياء ، ولكن بموازين وأساليب ووسائل تمكّننا من إدخال جرعة الموت الضرورية علىٰ العلاقة بيننا وبين الأشياء موضوع الامتلاك[٢٤] ، بما يجعل امتلاكنا لها أشد توازناً . إنها دعوة للملكية بعد تطوير وتحسين معنى الملكية[٢٥] ومفهومها .

يقول الصادق عليه السلام[٢٦] : **«أليس الزهد ألا تملك شيئاً ، إنما الزهد ألا يملك شيء»** .

إنه يدعونا إلى التحرر من استلاب الذات (الحاجة) عبر السعي لتغيير كيفية التملك لا مبدأ التملك ؛ ومن هنا يكون الزهد بمعناه الاسلامي الأصيل دعوة إلى البناء والعمل والإنتاج ، ويكون من ثم مقوماً أساسياً من مقومات العمران والنمو في هذه الدنيا . وبهذا المعنىٰ يستقيم المعطى الحضاري لاكتشاف الزهد وفق قابليتنا لاستيعابه باعتباره معادلاً لحرية الانسان الحقيقية ، حرية لا وجود فيها لاستلاب وتبعية للخارج بأي مظهر أو شكل .

علينا ـ إذن ـ أن ننجز حريتنا (زهدنا) الداخلية ، وتوازننا الداخلي الذي هو ثمرة عملية للزهد ؛ وبذلك يكون الزهد عاملاً نوعياً مهماً للنهوض والتطور (الإنجاز) الحضاري لأمتنا الاسلامية . ومن هذا المنطلق يكون الزهد هو الوجه الآخر للحرية التي تشكل هدفاً وغايةً للانسان ، وشرطاً اساسياً لاستمرار وجوده العمراني في الحياة .

٣ ـ الكسل والدعة :

حذّر الصادق عليه السلام من سلوك طريق الكسل ، واعتبره مفتاحاً لكل شر : **«أوصاني أبي بقوله : يا بني ، إيّاك والكسل والضجر ، فإنهما مفتاح كل**

(٢٤) السيد محمد حسن الأمين، مقالة في الزهد الاسلامي، جريدة السفير: ١٧، عدد يوم الجمعة ١٩٩٤/١٠/٧.

(٢٥) لاحظ الآية: ﴿... لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾.

(٢٦) إن هذا القول، يصلح شعاراً حاسماً (شعار بناء ومواجهة) لهذه المرحلة الساكنة، لأنه يترجم عملياً كل الضوابط والقيم والمبادئ الخاصة بروح الثقافة الإيمانية في صورته الاسلامية النقية.

شر . إنك إن كسلت لم تؤدّ حقاً ، وإن ضجرت لم تصبر على حق»[٢٧] .

وقال عليه السلام : «من كسل عمّا يصلح به معيشته فليس فيه خير لأمر دنياه»[٢٨] .

يتضح من سياق الحديثين السابقين تحذير الامام عليه السلام من الكسل العام ، لأنه يؤدي إلى إحداث ضعف وانهيار في اقتصاد الدولة ، ومن ثم ينتج الركود الاجتماعي ، وتتوقف حركة المجتمع ، ويحدث مزيد من الفشل في إحداث تنمية شاملة للفرد والأمة .

إن دعوة الصادق عليه السلام لمحاربة الكسل والدعة تمثل في مضمونها الداخلي دعوة حضارية شاملة لإعادة بناء الذات ، وصناعة الواقع في ضوء المفاهيم والقيم التي نلتزمها نظرياً في تفكيرنا ووعينا إنها دعوة للتخلص والتحرر من معنى الهزيمة النفسية والروحية التي أنطبع بها شارعنا السياسي ومشهدنا الثقافي ، بحيث أصبحنا أسرى لقانون الكسل العام بكل أبعاده الفكرية والنفسية أجل لقد دخلنا إلى جو مايسمى بفلسفة الكسل الذي انطلق من خلاله الأخرون ليفلسفوا لنا معنى الخضوع ، ومعنى الهزيمة والكسل .

لكن المطلوب هو الوقوف الجدي المسؤول في وجه هذه النظم القاسية التي تريد أن تطبعنا بطابعها الخاص .

إننا أمة نمتلك طاقة قوية قوة في فكرها وقوة في تراثها وقوة في داخل أرضها وفي سواعد وقلوب أبنائها ، لكن القضية الاساسية ليست فقط في امتلاكنا للقوة ، بل في كيفية إدارتها وتحريكها والعمل بها والاستفادة منها . نحن أمةٌ لم نُهزم وإنما هُزِم فقط من آمن عملياً بفلسفة الكسل والراحة والخنوع ، والذي استعار ثقته ووجوده من الآخرين .

هُزم هؤلاء الذين ابتعدوا عن ساحة المواجهة حتى قبل أن تبدأ ، أو حاولوا إبعاد القضية عن ساحة الحياة .

(٢٧) أدب النفس ١: ٢٢٠ نقلاً عن الموسوعة ٣ و٤: ٣٤٥.

(٢٨) وسائل الشيعة ١٢: ٣٧.

إنّ هذه الساحة تحتاج الآن إلى مجاهدين[٢٩] يصنعون القوة فكرياً وسياسياً وأمنياً وإعلامياً ، ويبنون الذات السياسية والثقافية الإسلامية العصرية القادرة على حركية المواجهة الحضارية المقبلة ، في عصر الاندفاعات الفكرية والمشاريع الثقافية القشرية الناهضة في غفلة الشعوب ، والذي تشكل بمجموعها حصيلة ثقافية ونسق قيمي حضاري غربي يرتكز على شعار ثقافة الإستهلاك والترف والاسترخاء ، الذي لازم مسار الحركة الحضارية في الغرب بفعل ضغط وهيمنة الرأسمال المادي ، وكل المفاهيم والبنى المعرفية المنبثقة منه أو المتداخلة معه سبباً ونتيجة .

وكل من يتحرك تحت هذا العنوان العريض ، يسعى جاهداً لجعل ثقافة الكسل والترف سلاحاً فعالاً بأيدي دعاة مشروع التصالح والسوق الشرق الأوسطية .

في مواجهة ذلك علينا كما أسلفنا تفعيل دور مشروع شعار الثقافة والقيم في حياتنا العامة على كل المستويات ؛ لأنه يشكّل في نظرنا سلاحاً كبيراً في أيدينا باعتبارنا أصحاب مشروع معارض لثقافة ومشروع الشرق الأوسطية ؛ والتجارب أكدت النجاح الكبير الذي حققه هذا السلاح كمّاً ونوعاً ، وتجربة الثورة الإسلامية في إيران ، والمقاومة الإسلامية في لبنان وفلسطين ، هي من التجارب الحية الفاعلة التي يجب قراءتها وتحليلها والاستفادة منها[٣٠] .

٤ ـ الإسراف والتبذير :

قال الإمام الصادق عليه السلام : **«إنّ السرف يورث الفقر ، وإنّ القصد يورث الغنى»**[٣١] .

نهى الصادق عليه السلام عن الإسراف والتبذير وحذّر من نتائجه السلبية في الإنفاق غير المشروع (في غير موضعه) ، مما يقضي على الثروة

(٢٩) انظروا فقط إلى المجاهدين الأبطال من أبناء المقاومة الاسلامية العاملين في الثغور في جنوب لبنان، وفلسطين المحتلة الذين صنعوا لنا بعض القوة السياسية والأمنية والإعلامية، وجعلونا نشعر بأننا نمتلك قوة استنهاض لا مثيل لها. قوة ممانعة واعتراض نوعي اتخذت من ثقافة وحضارة القيم الاسلامية شعاراً ومشروعاً لها في حجم الأمة كلها .

(٣٠) أرىٰ من اللزوم دائماً التأكيد علىٰ النموذج الإعتراضي الحي للمقاومة الاسلامية، التي استطاعت أن تبرز، خلال فترة زمنية قياسية، كأحد عناوين الممانعة والإعتراض علىٰ واقع الهزيمة، فكانت بحق وما تزال إشعاعاً منيراً ونقطة ضوء هادية في هذا الظلام .

(٣١) وسائل الشيعة ٤١:١٢ .

والموارد المادية ويجر الحرمان والمعاناة للإنسان .

ولعل الفكرة الأساسية في ذلك تنطلق من خلال أن الله يريد للإنسان أن يكون واقعياً ومتوازناً في إنفاقه وصدقاته ، ضمن الضوابط الموضوعية التي تحددها حاجاته الطبيعية ؛ ليكفل له ذلك الاستمرار في أداء وظيفته في هذا السياق . فالمال والثروة هما حاجة للإنسانية جمعاء وليسا مجالاً للهو والترف . إنهما وظيفة ومسؤولية وليستا امتيازاً ذاتياً ؛ لذلك على الإنسان أن يعرف موارد إنفاقه وإخراجه لثروته ، وأنْ يحدد عملياً طرق وأساليب أداء هذه الوظيفة باعتبارها مسؤولية فردية وجماعية ؛ ليمكن للحياة أن تسير في مجراها الطبيعي ، وتتوازن في علاقاتها العامة والخاصة ، فلا يذهب شيء من المال هدراً ، ولا يقع شيء منه في غير موضعه[٣٢] ؛ وبذلك يكون الإنسان منسجماً مع إرادة الله في حركة النظام الكوني على أساس الحكمة ، حيث يتحرك كل شيء فيه من موقع التوازن[٣٣] ؛ لذلك يجب على الأمة أن تعي كتلتها المادية وثروتها الطبيعية ومواردها العامة[٣٤] وأن تدرس ما بين أيديها من إمكانيات وحاجات فتحاول استثمارها في مواقعها اللازمة[٣٥] بدون إفراط أو تفريط في الواجبات ، الأمر الذي يجعل حركة الاقتصاد والإنفاق المادية والروحية ـ إذا صح التعبير ـ قيمة معنوية وروحية كبيرة ، كما أنها في الوقت نفسه قيمة مادية اقتصادية ، حيث يكون التفاعل والتمازج بين القيمة الروحية والقيمة المادية لحركة القيم في الإسلام .

٥ ـ أخلاقية القوة في الإسلام :

يقول عليه السلام : **«القوة مفتاح اليقين»**[٣٦] .

ويقول : **«إن الله عز وجل بعث رسوله في الإسلام إلى الناس عشر سنين ، فأبوا أن يقبلوا حتى أمره بالقتال ، فالخير في السيف وتحت السيف والأمر يعود كما بدأ»**[٣٧] .

(٣٢) السيد محمد حسين فضل الله من وحي القرآن حلقة ٩ : ٢٦١، دار الزهراء ـ بيروت، ط١.

(٣٣) على الصعيد الفردي والاجتماعي، وذلك في دراسة ووعي أنماط ومواقع الإسراف في المال واللباس والأكل والشرب والشهوة.

(٣٤) من وحي القرآن: ٢٦٢.

(٣٥) ببساطة نقول: نحن أمة غنية تحتاج إلى ادارة علمية مؤمنة لتنمية مواردها والإنفاق المتوازن (عدم الإسراف والتبذير) في طاقاتها ومواهبها (المهدورة والمستلبة أصلاً..) خاصة في ظروفنا العصيبة الراهنة.

(٣٦) الحكم الجعفرية: ٦٥.

(٣٧) وسائل الشيعة للحر العاملي ١١ : ٥ .

يثير هذا الحديث تساؤلات عدة حول طبيعة العلاقة بين الحركة الدعوية في الإسلام ، وبين منطق القوة الاسلامي .

هل صحيح أنّ الإسلام دين عنف وقوة (دين الأصولية[٣٨] في الاصطلاح الحديث) يتوسل بالقهر والإكراه والقتال للوصول إلى غاياته ومقاصده ؟

هل نستطيع اعتبار القوة هي المصدر الوحيد لانتشار الإسلام ، من خلال حركة الفتوحات التي عمّت أرجاء العالم ؟

تلك كانت بعض الأسئلة التي أثيرت ، وما زالت تثار إعلامياً وسياسياً ومخابراتياً من قبل كثير من الدعاة والنخب الحاقدة على الإسلام ؛ لإعاقة حركته الحضارية المنطلقة نحو مواقع العدل والحرية، والتشكيك بقدرته وامتداده واستمراريته المتصاعدة في ظل ظروف التحدي وردّ التحدي ، من خلال وصمه بتهم التعسف والظلم ، وأنه نموذج بدائي متخلّف لا يتحرك في أجواء الحوار والحرية الفكرية والسياسية . بل إن أكثر هؤلاء النخب الغربية أو المتغربّة كوّنت صورة مشوهة للإسلام، وهي أنه مشروع سياسي قمعي وإرهابي لا يعترف للإنسان بأدنى حقوقه ، وأبسط حاجاته الإنسانية في قضية الحرية والتعبير عن الرأي .

في الواقع لا نستطيع أن نفصل بين موضوع القتال والقوة في الإسلام ، باعتباره ضرورة حيوية ، وبين المبدأ (القيمة) الذي يبحث عن امتداد له في ساحة الحياة ، ويفتش عن أرض صلبة يتجذّر فيها وسط متاهات الضباب وعواصف الواقع ؛ ليوفّر له جو الحماية من العدوان دفاعياً ووقائياً (وليس هجومياً) ، أي ليردّ قتال أيّ عدوان محتمل ، ويحمي المبدأ من التحديات التي يمارسها ويحيكها ضده الآخرون ؛ تبعاً للمصلحة الإسلامية العليا .

فالعنف[٣٩] ـ بناء على ما تقدم ـ حاجة أساسية للمبادئ التي تريد

(٣٨) باتت هذه الكلمة (التي هي في الأساس مصطلح غربي المنشأ والهدف) مصدر رعب وتهويل الناس، والأنظمة التي صوّرتها كفزاعة أو كوحش أسطوري يريد أن يلتهم الجميع .

(٣٩) يلاحظ في الآونة الاخيرة، بعد أن أدخل الغرب واقعنا عموماً في الجو الاسترخائي ـ إذا صح التعبير ـ، أن الحديث قد زاد عن مسألة السلام، ومسألة القوة والعنف كقيمة (أو كشيء) لا ينسجم مع الحياة، ولا يلتقي بوجودنا فيها، وظهرت على السطح مفردات من قبيل اللين، والتسامح، والرفق، والمحبة، والتساهل .. الخ أطلقوها في دائرة المطلق من فكرهم وواقعهم. إننا نؤكد لكل هؤلاء الذين حرّكوا هذه المفردات، أو تحركوا في هذا الجو بوحي ذاتي أو خارجي. أن العنف واللين والقوة والسلام والراحة هي أشياء ذاتية لا تلون الحياة بلونها الخاص ولا تصبغها بصبغتها المطلقة، لذلك عندما يكون العنف هو الوسيلة الوحيدة لحماية الحياة والقيم، فهل يكون العنف شيئاً ضد الحياة وضد القيم؟ وبمقابل ذلك عندما يكون الرفق ـ في حركة الحياة ـ سقوطاً للحياة ورهناً للقيمة، فهل نوافق على سقوط الحياة والقيمة؟.

أن تتحدى وتجابه التحدي ؛ لأن اللين إذا أفاد مرة أو أكثر ، فإنه لا يحقق نتيجة حاسمة في أكثر الحالات[٤٠] ، ومن هنا لا تكون الدعوة هدفاً للعنف أو القتال ، أو إنها تعتبر القتال أو الجهاد أسلوباً من أساليب إكراه الناس والمجتمع على الدخول في الدين .

على هذا الأساس شرّع الإسلام الجهاد انطلاقاً من حاجته النسبية إلى القوة ، التي تحمي الرسالة وتفسح لها المجال العملي للامتداد في ساحة الدعوة والحياة ، وإيصال صوتها التبليغي ـ إذا جاز التعبير ـ إلى كل بقاع الأرض . وبهذا المعنى نجد أنّ موقع القوة ، في وعي الإسلام ، ليس موقع القوة التي تفرض على الناس بالإكراه ووسائل القهر والإستعباد .

وإذا كان الإسلام قد دعا إلى محاربة القهر والإكراه واغتصاب الحقوق الإنسانية ، ومواجهة المغتصبين بالقوة ، فكيف تُفسَّر نصوصه بطريقة توحي باعتماده أسلوب القوة في الدعوة ونشر قيم الله في الأرض ؟

إننا نعتقد أن الحديث عن القوة وأساليب العنف في واقعنا خاصة ، مرتبط بأهداف سياسية خارجية وداخلية تسعى جاهدة إلى تمرير مشروع عام بدأت تمهّد له نفسياً وإعلامياً ، هو مشروع التّرف والاستهلاك الذي يستعب الانسان لتنطلق في واقعنا الثقافي والاجتماعي ـ استعداداً للأجواء المقبلة ـ سياسة العنف الأمني والسياسي والفكري .

إنه الخضوع والهزيمة بعنوان الانتصار ، أي إنهم يتعبوننا لنفلسف الهزيمة فنجعلها انتصاراً[٤١] .

من خلال ذلك كله نجد أن حديث الامام الصادق عليه السلام عن السيف رمزاً للقوة لا يقصد منه اعتبار السيف أو القوة أساساً فكرياً وعملياً

(٤٠) السيد محمد حسين فضل الله، الاسلام ومنطق القوة : ٢٢٩، الدار الاسلامية، ط. ٣، ١٩٨٦ بيروت ـ لبنان .

(٤١) قد يتبادر للذهن أننا نكرر الأفكار، ونخرج عن سياقات البحث المختلفة، لكن يجب أن ننتبه هنا إلى نقطة هامة جداً، وهي أننا نحاول تركيز الفكرة في ذهنية القارئ والباحث لنؤكد على حالة الاستنفار الفكري التي يجب أن نمارسها في واقعنا يومياً ـ بعيداً عن حالة الخدر الثقافي ـ نظراً إلى طبيعة التحديات المصيرية التي تواجهنا. وفي ذلك فيما نرى، تدعيماً للفكرة وليس تكراراً لها، كما أنه ليس خروجاً عن إطار الفكرة، وهو أمر لا يخل بسياق البحث ومنهجيته العامة .

في حركة الدعوة الاسلامية ، بل الهدف من وراء ذلك ـ كما أسلفنا ـ إثارة التفكير بقوة الموقف الاسلامي من جهة ، واتباع أسلوب القوة لمواجهة التحدي القتالي المفروض على الرسالة دفاعياً ووقائياً من جهة أخرى ، لا سيما وأن الآيات القرآنية واضحة في الإجابة عن ذلك(٤٢) .

٦ ـ دور التكافل الاجتماعي في بناء المجتمع المؤمن (ضمانة وقوة) :

جاء في حديث الامام الصادق عليه السلام(٤٣) لأحد اصحابه المعلى ابن خنيس الذي وجه إليه سؤالاً : «ما حق المسلم على المسلم ؟ قال له : **سبع حقوق واجبات ، ما منهن حق إلّا وهو عليه واجب ، إن ضيّع شيئاً منها خرج من ولاية الله وطاعته ، ولم يكن لله فيه من نصيب . قلت له : جعلت فداك وما هي ؟ قال : يا معلّى ، إني عليك شفيق ، أخاف أن تضيّع ولا تحفظ وتعلم ولا تعمل . قال : قلت : لا قوة إلّا بالله . قال : أيسر حق منها أن تحب له ما تحب لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك ، والحق الثاني : أن تجتنب سخطه وتتبع مرضاته وتطيع أمره ، الحق الثالث : أن تعينه بنفسك ومالك ولسانك ويدك ورجلك ، والحق الرابع : أن تكون عينه ودليله ومرآته ، والحق الخامس : ألّا تشبع ويجوع ولا تروى ويظمأ ولا تلبس ويعرى ، والحق السادس : أن يكون لك خادم وليس لأخيك خادم فواجب أن تبعث خادمك فيغسل ثيابه ويصنع طعامه ويمهد فراشه ، والحق للسابع : أن تبر قسمه وتجيب دعوته وتعود مريضه وتشهد جنازته ، وإذا علمت أن له حاجة تبادره إلى قضائها ، ولا تلجئه أن يسألكها ولكن تبادره مبادرة ، فإذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايته وولايته بولايتك»** .

قرر الاسلام مبادئ تشريعية قانونية لتنظيم حركة الفرد المسلم على صعيده الذاتي والاجتماعي ، في إطار التخطيط الشامل لسلوك الانسان ومفاهيمه عن الكون والحياة .

(٤٢) نلفت النظر هنا إلى فكرة أساسية في البحث مفادها: أن القرآن أساس فهم السنة، لأنه يعطيها عنوانها الأصيل المشرق، ومع أنها (السنة) تشرح القرآن وتحلّله، لكنها تنطلق منه في طبيعة شرحها وتحليلها .

(٤٣) وسائل الشيعة ٨ : ٥٤٤ .

من هذا المنطلق شرع الاسلام نظام التكافل الاجتماعي في المجال المالي وفي نظام الحقوق الشرعية ، حتى على مستوى الترابط النفسي والتكامل العضوي الذي يحوّل التكافل الاجتماعي إلى حركة عفوية طبيعية لا أثر فيها للتكلف أو للالزام[٤٤] . وبما أن الهدف الأساسي للاسلام هو تحقيق العدالة الاجتماعية على طريق مسيرة الأمة نحو سعادتها وكمالها المطلوب ، فلابد أن تنشأ نتيجة لذلك سلسلة من التشريعات والضمانات التنظيمية العملية بمؤسساتها ومعاهدها وقوانينها المختلفة ، من أجل تحقيق هذا الهدف الكبير بما يمثله من قيمة روحية لدى اللّه تعالى بالمستوى الذي يتوازن فيه الجانب المعنوي الايماني مع الجانب الانساني ، ويمتزج الفردي بالجماعي ، سعياً وراء استمرار بقاء االمجتمع ونموه ، بينما تتحول القضية إلى العكس في حالة امتداد الروح الأنانية الانعزالية المستغلة لدى أفراده ، فإن التوازن الاجتماعي يبدأ بالاختلال والانحلال لينتهي إلى ضعف المجتمع بفقدانه عنصر التماسك ، وبالتالي إلى انحلاله وانهياره . ولعل التجارب الاجتماعية التي عاشها الكثير من المجتمعات العالمية التي انهارت أنظمتها وانحلّت علاقاتها ، كانت دليلاً حياً على صدق الفكرة الاسلامية التي دفعت بالتكافل الاجتماعي إلى القمة في نموّ المجتمع وقوته[٤٥] . وقد عبّر الامام الصادق عن هذه الحقيقة في حديث رائع يطرح فيه المشكلة الاجتماعية من جانبها الاقتصادي بطريقة واقعية .

قال عليه السلام : «**إنّ بقاء المسلمين وبقاء الاسلام أن تصير الأموال عند من يعرف فيها الحق ويصنع المعروف ، وإنّ فناء الاسلام وفناء المسلمين أن تصير الأموال في أيدي من لا يعرف فيها الحق ولا يصنع فيها المعروف**»[٤٦] .

(٤٤) السيد محمد حسين فضل اللّه، الاسلام ومنطق القوة: ١٤٧.

(٤٥) السيد محمد حسين فضل اللّه، المصدر السابق: ١٤٩.

(٤٦) الكافي ٤: ٢٥، يريد عليه السلام أن يقول لنا من خلال هذا الحديث: إن تسليم قيادتكم وأموالكم وسلطتكم إلى الآخرين سيمكّن العدو من حكمكم وفرض سيطرته عليكم بالقوة، وسيؤدي بكم هذا الامر إلى مزيد من الضياع والتشتت في وادي الحياة والإنشغال بالتّرهات والأباطيل والإبتعاد عن الوقائع والحقائق الراسخة، وهذا الوصف يعبّر أصدق تعبير عن الحالة العامة لأمتنا العربية والاسلامية في العصر الراهن .

ثالثاً : نظرة تحليلية عامة في طبيعة التشريعات الأخلاقية الاسلامية على ضوء معطيات الفكر الاسلامي عند الامام الصادق عليه السلام

أ ـ مصادر التشريع الأخلاقي في الاسلام :

يمثل التشريع الاخلاقي في الاسلام مجموعة من القوانين والضوابط والقيم (القواعد) الخلقية العامة ، التي تُلزم الانسان بسلوك طريق القيم الاسلامية وصولاً إلى تحقيق غايته وكماله الممكن له ، من خلال شعوره ومسؤوليته بوجوب تنفيذها والتقيد بها .

إن الاخلاق[٤٧] قوانين الغرائز التي أرسى الاسلام قواعدها العامة على أسس متينة ذاتية تتصل بواقع النفس البشرية ، وما تختزنه في داخلها من عوامل ومسببات الخير والشر ، وأخرى موضوعية لا تنفك عن الواقع الخارجي الذي يمارس فيه الانسان دوره وحركته المتبدلة والمتغيرة .

على ضوء هذه الرؤية نتساءل ماهي مصادر التشريع الاخلاقي في الاسلام ؟

المصدر الأول : القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام :

اعتبر القرآن أن الانسان ليس عقلاً فقط ، بل هو أيضاً كتلة من المشاعر والأحاسيس والدوافع والميول والرغبات النفسية الذاتية التي تؤثر في سلوكه ، وتحدد له في كثير من الأحيان مسيرته وحركته في الحياة : ﴿ **ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها** ﴾[٤٨] .

وقال الامام جعفر الصادق عليه السلام : «**جبلت القلوب على حب من ينفعها ، وبُغْض من أضرّ بها**»[٤٩] .

لذلك دعا القرآن الانسان إلى تحقيق التوازن في حياته بين القصد والممارسة ، بين النية والعمل ، بين العقل والرغبة (العواطف والنزعات) : ﴿ **قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دسّاها** ﴾[٥٠] ، وذلك من

(٤٧) يعرّف بعض الباحثين الأخلاق: بأنها جملة القواعد المتسالم عليها ذات المنشأ النفسي، قائمة على الاختيار والتضحية تهدف إلى تهذيب السلوك الانساني باتجاه تنظيم علاقته مع نفسه ومع الآخرين .

(٤٨) الشمس : ٧ ـ ٨ .

(٤٩) روضة الكافي: ١٥٢.

(٥٠) الشمس : ٩ ـ ١٠ .

خلال ضرورة معرفة النفس بميولها وحاجاتها الطبيعية (السريرة الداخلية) ؛ من أجل تقوية الممارسة والسلوك الخارجي للانسان ، وذلك بتأسيسه على ثوابت موضوعية تساعده في إكمال مسيرته التكاملية في الحياة . يقول الصادق عليه السلام : «**السريرة إذا صلحت قويت العلانية**»(٥١) .

(٥١) البحار ٧٨: ٢٠٩.

المصدر الثاني: الضمير (الوجدان):

وهو الصوت الداخلي والواعظ الباطني في الذات البشرية ، الذي يلتقي مع أساس البناء الديني عند الانسان ، والعلاقة بين محكمة الدين ومحكمة الضمير هي علاقة التعاضد والتآزر ، وإن حكم أحدهما يزيد حكم الثانية قوة وإبراما وثباتاً وإحكاماً(٥٢) . ويأتي في فصل المسؤولية أن المسؤولية الدينية تتحول حتماً إلى المسؤولية الاخلاقية الطبيعية في نفس المؤمن ؛ لأن الايمان والضمير كليهما من الحقائق الكامنة في ذات الانسان وأعماقه لا في خارجه .

(٥٢) فلسفة الاخلاق في الاسلام : ١٥ ـ ١٩ ، محمد جواد مغنية، دار العلم للملايين، بيروت ط. ٢، ١٩٧٩.

يقول الصادق عليه السلام مشيراً إلى الضمير باعتباره واعظ القلب ومرشد الروح بروح الإيمان : «**من لم يكن له واعظ من قلبه وزاجر من نفسه ، ومن لم يكن له قرين مرشد استمكن عدوه من عنقه**»(٥٣) .

(٥٣) أماني الصدوق: ٦٥، نقلاً عن الأخلاق عند الصادق: ٤٦ .

ويقول عليه السلام(٥٤) : «**إن للقلب أذنين : روح الإيمان يساره بالخير ، والشيطان يساره بالشر ، فأيهما ظهر على صاحبه غلبه**» ، لكن الضمير إن كان حياً يأمر بالسلوك الحسن ، فهو لا يمتلك رصيداً قوياً للإلزام والأمر . إنه قوة سلبية تأمر بدون إلزام .

(٥٤) البرار ١٥ باب روح الايمان .

لذلك لابد للانسان من السير على طريق المعايير الاخلاقية السماوية التي تمتلك الإمكانية اللازمة لصنع الذات الفاعلة ، والقادرة على تنمية هذه القوة (الضمير) وتحويل سلبيتها إلى إيجابية برفع محتواها الداخلي من القوى العليا المرتكزة على بعد إلزامي ديني؛ لأن

الضمير وحده هو بمثابة العملة الورقية التي لا تمتلك رصيداً من الذهب لدعم استقرارها وثباتها في وجه التحديات والمتغيرت ، وهنا يكون رصيد الضمير وقوته مجسدين في حركة الدين وقوانين السماء .

المصدر الثالث : الميول والغرائز (الطبائع الانسانية) :

قلنا سابقاً إن الانسان كتلة من النوازع والميول والأحاسيس والدوافع البيولوجية المجبول عليها في سلوكه الحياتي ، وقد أكد الاسلام على الأصل الطيب والخيّر لتلك الميول عند الانسان : ﴿لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم﴾[٥٥] .

(٥٥) التين : ٤ .

لكن استعمال هذه القوىٰ والطاقات ، وتحريكها في الواقع بطريقة غرائزية مستغرقة في دنيويتها ـ إذا صح التعبير ـ يميتان الشعور بالمسؤولية ، ويلهبان في الانسان المشاعر الدونية والحيوانية .

لكن علىٰ الرغم من ذلك رفض الاسلام أن يُعامل البشر كمخلوقات جامدة لا حياة فيها ، ووازن بين ما تنبض به نفوسهم من أهواء وغرائز ، وبين أوامر الله ونواهيه[٥٦] . لقد جمع بين هذين الشرطين المبدأ والواقع ، ووفّق بين مثال أعلىٰ كامل مقدس يأتينا من السماء ، وبين واقع ناقص يعيش في وسطه : ﴿وليس عليكم جُناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمّدت قلوبكم﴾[٥٧] .

(٥٦) د . قاسم جابر، الإلزام الخلقي في الاسلام، مجلة الثقافة الاسلامية ٥٤ : ١٥٨، ١٩٩٤.

(٥٧) الاحزاب : ٥ .

ب ـ عناصر التقنين والالزام الخلقي في الاسلام :

العنصر الأول : الشعور العالي بالمسؤولية :

تعتبر المسؤولية شرطاً لازماً في عملية الإلزام والالتزام بالتشريعات الأخلاقية والمقاييس القيمية ـ إذا صح التعبير ـ في الاسلام ؛ لأن الانسان المسؤول عن خلقه وسلوكه ـ يعني أنه كائن موجود حر ، يمارس وجوده من موقع مواجهته الصريحة وإقراره

العملي لطبيعية التزامه في الحياة ـ لا يتهرب من تحمّل المسؤولية عن سلوك مارسه وفعل شارك فيه في موقع هنا أو هناك : ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾[٥٨]، بل إنه يشعر بالحسرة والأسف والمهانة لشخصه إذا ما مُنع من ممارسة مسؤوليته في بعض أعماله ، معتبراً أن ذلك هدر لطاقته الحيوية ، وسلب لقيمتها الانسانية . لكن الاسلام الذي نظر بعيداً إلى عمق الفطرة الانسانية ، لاحظ اختلاف مستويات المسؤولية ودرجات تطبيقها عند الانسان تبعاً لإمكانياته وحاجاته وقوته وضعفه: ﴿لا تُكلَّف نفس إلّا وسعها﴾[٥٩].

(٥٨) المدثر : ٤٦ .

(٥٩) البقرة : ٢٣٣ .

إن التزام المسؤولية من قبل الانسان الواعي المتثبت في الأمور يدل على نضوج العقل وسلامة وسعة التفكير .

يقول الصادق عليه السلام : «**مع التثبت تكون السلامة ، ومع العجلة تكون الندامة، ومن ابتدأ بعملٍ في غير وقته كان بلوغه في غير حينه**»[٦٠] .

(٦٠) الخصال : ٩٦ .

العنصر الثاني : الحرية والجزاء :

الحرية تكمّل المسؤولية والمسؤولية تكمل الحرية ؛ فلا حرية من دون مسؤولية ولا مسؤولية من دون حرية ، ولا تكون المسؤولية مسؤولية إلّا إذا تمتع صاحبها بحرية الارادة والتفكير .

إنه كائن اخلاقي عاقل يملك حرية الاختيار بين الخير والشر ، ولن تكون أفعاله الأخلاقية مستندة إلى بعد ديني إلّا إذا شعر بحرية انتمائه لها وقناعته بها وممارسته لها باختياره ورغبته ، وعندئذٍ تكون هذه الأفعال الاخلاقية ثمرة عملية خيّرة لارادته الحرّة الداخلة في جوهر وجوده وفطرته ، ويظهر فيها من ثم عنصر التضحية وتجاوز الذات .

قال الصادق عليه السلام : «**خمس خصال من لم تكن فيه خصلة منها فليس فيه كثير مستمتع . أولها : الوفاء ، والثانية : التدبير ، والثالثة : الحياء ، والرابعة : حسن الخلق ، والخامسة : وهي تجمع هذه الخصال : الحرية**»[٦١] .

(٦١) الخصال : ٢٧١ .

وبهذا المعنى تكون الحرية المسؤولة رغبة الانسان في خدمة الانسان الآخر ، خدمته بالخير والقيم العالية ، وبقدر خدمته له تكون حريته ؛ وبعبارة أخرى أن الحرية لا تعني أن ينفلت الانسان من عقال الأخلاق والقيم ، ويمارس حريته على هواه بدون أي رادع أو ضابط تشريعي ، يغتصب باسمها حرية الآخرين أو يحدّها ويقلصها ؛ فإن الحرية عندئذ تفقد معناها ووجودها . وهنا تحتاج (الحرية) إلى من يحميها ايضاً . على هذا الاساس تنطلق المسؤولية والحرية ، ويأتي بعدها القانون والجزاء ليحمي الحرية ومسؤولية الانسان عنها ، وذلك من خلال مجموعة التكاليف الاجتماعية والواجبات القانونية العامة ، التي يجب على الأفراد في المجتمع احترامها والتزامها في كل تصرفاتهم وعلاقاتهم على الصعيدين الفردي والجماعي ، فهناك قوانين عقابية (جزاء السيئة) وأخرى ثوابية (جزاء الحسنة) يضعها المجتمع للمسيء والمحسن من أبنائه ، حفاظاً على وحدته واستقراره، وأمن الأمة وسلامتها .

ج ـ خصائص المقنّن (المشرّع) :

أشرنا سابقاً إلى نقطة هامة هي أن المجتمع يضع قوانين ومنظومة قيم تشريعية للحفاظ على سلامته وسيره نحو مواقع التطور والازدهار ، لكن المجتمع ممثلاً بالانسان (المقنن والمشرع) لا يصلح أن يتولى بذاته مهمة التشريع والتنظيم القانوني لسلوكيته من موقع العدل ، من حيث ادعاؤه اكتمال العقل والتفرد في خط المصالح الانسانية المتحركة في الواقع (في المطلق) بين ما هو ذاتي وفردي من جهة ، وماهو موضوعي انساني عام من جهة اخرى ، وذلك بحكم الأمور التالية[٦٢] :

١ ـ أن الانسان مجبول على حب الذات ، وهذا الأمر يجره إلى

(٦٢) نبيل علي صالح، العدل أصل من أصول الدين، مجلة الثقافة الاسلامية ٥٤ : ١٥٩، ١٩٩٤.

التفرد بالقانون بحيث يجعله محوراً لذاته ، ومكسباً فردياً له (تماماً كما تفعل الآن الذات الاميركية في صياغة القوانين العالمية حسب مقاييسها) ، الأمر الذي يؤدي ـ كما هو حاصل ـ إلى إحداث فتن في المجتمع تهدم أركانه ، وتوقف تقدمه ، وتقوّض دعائم استقراره .

٢ ـ عجز الانسان عن الوقوف على المصالح والمفاسد كحالة أساسية يرتكز عليها البناء القانوني العادل ، بسبب المحدودية الزمانية والمكانية للفكر الانساني ومعطياته المختلفة .

٣ ـ نقص المعرفة الانسانية في مجال الانسانية ذاتها (القصور في العقل البشري) ، على اعتبار أن الانسان الذي يريد أن يشرّع لنفسه (ولمجتمعه طبعاً) قانوناً عادلاً متوازناً ، يجب على أقل تقدير أن يكون على علم بحقيقة وجوده الانساني ، بروحه وجسده وفطرته وغرائزه ودوافعه ونوازعه ، بحيث يقف بوعي وارادة عاقلة عند جملة المسائل المذكورة كمنطلق لحياته الخاصة والعامة ، فيأخذ بالحسن والنافع ويطرح الضار والفاسد ، ومثل المقنن في هذا المقام مثل الطبيب كلما كانت معلوماته حول المريض[٦٣] جسمه وروحه وظروفه المحيطة به كاملة ، كانت الوصفة مفيدة وناجعة في قلع المرض .

٤ ـ فقدان الايمان بالله كحاكم مطلق عادل يعرف الانسان اكثر من معرفة هذا الانسان لنفسه . من أجل ذلك كله وضع الاسلام شروطاً موضوعية للمقنّن المتصدي لمهمة التشريع ، وهي[٦٤] :

أ ـ أن يكون المقنن عارفاً بالانسان .

ب ـ ألّا يكون منتفعاً بالقانون .

جـ ـ أن يكون متوازناً في شخصيته الروحية والمادية (التكامل الروحي الباطني) .

يتضح من هذا التحليل السريع أن بناء القانون على أسس الايمان

(٦٣) الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل للأستاذ جعفر السبحاني ٢: ٢٥.

(٦٤) م . ن .

والعقيدة الإلهية ، وتأسيس المناهج التربوية والتشريعية العادلة ، لا يمكن أن يكونا فاعلين وغنيين إلّا إذا كانا ينطلقان ـ كما ذكرنا ـ من موقع الانفتاح على قيم الله ؛ لأن هذا الايمان العملي والنهج السلوكي الواقعي هما اللذان يمنحان المناهج ضمانة الاجراء والتجسّد في المجتمع ؛ لارتباطهما بالتشويق إلى الثواب والتحذير من العقاب[٦٥] ، وإلّا فلا تعدو أن تكون مجموعة نصائح شخصية أو مدرسية ما أسرع ما تتهاوى أمام ضربات معاول الشهوة الثائرة .

(٦٥) م . ن : ٤٨.

ونخلص مما تقدم إلى النقاط التالية :

الأولى : أن الاسلام ارتكز في تشريعه لقواعد الأخلاق في المجتمع على مبادئ ثلاثة ، هي القرآن (الوحي) والسنة والعقل (الضمير) ، واعتبرها المصادر الأولى لحركة الإلزام الأخلاقي الاسلامي الذي يشكّل بمنظومته الأخلاقية الكاملة ، أساساً لتشريع القوانين والأنظمة، التي يراد لها أن تنظّم حركة الانسان وسلوكه لتجعل منه إنساناً مستقيماً .

الثانية : أن الاسلام يعتبر للأخلاق دوراً تغييرياً هاماً على صعيد الذات والمجتمع ، في حركتها النموذجية البانية للنخبة من الأفراد الذين يمثلون القدوة والأسوة حتى الشهادة على الآخرين ، أو على صعيد التغيير البنائي لسلوكية المجتمع عموماً (أخلاق المجتمع) . لكن هذا الدور التغييري للأخلاق لا يعني وجود نوع من علاقات القسر والضغط في طبيعة التعاون بين القيم الاخلاقية وبين السلطة ، بأن تفرض السلطة (المعبرة عن القوة) تطبيق القيم الأخلاقية ؛ لأن ذلك ـ كما نعلم ـ يلغي من الأساس جوهر القيم الأخلاقية المرتكزة على الممارسة الذاتية الطوعية والارادية (انقياد طوعي فطري) ، لكن السلطة تساعد على وجود النموذج الأخلاقي في المجتمع بين أبنائه جميعاً ، وتمكنه من ممارسة مهامه ودوره التغييري

البنائي الرائد .

الثالثة : أن المطلوب الآن تحقيق هذه الموازنة الدقيقة بين مصالح الانسان ومصالح الآخرين ، بين قيم الذات وقيم الغيرية الاجتماعية ، وهذا لن يتم ـ في تصوّرنا ـ إلّا بابراز التربية الاسلامية الأخلاقية التي تغذي الانسان روحياً ومعنوياً ، وتنمّي في وعيه وسلوكه المشاعر النبيلة والعواطف الانسانية الراقية .

فالفهم المعنوي للحياة والتربية الخلقية النفسية هما الركيزتان اللتان يقوم على أساسهما المقياس الخلقي الجديد الذي يضمنه الاسلام للانسان ، وهو رضا الله تعالى ، وهذا الرضا يقيمه الانسان مقياساً عاماً في الحياة ، هو الذي يقود السفينة البشرية إلى كامل الحق والخير والعدالة[٦٦] .

(٦٦) الشهيد السيد محمد باقر الصدر، فلسفتنا: ٤٨ ، بيروت . ط. ٣، ١٩٧٠.

قال رسول الله (ص) :

إذا ولد ابني جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فسموه الصادق ، فإنه سيكون في ولده سمي له ، يدعي الإمامة بغير حقها ، ويسمى كذابا .

البحار ٤٧ : ٨

فنون وآداب

قصيدة

يا أبي خلوني

أبو الأسود الدؤلي

هو أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي. ولد عام ١٦ قبل الهجرة. أدرك الرسول صلى الله عليه وآله وأسلم على يده وشهد معه بدراً. هاجر إلى البصرة وسكن بها وله فيها مسجد خاص باسمه. من أصحاب أمير المؤمنين علي عليه السلام وكتّابه، وشهد معه الجمل وصفين وأكثر مشاهده. ممن فاوض أصحاب الجمل لحلّ مشكلتهم بسلام، إلّا أن طلحة والزبير لم يستجيبا له. بعد معركة الجمل ولي القضاء في البصرة، وناب عن عبدالله بن عباس في ولايتها.

يعد الدؤلي من العلماء والفقهاء والشعراء الفرسان والأمراء والدهاة ومن أكابر النحويين، وهو أول من نقّط المصاحف بأمر الإمام علي عليه السلام.

قال عنه الجاحظ: جمع الدؤلي شدة العقل، وصواب الرأي، وجودة اللسان، وقول الشعر.

قال عنه الآمدي: كان شاعراً متقناً للمعاني.

قال الفاضل: هو أول من أسّس العربية ونهج سبلها ووضع قياسها، وأول من عمل في النحو كتاباً. توفي في الطاعون عام ٦٩ هجرية في البصرة.

« قالها في جماعة من (بني قشير) لاموه في حبه لعلي عليه السلام »

يقول الأرذلون[١] بنو قشيرٍ[٢]
طوالَ الدهرِ لا تنسىٰ عليا
فقلت لهم وكيف يكون تركي
من الاعمال ما يُقضىٰ عَلَيّا[٣]

(١) الأرذلون: الأسافل.

(٢) قشير: قبيلة عربية، وهي بطن من بني عامر بن صعصعة، تولّى بعض بنيها حكم خراسان.

(٣) ما يقضىٰ: ما قضاه الله وأوجبه. وهو حبّ علي عليه السلام.

أحبّ محمداً حبّاً شديداً
وعباساً وحمزةَ والوصيا
بنو عم النبي وأقربوهُ
أحبّ الناس كلهمُ إليّا
فإن يكُ حبّهم رشداً أصِبْهُ
وفيهم أُسوةٌ إن كان غيّا
همُ أهل النصيحة من لدنّي(٤)
وأهل مودّتي ما دمت حيّا
هوىً أُعطيتهُ(٥) لما استدارت
رحىٰ الإسلام(٦) لم يعدل(٧) سويّا
أُحبهمُ لحب اللّه حتىٰ
أجيء اذا بعثت علىٰ هويّا(٨)
رأيت اللّه خالقَ كلّ شيءٍ
هداهم واجتبىٰ منهم نبياً
همُ آسوا(٩) رسول اللّه حتىٰ
تربّع(١٠) أمره أمراً قويّاً
وأقواماً أجابوا اللّه خوفاً
له لا يجعلون له سميّا
«مُزَينةُ» منهمُ و «بنو غفارٍ»
و «أسلم»(١١) أضعِفوا معه بليّا(١٢)
يقودون الجيادَ مسوّماتٍ(١٣)
عليهنَّ السوابغُ(١٤) والمطيّا

* * *

(٤) من لدنّي: اتخذتهم اهلاً للنصح.

(٥) اعطيته: رزقته.

(٦) استدارت رحى الاسلام: أي قويت شوكته وعظم أمره.

(٧) يعدل: يساوي.

(٨) هوي: هواي في لغة هذيل.

(٩) آسوا: نصروا.

(١٠) تربّع: استقرّ من اربعة جهات.

(١١) مزينة وبنو غفار واسلم: قبائل عربية نصرت النبي صلى الله عليه وآله.

(١٢) أضعفوا معه بليا: ضعفوا من كثرة ما ابتلوا مع الرسول صلى الله عليه وآله.

(١٣) المسوّمات: المرعيات حتىٰ شبعن، أو المطلقات بلا قيود.

(١٤) السوابغ: جمع سابغ وهو الدرع، واراد بها الرجال الدارعين.

دراسات

نظام العبادات في مدرسة أهل البيت عليهم السلام

(٣)

السيد
محمد باقر الحكيم

خصائص نظرية اهل البيت في الحج

ويحسن بنا بعد هذا الاستعراض أن نذكر بشكل مختصر الخصائص التي تميز نظرة اهل البيت عليهم السلام إلى الحج، وفهمهم للدور الذي يمكن أن تقوم به هذه العبادة في حياة الأمة الاسلامية بشكل عام، والجماعة الصالحة بشكل خاص. علماً بأنا أكّدنا أن هذه الفريضة العظيمة تحظى باهتمام جميع المسلمين، وتعتبر من الشعائر والعبادات التي يتفق عليها جميع المذاهب الاسلامية، وتتوحد فيها كلمتهم وتعبر عن وحدة وجود الأمة وكيانها.

وهذه الخصائص التي نشير إليها تعبر عن ميزات اضافية إلى هذا الموقف والفهم العام للمسلمين جميعاً:

١ ـ سعة دائرة الاهتمام

الاهتمام الواسع بالحج على مستوى اهل البيت تناول جميع الشؤون والتفاصيل، سواء على مستوى التصور العام للحج

وتاريخه وفضله وقيمته ودوره واهدافه ، أو على مستوى الاحكام الفقهية لاعمال الحج واقسامه ، والفرضيات المختلفة التي يمكن أن يبتلى بها ابناء الأمة وكيفية معالجتها .

ويمكن معرفة ذلك بمقارنة بسيطة وسريعة بين ما ورد عن اهل البيت عليهم السلام في هذا المجال ، وما تحدثوا فيه عن رسول الله بشكل مباشر أو غير مباشر ، وبين ما ورد عن طريق غيرهم ، حيث تشكل المادة التي وردت عن اهل البيت من حيث الكم[1] والكيف نسبة مضاعفة عدة مرات بالقياس لما ورد عن طريق غيرهم .

ولعل في هذين النموذجين ما يشير إلى هذه الحقيقة بوضوح :

الأول : الرواية التي تذكرها كتب الحديث المعروفة لدى الجمهور عن الامام الباقر عليه السلام عن جابر بن عبد الله الانصاري ، والتي تتحدث عن حج رسول الله صلى الله عليه وآله حجة الوداع بتفاصيل لا نراها في أي رواية اخرى في هذه الكتب ، وتمثل بذلك اساساً فقهياً لجميع مدارس الفقه الاسلامية في موضوع الحج[2] .

الثاني : ما رواه الصدوق بسند معتبر عن زرارة بن اعين قال : «قلت لابي عبد الله عليه السلام : جعلني الله فداك ، اسألك عن الحج منذ اربعين عاماً فتفتيني . فقال : **يا زرارة ، بيت حج إليه قبل آدم بألفي عام تريد أن تفتي مسائله في اربعين عاماً**»[3] .

فإن هذا النص يعبر بشكل رائق وواضح عن سعة دائرة الاهتمام عملياً وخارجياً ، ويفسرها بهذا الجانب التاريخي لهذه العبادة الشريفة .

٢ ـ سعة المضمون العبادي

إلى جانب هذا الاهتمام الواسع بالحج نجد أن اهل البيت عليهم السلام اهتموا بالمحتوى والمضمون العبادي لجميع اعمال الحج ، والمناسك حتى لا يكاد أن يؤدي الحاج أي عمل من اعمال الحج إلّا ويكون إلى جانبه

(١) فقد ذكر صاحب جامع احاديث الشيعة ـ على سبيل المثال ـ في خصوص الروايات التي تتحدث عن تاريخ الحج وفضله وشؤونه العامة ثمانمئة وواحداً وثلاثين حديثاً.

(٢) التاج الجامع للاصول ٢ : ١٥٣ ، عن صحيح مسلم وسنن أبي داود .

(٣) وسائل الشيعة ٨ : ٧ ، ح ١٢، عن من لا يحضره الفقيه .

شيء من الصلاة والدعاء والذكر يسبقه أو يلحقه أو يقارنه ، بل إن ذلك يصاحب الحاج ويبدأ معه منذ عزمه على السفر إلى الحج وحتى رجوعه منه . وهناك مئات النصوص والروايات تناولت هذا الموضوع[٤] .

وسوف نتناول في الفصل الآتي بعض تفاصيل هذا المضمون العبادي الواسع إن شاء الله .

٣ ـ زيارة النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام والمساجد

اكمال الحج بزيارة النبي ﷺ والمسجد النبوي الشريف ، وهذا ما يصنعه جميع المسلمين بشكل عام[٥] ، ولكن اهل البيت سلام الله عليهم اعطوا لهذا الموضوع اهمية خاصة في الكم والكيف .

أما على مستوى الكم فهم يحثون على زيارة أئمة الهدى من آل الرسول ﷺ الذين دفنوا في البقيع ، وهم الامام الحسن بن علي بن أبي طالب والامام علي بن الحسين وولده الامام محمد بن علي بن الحسين وولده الامام جعفر بن محمد بن علي عليهم السلام .

وكذلك أمهم الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء بنت رسول الله المدفونة في بيتها[٦] في جوار المسجد النبوي ، وزوجات النبي ﷺ وفاطمة بنت اسد أم أمير المؤمنين وبقية الصحابة الصالحين ، وشهداء معركة احد وفي مقدمتهم حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ .

مضافاً إلى ذلك كله نجد الاهتمام البالغ بزيارة مساجد رسول الله ومواضع صلواته ودعائه ومواقفه ، وكذلك مواضع الحوادث التاريخية والكرامات الالهية .

وفي مقدمة هذه المواضع مسجد قبا والفتح والقبلتين ، ومسجد احد ومسجد علي عليه السلام وسلمان الفارسي وفاطمة الزهراء والغمامة ومشربة ام ابراهيم وغيرها .

(٤) راجع وسائل الشيعة ٨ : ٢٤٨ ـ ٣٣٨ ، ابواب آداب السفر إلى الحج وهي ثمانية وستون باباً.

(٥) باستثناء ما يذهب إليه الوهابيون من تحريم شد الرحال لزيارة النبي ﷺ ، وإنما يجوزونها لمن حضر (المدينة) . نعم يجوز شد الرحال ـ في نظرهم ـ إلى مسجد النبي ﷺ في المدينة وتكون الزيارة للنبي في هامش زيارة المسجد الشريف.

(٦) هناك احتمالات متعددة في موضع دفنها أظهرها أنه في بيتها ، واحتمال آخر أنه في البقيع واحتمال ثالث في الروضة والسبب في ذلك هو ان الصديقة سلام الله عليها ـ لظروف سياسية ـ اوصت علياً عليه السلام أن يخفي محل دفنها ، وطلبت منه عدم السماح بمشاركة الشيخين في تشييعها ؛ لأنها ماتت غاضبة عليهما، كما نصت على ذلك النصوص الصحيحة التي رواها جميع المسلمين، وذلك نتيجة الظلم والغصب والايذاء الذي لحقها منهما مما أدى إلى استشهادها عليها السلام.

وكذلك زيارة (الابطح) في مكة الذي فيه قبر خديجة ام المؤمنين وقبر أبي طالب وغيرهما من الصالحين ، وشعب أبي طالب ، وغار حراء ، ودار الارقم ، ودار الندوة وغيرها من الاماكن التاريخية الاسلامية المهمة ، الذي تذكّر المسلمين بعزهم وشرفهم وتضحياتهم والصعوبات التي واجهتها الرسالة ، وتشدهم إلى هذا التاريخ العظيم وتبعث في نفوسهم الهمم والنهضة ، وتعيدهم إلى اسباب النصر والاستقلال والكرامة[٧] .

وأما على مستوى الكيف فهم يعتبرون زيارة النبيﷺ والأئمة من اهل البيت من اكمال الحج واتمامه ، كما وردت في ذلك النصوص التي اشرنا إلى بعضها في بحث الزيارات ومنها زيارة رسول اللهﷺ .

عن أبي الحسن الرضاعليه السلام قال : «**إن لكل امام عهداً في عنق أوليائه وشيعته ، وإن من تمام الوفاء بالعهد زيارة قبورهم . فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقاً بما رغبوا فيه كان أئمتهم شفعاؤهم يوم القيامة**»[٨] .

وعن اسماعيل بن مهران ، عن جعفر بن محمدعليهما السلام قال : «**إذا حج أحدكم فليختم بزيارتنا ؛ لأن ذلك من تمام الحج**»[٩] .

وكذلك عن عليعليه السلام (في حديث الاربعمئة) قال : «**اتموا برسول اللهﷺ إذا خرجتم إلى بيت الله الحرام ؛ فإنّ تركه جفاء ، وبذلك امرتم واتموا بالقبور التي ألزمكم الله حقها وزيارتها واطلبوا الرزق عندها**»[١٠] .

وقد روى الكليني في الكافي عن أبي جعفرعليه السلام قال : «**تمام الحجّ لقاء الامام**»[١١] .

٤ ـ تشخيص الموقف السياسي العام

أن اهل البيتعليهم السلام اهتموا أن يكون الحج اجتماعاً سنوياً ، يعقده المسلمون ليعرفوا فيه موقفهم السياسي العام والمواقف الهامة التي تهم المسلمين جميعاً . وقد اخذوا ذلك عن رسول اللهﷺ والقرآن الكريم .

(٧) إن من الملاحظ ـ مع الاسف ـ أن هناك محاولة لمحو هذه الآثار والقاء الستار عليها ، بحيث لا يتم الاهتمام بها ، بل هناك عمل منظم لابعاد الحجاج عنها .

(٨) وسائل الشيعة ١٠ : ٢٥٣، ح ٥ .

(٩) المصدر السابق ١٠ : ٢٥٤، ح ٧ .

(١٠) المصدر السابق: ح ١٠.

(١١) المصدر السابق: ح ١٢.

ففي السنة الاولىٰ التي حج فيها المسلمون بعد الفتح نزلت سورة براءة ، ليعلن فيها القرآن الكريم والنبيﷺ الموقف السياسي الهام وهو البراءة العامة من المشركين .

وفي حجة الوداع نجد أن خطبة النبيﷺ في منىٰ تتضمن هذه المفاهيم السياسية والاجتماعية .

كما أنه اعلن في نهاية الحج الولاية لعليؑ علىٰ المسلمين في موقع غدير خم ، وهذا مما رواه جميع المسلمين ، حيث قال : «**من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللّٰهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله**»(١٢) .

كما أن النصوص السابقة التي ثبتناها حول الاهداف تشير إلى هذا الموقف والخط العملي في عبادة الحج .

وهذا مما تفرضه طبيعة هذه العبادة الشريفة ، وهذا الاجتماع العظيم السنوي الذي يأتي فيه نخبة من ابناء الأمة الاسلامية وذوو القدرة والاستطاعة فيها .

٥ ـ لقاء الامام والقيادة الاسلامية

الاهتمام بلقاء الامام في الحج وزيارته في حياته ، والتزود بنصائحه وارشاداته ، ومعرفة المواقف التفصيلية تجاه مختلف القضايا منه ، وعرض الاعمال والنشاطات التي يقوم بها المؤمنون عليه وطرح مشاكلهم وقضاياهم الخاصة والعامة ، وغير ذلك من الامور التي تقتضيها هذه العلاقة المباشرة المهمة في المجتمع الاسلامي وفي بناء الجماعة الصالحة ، وهي علاقة الامام بالمأموم مباشرة .

فقد روىٰ الكليني والصدوق بسند معتبر عن أبي جعفر الباقرؑ قال : «**إنما أُمر الناس أن يأتوا هذه الاحجار فيطوفوا بها ، ثم يأتونا فيخبرونا بولايتهم ويعرضوا علينا نصرهم**»(١٣) .

(١٢) هاشم معروف الحسني ، اصول التشيع : ٣٩ ، حديث الغدير ، ط . بيروت .

(١٣) وسائل الشيعة ١٠ : ٢٥٢، ح ١ .

وقد جاءت الاشارة إلى هذا الموضوع في عدة روايات أخرىٰ ، الامر الذي يؤكد اهمية هذا الخط والتوجه التنظيمي في الجماعة الصالحة من خلال هذا الموسم الشريف ، واعتبار ذلك من العبادات التي يمكن أن يقوم بها الانسان المؤمن .

وهذا التوجه التنظيمي هو مبدأ اسلامي جسده اهل البيت عليهم السلام في نظام الجماعة الصالحة ـ كما اشرنا إلى ذلك سابقاً[١٤] ـ حيث إن ارتباط الأمة بالقيادة الاسلامية والالتزام بالمواثيق والعهود تجاهها ، سواء علىٰ مستوىٰ توجيهاتها واوامرها أو علىٰ مستوىٰ النصرة لها في مواقفها ، يمثل اصلاً من اصول الاسلام دعا إليه القرآن الكريم : **﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسولِ إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن اللّهَ يحولُ بين المرءِ وقلبهِ وأنه إليه تحشرون﴾**[١٥] .

(١٤) تحدثنا عن هذا الموضوع في الباب الثالث «النظام العام» في فصل العلاقات فراجع .

(١٥) الانفال : ٢٤ .

٦ ـ الحج جهاد الضعفاء

لقد ورد في بعض النصوص عن النبي صلى الله عليه وآله أن الحج جهاد ، وقد قال ذلك بشأن النساء اللاتي اسقط الاسلام عنهن فرض الجهاد الابتدائي . فقد روى البخاري عن عائشة قالت : «يا رسول اللّه ، نرىٰ الجهاد افضل العمل أفلا نجاهد ؟ قال : لا ، **ولكن افضل الجهاد حج مبرور**»[١٦] ، وفي لفظ النسائي : «**ولكن احسن الجهاد واجمله حج البيت**»[١٧] .

ونجد أن النسائي يعمم هذا الحكم لكبار السن والصغار والضعفاء والنساء[١٨] .

وبهذا الصدد نجد أن اهل البيت سلام اللّه عليهم يعطون للحج في هذا الجانب بعداً اوسع ، بحيث يشمل كل ابناء الجماعة الصالحة التي تواجه ظروفاً استثنائية تمنعها من الجهاد لاسباب شرعية واخلاقية ، كل ذلك حفاظاً من أئمة اهل البيت عليهم السلام علىٰ فكرة الجهاد وروح عبادته وضرورة الممارسة لها في كل الاحوال ، استلهاماً من موقف رسول اللّه صلى الله عليه وآله وفهمه لمضمون هذه العبادة .

(١٦) التاج الجامع للاصول ٢ : ١٠٦ ـ ١٠٧ .

(١٧) المصدر نفسه .

(١٨) المصدر السابق : ١٠٧ ، في الهامش .

فقد واجه شيعة اهل البيت عليهم السلام وابناء الجماعة الصالحة الظروف السياسية والاستثنائية ، التي كان يشن فيها الحكام الظالمون الجائرون الحروب دون مبررات أو اهداف اسلامية أو شرعية ، وإنما لمجرد التسلط والحصول على المزيد من المكاسب والضرائب المالية، حتىٰ وصل الحال ببعض هؤلاء الحكام الامويين أن يمتنع عن قبول اسلام ابناء النصارىٰ ؛ لأن اسلامهم يعني سقوط الجزية عنهم ، فكان يلزمهم بالجزية ويرفض اسلامهم ويبقيهم علىٰ نصرانيتهم[١٩] .

وكان الموقف الشرعي لأئمة اهل البيت عليهم السلام هو عدم الاذن لابناء الجماعة الصالحة في المشاركة في مثل هذه الحروب . ولكن هذا الموقف كان له تأثير روحي سلبي علىٰ الجماعة ، حيث تحرر عملياً من الآثار المعنوية لعبادة الجهاد في سبيل الله .

وقد دعا اهل البيت عليهم السلام أبناء الجماعة الصالحة إلى عبادة الحج والاستزادة منها باعتبارها تعويضاً روحياً وتربوياً واخلاقياً عن عبادة الجهاد التي فرضت ظروفهم حرمانهم من ممارستها ، استلهاماً لذلك من سنة رسول الله صلى الله عليه وآله .

وقد سبق أن اشرنا في بداية الحديث عن الحج إلى ما ورد في الرواية المعتبرة عن الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله : «**هو احد الجهادين . هو جهاد الضعفاء ونحن الضعفاء**»[٢٠] .

وفي نص آخر : «**ونحن وشيعتنا الضعفاء**» ولعل في هذين النصين مايلقي الضوء علىٰ هذا الموقف والفهم من اهل البيت سلام الله عليهم.

ويتضح هذا المفهوم من ملاحظة النصوص التالية التي ترتبط بين الموقف من الجهاد والحج .

١ ـ روى جعفر بن محمد بن قولويه عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في حديث قال : «**الجهاد افضل الاشياء بعد الفرائض في وقت الجهاد ، ولا جهاد إلّا مع الامام ...**»[٢١] .

(١٩) هـذا الموضوع من القضايا التاريخية التي نتناولها في مجال آخر .

(٢٠) وسائل الشيعة ٨: ٧٧، ح ٢.

(٢١) نفسه: ٨٣، ح ١٧.

٢ ـ روى الكليني وغيره بسند معتبر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : «لقي عباد البصري علي بن الحسين عليه السلام في طريق مكة فقال له : يا علي ابن الحسين ، تركت الجهاد وصعوبته ، وأقبلت على الحج وليسنه ؟ إن الله عزوجل يقول : ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنّة يقاتلون في سبيل الله ...﴾ الآية ، فقال علي بن الحسين عليه السلام : أتمّ الآية ، فقال : ﴿التائبون العابدون ...﴾ الآية ، فقال علي بن الحسين عليه السلام : إذا رأينا هؤلاء الذين هذه صفتهم فالجهاد معهم أفضل من الحج»[٢٢] .

وفي رواية أخرى قال له : «إذا ظهر هؤلاء لم نوثر على الجهاد شيئاً»[٢٣] .

(٢٢) وسائل الشيعة ١١ : ٣٢، ح ٣.

(٢٣) نفسه: ٣٤، ح٦.

وقد تقدم في بحث الجهاد الاشارة إلى هذا الموقف ، ومن ذلك هذه الرواية المعتبرة عن أبي عبد الله ، عن آبائه عليهم السلام قال : «قال أمير المؤمنين عليه السلام : لا يخرج المسلم في الجهاد مع من لا يؤمن على الحكم ، ولا ينفذ في الفيء أمر الله عزوجل ؛ فإنه إن مات في ذلك المكان كان معيناً لعدوّنا في حبس حقنا والاشاطة بدمائنا ، وميتته ميتة جاهلية»[٢٤] .

(٢٤) نفسه: ٣٤، ح ٨.

منهج اعمال موسم الحج

يمكن تقسيم اعمال موسم الحج إلى الاقسام الأربعة التالية :

الأول : الاعمال التي تؤدى مقرونة باعمال الحج .

الثاني : الاعمال الخاصة بيوم عرفة .

الثالث : الاعمال التي تؤدى في العشر الاوائل من ذي الحجة .

الرابع : الاعمال الخاصة بايام التشريق .

القسم الأول : الأعمال التي تؤدّى مقرونة بأعمال الحج

ذكر الفقهاء في رسائلهم العملية آداباً ومستحبات لاعمال الحج ، تتضمن الطهارة والغسل والصلاة والدعاء والذكر وتنظيف وتحسين البدن والزينة ، في تفاصيل واسعة لا يسعها هذا الكتاب ولكن نشير

إلى بعض عناوينها :

١ ـ فالاحرام يستحب فيه تنظيف البدن من الاوساخ وتقليم الاظافر وازالة الشعر من الابطين والعانة واخذ الشارب قبل الاحرام ، وهكذا تسريح شعر الرأس واللحية من أول ذي القعدة لمن اراد الحج .

وكذلك الغسل للاحرام والدعاء عند الغسل بنص مخصوص وعند لبس ثوبي الاحرام .

والصلاة قبل الاحرام إما صلاة فريضة أو ستة ركعات من النوافل وأقلها ركعتان ، والدعاء قبل الاحرام بنص مخصوص .

وأن يضيف إلى التلبية الواجبة مجموعة اخرىٰ من التلبيات تتضمن ثناء علىٰ اللّٰه وتوسلاً به ، وتكرار التلبية في مختلف المواطن والحالات إلى أن يشاهد بيوت مكة .

٢ ـ وفي الدخول إلى الحرم وهي دائرة واسعة محيطة بمكة المكرمة يستحب الترجل فيها والغسل وخلع النعلين والدعاء بنص مخصوص .

٣ ـ وفي دخول مكة والمسجد الحرام يستحب الغسل ، وعند باب المسجد يستحب السلام علىٰ النبي وعلىٰ إبراهيم والتسمية باسم اللّٰه تعالىٰ والثناء عليه بنص مخصوص وبصيغ خاصة ، والتوجه إلى الكعبة بدعاء مخصوص .

٤ ـ وعند محاذاة الحجر يستحب الذكر والدعاء ، ثم استلام الحجر مع الدعاء والذكر والصلاة علىٰ النبيﷺ ودعاء مخصوص .

٥ ـ وفي الطواف تستحب ادعية خاصة يقولها بشكل عام ، وفي بعض المواضع مثل باب الكعبة والركن اليماني والحجر الاسود وظهر الكعبة وعند المستجار وحجر اسماعيل .

٦ ـ وبعد صلاة الطواف يستحب الحمد للّٰه تعالىٰ والثناء عليه والصلاة علىٰ رسول اللّٰه وآله ، والدعاء في السجود .

٧ ـ وفي شرب ماء زمزم دعاء ، وكذلك في صبه على رأسه وبطنه وظهره .

٨ ـ وفي السعي اذكار متعددة وصلاة على الرسول وآله وادعية مخصوصة ، وقراءة لسور خاصة من القرآن على الصفا والمروة وفي أثناء السعي .

٩ ـ وفي احرام الحج نفس مستحبات احرام العمرة ، ولكن بعد الاحرام ادعية خاصة عند التوجه إلى منى في الطريق إلى عرفات ، وكذلك في منى ويستحب المبيت فيها وإحياؤها بالعبادة وخصوصاً في مسجد الخيف ، ودعاء خاص عند التوجه إلى عرفات .

١٠ ـ وأما اعمال عرفات وآدابها فهي ما نذكره في القسم الثاني إن شاء الله ؛ لأن فيها تفاصيل واعمالاً مشتركة بينها وبين يوم عرفة في غير الحج .

١١ ـ وفي المشعر الحرام الدعاء عندما يصل الكثيب الاحمر على يمين الطريق والاقتصاد والبطء في المسير .

وإحياء ليلة العيد بالعبادة والدعاء ؛ فقد ورد في الحديث : «**وإن استطعت أن تحيي تلك الليلة فافعل ؛ فإنه بلغنا أن ابواب السماء لا تغلق تلك الليلة لاصوات المؤمنين ، لهم دوي كدوي النحل . يقول الله جل ثناؤه : أنا ربكم وأنتم عبادي . اديتم حقي وحق عليّ أن استجيب لكم ، فيحط تلك الليلة عمن اراد أن يحط عنه ذنوبه ويغفر لمن اراد أن يغفر له**» .

مضافاً إلى ذلك كله يستحب له أن يدعو بالمأثور وهو بعض الادعية المنصوصة .

كما أنه يستحب له بعد صلاة الصبح أن يحمد الله عزوجل ويثني عليه ويذكر من آلائه وبلائه ما قدر عليه ، ويصلي على النبي وآله ثم يدعو بالمأثور وهو دعاء خاص ورد في هذا الوقت .

كما أنه يستحب له أن يسعى في محسر بمقدار مئة خطوة ، ويدعو

بدعاء خاص عند هذا السعي .

١٢ ـ وفي رمي جمرة العقبة وبقية الجمرات يستحب له أن يكون علىٰ طهارة ، وأن يدعو بدعاء خاص عند اخذها والتكبير عند الرمي والدعاء الخاص به ، ويدعو كذلك عندما يرجع منها .

١٣ ـ وعند الهدي والذبح يستحب له أن يدعو بدعاء خاص ، وأن يباشره بنفسه أو يضع السكين بيده ثم يقبض الذابح علىٰ يده فيذبح .

١٤ ـ كما أنه يستحب له في الحلق أن يدعو بدعاء خاص .

١٥ ـ وفي طواف الحج يستحب له ما ذكرناه في طواف العمرة ، مضافاً إلى دعاء خاص يدعو به عند قيامه علىٰ باب المسجد للإتيان بالطواف .

١٦ ـ مضافاً إلى ذلك كله توجد امور مستحبة يؤديها الحاج عند اقامته في مكة المكرمة :

أ ـ الاكثار من ذكر اللّٰه تعالىٰ .

ب ـ الاكثار من قراءة القرآن الكريم وختم القرآن فيها .

ج ـ الشرب من ماء زمزم والدعاء الخاص عند الشرب .

د ـ الاكثار من النظر إلى الكعبة فإن فيه ثواباً عظيماً .

هـ ـ الطواف وهو سبعة اشواط حول الكعبة كل يوم عشر مرات ، ثلاثة في أول الليل وثلاثة في آخره وطوافان بعد الفجر وطوافان بعد الظهر .

و ـ أن يطوف بالبيت ايام اقامته في مكة ثلاثة وستين طوافاً ، فإن لم يتمكن فاثنتين وخمسين ، فإن لم يتمكن أتىٰ بما قدر عليه .

ز ـ دخول الكعبة والاغتسال له والدعاء عند الدخول والصلاة ، وصلاة ركعتين بصورة مخصوصة ، والصلاة في زوايا البيت والدعاء المخصوص بعد الصلاة ، ثم التكبير عند الخروج منها والدعاء الخاص بذلك .

ح ـ طواف الوداع عند ارادة الخروج من مكة ، ثم استلام الحجر وحمد الله والثناء عليه والصلاة على النبي وآله ، ثم الدعاء بدعاء خاص .

ويمكن الرجوع إلى كتب المناسك لمعرفة هذه التفاصيل وغيرها مما اوردته كتب الحج المفصلة .

وهذا المنهاج يدل بشكل واضح على ما ذكرناه من سعة مضمون عبادة الحج بنظر اهل البيت عليهم السلام بحيث لا يمكن أن يوازيها نظرة اخرى في المذاهب الاسلامية .

القسم الثاني : الاعمال الخاصة بيوم عرفة

إن يوم عرفة له أهمية وقيمة خاصتان في نظر الاسلام ، وكذلك ليلته ، وهي ليلة مباركة تقبل فيها التوبة ويستجاب فيها الدعاء ، وللعامل فيها بطاعة الله أجر سبعين ومئة سنة .

كما أن يوم عرفة هو يوم دعا الله فيه عباده إلى طاعته وعبادته ، وبسط لهم موائد احسانه وجوده ، والشيطان فيه ذليل حقير طريد غضبان اكثر من أي وقت سواه ، وهو يوم دعاء ومسألة[٢٥] .

وروي أن الامام زين العابدين صلوات الله وسلامه عليه : «سمع يوم عرفة سائلاً يسأل الناس ، فقال له : **ويلك ! أتسأل غير الله في هذا اليوم، وهو يوم يرجى فيه للاجنة في الارحام أن يعمها فضل الله تعالى فتسعد؟**»[٢٦] .

وفي هذا اليوم يوجد منهاج واسع من الاعمال والعبادات ، وهي وإن كانت قد وردت بالاصل بشأن الموقف يوم عرفة في الحج ، فإن بعض النصوص وردت تشير إلى استحباب الدعاء والعبادة في هذا اليوم في بقية البلاد والامصار ، لا سيما بالنسبة إلى زيارة الامام الحسين عليه السلام ، حيث ورد فيها أن الله تعالى ينظر إلى زواره قبل أن ينظر إلى الواقفين بعرفات . كما روى طلحة بن زيد ، عن أبي جعفر ،

(٢٥) مفاتيح الجنان : ٢٥٢ و ٢٥٨ .

(٢٦) وسائل الشيعة ١٠ : ٢٨ ، ح ١ .

عن أبيه ، عن علي عليه السلام أنه قال : «**لا عرفة إلّا بمكة ، ولا بأس أن يجتمعوا في الامصار يوم عرفة يدعون الله**»(٢٧) .

وقد ذكر العلامة القمي منهاجاً لليلة عرفة ويومها نذكر خلاصته هنا :

الأول : الدعاء الذي ورد فيه أن من دعا به ليلة عرفة وليالي الجمع غفر الله له ذنوبه ، وهو دعاء «**اللّهم يا شاهد كل نجوىٰ وموضع كل شكوىٰ**» الخ ، وهو دعاء يشتمل علىٰ مضامين عالية من المدح والثناء والذكر لآيات الله والتوسل بها إليه وطلب حوائج الدنيا والآخرة .

الثاني : التسبيحات الاربعة الف مرة .

الثالث : زيارة الامام الحسين عليه السلام .

اعمال يوم عرفة

الأول : الغسل عند الظهر .

الثاني : زيارة الامام الحسين عليه السلام وفيها نصوص مخصوصة بهذا اليوم تقدمت الاشارة إليها في الزيارات .

الثالث : الصلاة بعد فريضة العصر قبل البدء بدعوات يوم عرفة ، يصليها تحت السماء ركعتين بالحمد مرة وبالتوحيد خمسين مرة .

الرابع : الصوم لمن لا يضعفه الدعاء في غير الحج لأنه يكون مسافراً.

الخامس : الذكر ، ورد فيه نصوص وصيغ متعددة وكثيرة ، منها أن يذكر الله بالحمد والتسبيح والتهليل والتكبير بكل ما ورد في القرآن .

السادس : الدعاء بصيغ عديدة وكثيرة ، وأهمها واجملها دعاء الامام الحسين عليه السلام يوم عرفة الذي يعتبر آية في نصوص الدعاء الوارد عن ائمة الهدىٰ عليهم السلام ، حيث دعا به في جمع من الناس في اواخر وقت يوم عرفة ، ويشتمل علىٰ مضامين عالية وهو من الادعية المعدودة النادرة .

(٢٧) نفسه: ٣٢، ح٢.

وكذلك دعاء الامام السجاد علي بن الحسين عليه السلام المذكور في الصحيفة السجادية ، وهو الدعاء السابع والاربعون .

السابع : الدعاء للاخوان والارحام ولاسيما الأبوان .

وتكاد هذه الاعمال المخصوصة التي وردت فيها النصوص أن تستغرق جميع وقت يوم عرفة .

القسم الثالث : اعمال العشر الاوائل من ذي الحجة

لقد ورد في هذه الايام الشريفة من أول ذي الحجة إلى يوم عرفة اعمال خاصة بها ومشتركة ، وقد ورد فيها عن النبي صلى الله عليه وآله أنه ما من ايام يُعمل فيها أحب إلى الله عزوجل من ايام هذه العشرة ، أي باضافة يوم العيد لها . نشير إلى خلاصتها :

الأول : صوم الايام التسعة فإنه يعدل صيام العمر كله .

الثاني : الصلاة ركعتين بين فريضتي المغرب والعشاء ، يقرأ فيها الحمد والتوحيد مرة وآية : ﴿**وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر...**﴾[٢٨] الآية .

(٢٨) الاعراف : ١٤٢ .

الثالث : الدعاء بما رواه الشيخ الطوسي والسيد ابن طاووس عن الصادق عليه السلام وهو دعاء مخصوص ، بالاضافة إلى دعوات اخرىٰ جاء بها جبريل هدية إلى عيسىٰ بن مريم عليه السلام .

الرابع : الذكر بالتهليل الخاص المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام .

(٢٩) مفاتيح الجنان : ٢٥١ ـ ٢٥٢ .

وقد ذكر لليوم الاول من هذه الايام اعمال خاصة به أيضاً[٢٩] .

القسم الرابع : اعمال ايام التشريق

ايام التشريق هي الايام الثلاثة بعد يوم عيد الاضحىٰ ، وهناك اعمال مشتركة بين عيد الاضحىٰ وهذه الايام ، ومن اهم هذه الاعمال في الحج هو رمي الجمرات كما ذكرنا ، ولكن توجد اعمال مستحبة يؤتىٰ بها في هذه الايام ايضاً :

الأول : الاضحية ، وتستحب يوم العيد ، ويمكن الاتيان بها في اليومين الحادي عشر والثاني عشر في الأمصار ، وكذلك في اليوم الثالث عشر في منىٰ .

الثاني : التكبيرات المعروفة ، وهي «الله اكبر الله اكبر لا إله إلّا الله والله اكبر الله اكبر ولله الحمد الله اكبر علىٰ ما هدانا الله اكبر علىٰ ما رزقنا من بهيمة الانعام والحمد لله علىٰ ما ابلانا» ، حيث يستحب الاتيان بها في الحج ابتداءً من فريضة ظهر العيد إلى الثالث عشر من ذي الحجة بعد الفرائض والنوافل في منىٰ ، وأما في سائر الأمصار فيستحب ذلك الى فجر الثاني عشر من ذي الحجة .

هذا هو مجمل اعمال هذا الموسم الشريف .

الصنف الثاني : العبادات غير المؤقتة

العبادات غير المؤقتة هي تلك العبادات التي لم يحدد زمان معين لادائها ، بل ترك وقت ادائها إلى المكلف حسب ظروفه الخاصة واختياره الخاص ، أو حسب تحقق شروط وجوبها أو استحبابها ، كما هو الحال مثلاً في الجهاد الذي هو عبادة واجبة ، ولكنها ليست محددة بزمان معين بل مرتبطة بتحقق موضوع الوجوب وشروطه .

وسوف نقتصر في تناولنا هذا الصنف من العبادات والعناوين الخمسة التالية ، وأما بقية العبادات فقد سبق الاشارة إلى بعضها كالصدقة والزكاة والخمس في بحث النظام الاقتصادي ، أو الاحسان في المعاملة وحسن الخلق اللذين تحدثنا عنهما في بحث العلاقات .

الأول : الصلاة .

الثاني : الصوم .

الثالث : الدعاء .

الرابع : الذكر .

الخامس: الجهاد.

وقد تحدثنا عن بعض مفردات هذه العناوين المؤقتة في الفصل الأول من العبادات وهي اهم هذه المفردات، وبقي علينا أن نتحدث عن هذه العناوين ومفرداتها غير المؤقتة:

أولاً: الصلاة

تعتبر الصلاة اهم العبادات الاسلامية على الاطلاق، وقد تحدث عنها القرآن الكريم كثيراً، وهي عمود الدين التي إن قبلت قبل ما سواها وإن ردت رد ما سواها[٣٠]، كما أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر. وقد نسب تاركها متعمداً إلى الكفر في بعض الروايات.

(٣٠) وسائل الشيعة ٣: ٢٠، ب ٨، ح ٦ و ١٠ و ١٣.

وقد ورد في فضلها والمحافظة عليها وآثارها وعلة تشريعها وكيفية أدائها، وغير ذلك مما له علاقة بالصلاة بشكل عام، مئات الروايات والنصوص، كما أن الحديث عن جميع هذه الابعاد يحتاج إلى كتاب كامل واسع.

وقد ورد في فضلها في حديث معتبر عن معاوية بن وهب قال: «سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن أفضل ما يتقرب به العباد إلى ربهم وأحب ذلك إلى الله عزوجل ماهو؟ فقال: **ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلاة. ألا ترى أن العبد الصالح عيسى بن مريم عليه السلام قال: ﴿وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حياً﴾**[٣١].

(٣١) نفسه: ٢٥، ح ١.

وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام بشأن الصلاة في حديث يوصي به اصحابه أنه قال: «**تعاهدوا أمر الصلاة، وحافظوا عليها، واستكثروا منها، وتقرّبوا بها، فإنها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً. ألا تسمعون إلى جواب أهل النار حين سئلوا ﴿ما سلككم في سقر * قالوا لم نك من المصلين﴾. وإنها لتحطّ الذنوب حطَّ الورق، وتطلقها إطلاق الرّبق، وشبّهها رسول الله صلى الله عليه وآله بالحمّة تكون على باب الرّجل فهو يغتسل منها في اليوم والليلة خمس مرات،**

فما عسى أن يبقى عليه من الدّرن ، وقد عرف حقها رجال من المؤمنين الذين لا يشغلهم عنها زينة متاع ولا قرّة عين من ولد ولا مال . يقول الله سبحانه : ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وايتاء الزكاة﴾ وكان رسول الله ﷺ نصباً بالصلاة بعد التبشير له بالجنّة ، لقول الله سبحانه : ﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها﴾ وكان يأمر بها أهله ويصبر عليها نفسه»[٣٢] .

وللصلاة شروط وآداب ترتبط بالمصلي ولباسه ومكانه ومسجده ، أهمها الطهارة في بدنه ولباسه وفي مسجده من النجاسات، والوضوء وهو الطهارة المعنوية التي يحصل عليها الانسان بالوضوء او الغسل ، وأن يكون مكانه مباحاً غير مغصوب ، وألّا يكون لباسه من الحرير أو الذهب أو من حيوان غير مأكول اللحم أو الميتة . إلى غير ذلك من الاحكام التي يمكن الحصول عليها مفصلة في الرسائل العملية للفقهاء .

(٣٢) وسائل الشيعة ٣: ١٩، ح ٨.

الصلاة واجبة ومستحبة

أما الصلوات الواجبة فهي اليومية وهي صلاة الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء ، ومنها صلاة الجمعة التي تكون بدلاً عن صلاة الظهر يوم الجمعة ، وصلاة العيدين والآيات[٣٣] والصلاة الواجبة بالنذر أو العهد أو اليمين أو الاستئجار ، وصلاة الطواف . وقد سبق الحديث عن اكثر هذه العناوين في الفصل السابق .

وأما الصلوات المستحبة فهي كثيرة منها المؤقتة التي سبق الحديث عنها في الفصل السابق ومنها الصلاة غير المؤقتة والتي يمكن أن نجمع اهمها في خمسة عناوين :

١ ـ صلوات المعصومين .

٢ ـ صلاة جعفر الطيار .

(٣٣) تجب صلاة العيدين في حضور الامام المعصوم . وفي حالة غيابه تكون مستحبة ، وقد تقدم الحديث عنها ، وكذلك الحال في صلاة الجمعة التي تجب تخييراً بينها وبين الظهر في عصر الغيبة على احد الاقوال المعروفة عند فقهاء مذهب اهل البيت عليهم السلام .

وأما صلاة الآيات فهي ركعتان بكيفية مخصوصة تجب عند الظواهر الفلكية أو الجوية أو الارضية ، مثل الخسوف والكسوف والزلزلة والريح السوداء المخوفة ، وغيرها من الآيات .

وتفصيل احكام هذه الصلوات وكيفيتها موكول إلى الرسائل العملية الفقهية .

٣ ـ صلاة الحاجة .

٤ ـ صلاة الاستخارة .

٥ ـ صلاة الهدية .

وهذا كله مضافاً إلى صلاة التطوع التي يأتي بها الانسان تطوعاً وتقرباً إلى الله تعالىٰ ، دون عنوان معين أو صيغة خاصة وفي أي وقت شاء أو أي موضع ، فإن الصلاة خير موضوع فمن شاء استقل ومن شاء استكثر . وقد قال رجل لرسول اللّه ﷺ : «ادع اللّه أن يدخلني الجنة ، فقال رسول اللّه ﷺ : **اعنّي بكثرة السجود**»(٣٤) .

(٣٤) وسائل الشيعة ٣: ٧٥، ح ١.

ومن هذه الصلوات ما يأتي به الانسان عند دخول المسجد تحية له، فإن تحية المسجد هي الصلاة فيه فريضة أو تطوعاً أو أي صلاة أخرىٰ . ويكون الاتيان بصلاة التطوع والصلوات المستحبة وكذلك النوافل علىٰ شكل ركعتين يختمان بالتشهد والتسليم ، ما لم يأت نص في ذلك ، كما في الصلوات الواجبة ما عدا الصبح ، وكما في الوتر في صلاة الليل ، أو كما في صلاة الاعرابي أو غيرها .

ويحسن بالانسان الاتيان بالنوافل والتطوع بالصلاة عند وجود الاقبال والرغبة لديه فيها ، فقد ورد في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : «**إن للقلوب اقبالاً وادباراً فإذا اقبلت فتنفلوا وإذا ادبرت فعليكم بالفريضة**»(٣٥) .

(٣٥) المصدر السابق: ٥٠ ، ح ٨.

ولكن لابد للانسان دائماً أن يعالج قلبه ونفسه من أجل أن يقبل علىٰ الصلاة ، فإن صلاة النافلة والتطوع بالصلاة يكمل ما يذهب علىٰ الانسان من سهو وغفلة وشرود في صلاة الفريضة ، وإن ما يرفع من الصلاة هو ما يقبل به الانسان علىٰ ربه فقط ، فقد ورد في عدة روايات معتبرة منها ما رواه محمد بن مسلم عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : «**إن العبد ليرفع له من صلاته نصفها أو ثلثها أو ربعها أو خمسها ، فما يرفع له إلّا ما أقبل عليه منها بقلبه ، وإنما امرنا بالنافلة ليتم لهم بها ما نقصوا من الفريضة**»(٣٦) .

(٣٦) المصدر السابق: ٥٢ ، ح ٣.

١ ـ صلوات المعصومين

لقد وردت نصوص تنسب إلى المعصومين عليهم السلام ، صيغاً معينة من الصلوات ، وقد ذكر الحر العاملي في كتابه تفصيل (وسائل الشيعة) ثلاث صلوات للنبي صلى الله عليه وآله والامام علي عليه السلام وفاطمة الزهراء عليها السلام .

أ ـ صلاة النبي صلى الله عليه وآله

ذكر الشيخ الطوسي في مصباح المتهجد أن صلاة النبي صلى الله عليه وآله ركعتان يقرأ فيهما الحمد مرة ثم سورة القدر خمس عشرة بعد الفاتحة في القيام ، وكذلك في الركوع وفي القيام بعد الركوع وفي السجدة الاولىٰ وبعد الجلوس منها وفي السجدة الثانية وبعد الجلوس منها ، فإذا سلّم منهما عقّب بما أراد وانصرف وليس بينه وبين الله عزوجل ذنب إلّا غفره[٣٧] . وقد روى هذه الصلاة السيد ابن طاووس عن الامام الرضا عليه السلام وذكر بعدها[٣٨] دعاءً خاصاً بها .

(٣٧) وسائل الشيعة ٥ : ٢٢٣، ح١.

(٣٨) مفاتيح الجنان: ٣٨.

ب ـ صلاة علي عليه السلام

روى الكليني في الكافي والشيخ في التهذيب عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : «**من صلىٰ اربع ركعات يقرأ في كل ركعة قل هو الله أحد خمسين مرة ، لم ينفتل وبينه وبين الله ذنب**»[٣٩] .

وقد ذكر الشيخ في المصباح بعدها دعاءً خاصاً بها[٤٠] .

(٣٩) وسائل الشيعة ٥ : ٢٤٥، باب ١٣، ح ١ .

(٤٠) مفاتيح الجنان : ٣٩.

ج ـ صلاة فاطمة الزهراء عليها السلام

ذكر في الوسائل صيغتين لهذه الصلاة ، إحداهما مطابقة لصلاة أمير المؤمنين علي عليه السلام ، والثانية ذكرها الشيخ في المصباح وهي ركعتان يقرأ في الاولىٰ الحمد مرة والقدر مئة مرة وفي الثانية الحمد مرة والتوحيد مئة مرة[٤١] .

وذكر العلامة القمي صيغاً اخرىٰ لهذه الصلاة مع دعاء يدعىٰ به بعدها[٤٢] .

(٤١) وسائل الشيعة ٥ : ٢٤٤، باب ١٠ صلاة فاطمة وكيفيتها ، ح ٦.

(٤٢) مفاتيح الجنان : ٤٠ ـ ٤٢ .

وبالاضافة إلى هذه الصلوات ذكر الحر العاملي عن علي بن موسىٰ بن طاووس في كتابه (جمال الاسبوع) ، صلوات نسبها إلى الائمة الاحد عشر من أهل البيت ، لكل واحدة منها كيفية خاصة ، ولكن لم يذكر وجود رواية فيها أو نسبتها لقول معصوم[٤٣] .

وذكر العلامة القمي هذه الصلوات مع دعاء بعد كل واحد منها . ويبدو أنه اخذها عن ابن طاووس ايضاً[٤٤] ، ولكن لإرسالها وعدم نسبتها إلى احد من الأئمة لم نذكرها .

(٤٣) وسائل الشيعة ٥ : ٢٩٧، باب التطوع بصلوات الائمة .

(٤٤) مفاتيح الجنان: ٤٢ - ٤٥.

٢ ـ صلاة جعفر الطيار

ومن أشهر هذه الصلوات ومن افضلها الصلاة المعروفة بصلاة جعفر ، نسبة إلى جعفر الطيار بن أبي طالب ابن عم رسول الله ، وهي من الصلوات التي يستحب الاتيان بها في كل الاوقات والازمنة ، ولاسيما في ايام الجمعة وليلة النصف من شعبان وبقية الاوقات الشريفة ، كما يستحب فيها القنوت قبل الركوع للركعة الثانية والرابعة. ويمكن أن تحتسب من النوافل اليومية .

وقد ورد في وصفها وفضلها احاديث عديدة نذكر منها ما يغنينا في تكوين صورة مناسبة عنها .

الأول : ما ورد بسند معتبر عن الامام الصادق قال : «**قال رسول الله لجعفر[٤٥] : ألا أمنحك ؟ ألا أعطيك ؟ ألا أحبوك ؟ فقال له جعفر: بلى يا رسول الله . قال : فظن الناس أن يعطيه ذهباً أو فضة ، فأشرف الناس لذلك ، فقال له : إني أعطيك شيئاً إن أنت صنعته في كل يوم كان خيراً لك من الدنيا وما فيها ، وإن صنعته بين يومين غفر الله لك ما بينهما أو كل جمعة ، أو كل شهر ، أو كل سنة غفر لك ما بينهما تصلّي اربع ركعات تبتدئ فتقرأ وتقول إذا فرغت : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله اكبر ، تقول خمس عشرة مرة بعد القراءة ، فإذا ركعت رفعت رأسك من الركوع قلته عشرة مرات ، فإذا**

(٤٥) قال ذلك له علىٰ ما في بعض الروايات المتشابهة لهذه الرواية عند مجيئه من هجرته إلى الحبشة ، حيث صادف ذلك يوم فتح خيبر ، فعندما جاء خبر وصول جعفر وقدومه قال رسول الله: «**والله ما أدري بأيهما أنا اشد سروراً ، بقدوم جعفر أو بفتح خيبر؟**» والغريب أن هذه الصلاة نفسها وردت في كتب الجمهور بعنوان صلاة التسابيح ، وأنها هدية النبي إلى عمه العباس . ولا نعتقد بصحة هذه النسبة ؛ إذ لا موجب لمثل هذه الهدية والحبوة للعباس ، مضافاً إلى أن اهل البيت ادرىٰ بالذي فيه . وهذه النسبة هي من موضوعات العباسيين علىٰ الظاهر .

سجدت قلته عشرة مرات ، فإذا رفعت رأسك من السجود فقل بين السجدتين عشر مرات ، فإذا سجدت الثانية فقل عشر مرات ، فإذا رفعت رأسك من السجدة الثانية قلت عشر مرات وأنت قاعد قبل أن تقوم ، فذلك خمس وسبعون تسبيحة في كل ركعة ، ثلاثمئة تسبيحة في أربع ركعات ، ألف ومئتا تسبيحة وتهليلة وتكبيرة وتحميدة ، إن شئت صليتها بالنهار ، وإن شئت صليتها بالليل »[٤٦] .

(٤٦) وسائل الشيعة ٥ : ١٩٤ ، ح ١.

الثاني : ورد في اكثر من رواية معتبرة أنه يصليها بقل هو الله احد وقل يا أيها الكافرون ، ولكن في رواية اخرىٰ معتبرة أنه يقرأ بعد الفاتحة في الركعة الاولىٰ الزلزلة وفي الثانية العاديات وفي الثالثة النصر وفي الرابعة التوحيد ، أو الزلزلة والنصر والقدر والتوحيد .

وقد ورد في ثوابها أنه لو كان عليه مثل رمل عالج ذنوباً غفر الله له، وأن ذلك للسائل ولاصحابه[٤٧] .

(٤٧) المصدر السابق : ١٩٧ و ١٩٨ ، ح ١ و ٢ و ٣.

الثالث : عن أبي سعيد المدايني قال : «قال لي أبو عبد الله عليه السلام : ألا أعلّمك شيئاً تقوله في صلاة جعفر ؟ فقلت : بلىٰ : فقال : إذا كنت في آخر سجدة من الاربع ركعات فقل إذا فرغت من تسبيحك ، سبحان من لبس العز والوقار ، سبحان من تعطّف بالمجد وتكرّم به ، سبحان من لا ينبغي التسبيح إلّا له ، سبحان من أحصىٰ كل شيء علمه ، سبحان ذي المن والنعم ، سبحان ذي القدرة والكرم . اللّهم إني اسألك بمعاقد العز من عرشك ، ومنتهىٰ الرحمة من كتابك ، واسمك الاعظم وكلماتك التّامة التي تمّت صدقاً وعدلاً ، صل علىٰ محمد وأهل بيته وافعل بي كذا وكذا»[٤٨] .

(٤٨) وسائل الشيعة ٥ : ١٩٨ ، ح ١ .

٣ ـ صلاة الحاجة

لقد وردت احاديث ونصوص متعددة تتحدث عن صلاة لقضاء الحاجات ، بصيغ مختلفة متعددة تشكل الصلاة جزءاً مهماً منها . وفي بعضها تكون الصلاة والدعاء بعدها لطلب الحاجة هو تمام العبادة .

ولعل اهم صيغة واشهرها لطلب الحاجة الخاصة هي صلاة الاستسقاء التي يؤتىٰ بها جماعة كما في صلاة العيدين ؛ من أجل أن يستسقىٰ بها من الجدب وانقطاع نزول المطر .

وكيفيتها مثل صلاة العيدين «حيث يخرج الامام ويبرز إلى مكان نظيف في سكينة ووقار وخشوع ومسكنة ، ويبرز معه الناس ، فيحمد الله ويمجده ويثني عليه ويجتهد في الدعاء ويكثر من التسبيح والتهليل والتكبير ، ويصلي مثل صلاة العيدين ركعتين في دعاء ومسألة واجتهاد ، فإذا سلّم الامام قلّب ثوبه وجعل الجانب الذي علىٰ المنكب الايمن علىٰ المنكب الايسر والذي علىٰ الايسر علىٰ الايمن ، فإن النبي صلى الله عليه وآله كذلك صنع»[٤٩] .

وفي بعض الروايات الاخرىٰ تفاصيل اخرىٰ ، ولاهميتها أفردها الفقهاء في ابواب مستقلة كصلاة العيدين .

ومن الصيغ الاخرىٰ للحاجة التي رويت بطريق معتبر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام وولده موسىٰ بن جعفر عليه السلام ، هي صيغة رواها الكليني والصدوق والشيخ الطوسي يتصدق فيها صاحب الحاجة علىٰ ستين مسكيناً لكل منهم صاع من تمر أو برّ أو شعير ، ثم يصلي ركعتين بالفاتحة والتوحيد وبالفاتحة وقل يا أيها الكافرون ، ويكون ذلك في الثلث الاخير من الليل بعد الغسل ، ويلبس أدنىٰ ما يلبسه أفراد عائلته ويكون فيه ازار ، وفي السجدة الاولىٰ من الركعة الاخيرة يهلّل الله ويعظمه ويقدّسه ويمجّده ويذكر ذنوبه فيقرّ بما يعرف منها ، ثم يرفع رأسه ، فإذا وضع رأسه للسجدة الثانية استجار الله مئة مرة وقال : «**اللّهم إني استجيرك**» ثم يدعو بما شاء ويقول : «**يا كائناً قبل كل شيء ويا مكون كل شيء ويا كائناً بعد كل شيء أفعل بي كذا وكذا**» ويسأل الله تعالىٰ حاجته ، وكلما سجد باشر بركبتيه الارض ورفع الازار وجعله من خلفه بين أليتيه وباطن ساقيه .

(٤٩) المصدر السابق : ١٦٢، ح ١، وهو معتبر السند .

وهناك عدة صيغ ذكرها الحر العاملي في كتابه الوسائل[٥٠] والعلامة القمي في مفاتيح الجنان .

صلوات اخرىٰ لحاجات خاصة

وهناك صلوات اخرىٰ لحاجات معينة مهمة ولها صيغ خاصة . منها هذه العناوين (غفران الذنوب) و (المهمات) ، و (الانتصار من الظالم) ، و (الذكاء وجودة الحفظ) ، و (الامر المخوف) ، و (طلب الرزق عند الخروج للسوق) ، و (قضاء الدين) ، و (دفع شر السفر) ، و (ام المريض ودعاؤها له بالشفاء) ، و (عند خوف المكروه وعند النعم) ، و (للخلاص من السجن) ، و (للخوف من العدو) ، و (الاستعداء والانتصار) ، و (عند إرادة الحَبَل)[٥١] .

وهناك ثلاث صلوات مهمة قد لا تدخل تحت عنوان الحاجة ، وإن كان لها علاقة وهي : الصوم والصلاة عند نزول البلاء من أجل صرفه، والصلاة ركعتين للشكر ، والصلاة عند إرادة الدخول بالزوجة ، وهي تعبر عن آداب ورسوم اسلامية سندها معتبر[٥٢] .

٤ ـ صلاة الاستخارة

ومن جملة العبادات هي الاستخارة وصلاتها ؛ وذلك أن الانسان إذا اراد فعلاً أو همّ بشيء من سفر أو بيع وشراء أو حج وعمرة أو تجارة ، وكان متردداً في الاقدام عليه أو كان لديه أكثر من خيار في فعله ، فإنه يحسن به أن يصلي ثم يطلب من الله تعالىٰ الخيرة له في دينه ودنياه أو في عاجله أو آجله .

فقد ورد في حديث معتبر عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال : «**صل ركعتين واستخر الله ، فو الله ما استخار الله مسلم إلّا خار له البتّة**»[٥٣] .

وفي رواية اخرىٰ قال : «**من استخار الله راضياً بما صنع خار الله له حتماً**»[٥٤] .

(٥٠) وسائل الشيعة ٥: ٢٥٥ ـ ٢٦١، ومفاتيح الجنان : ٢٢٦ و ٢٣٣ و ٢٣٤ و ٢٣٨ و ٢٣٩ و ٢٤١ وغيرها من قسم الباقيات الصالحات .

(٥١) ذكر هذه الصلوات صاحب الوسائل في الجزء الخامس حسب تسلسل العناوين في الصفحات التالية : ٢٤٤ و٢٤٥ و٢٤٦ و٢٤٨ و ٢٥٠ و٢٥٢ و٢٥٣ و ٢٥٤ و ٢٥٥ و ٢٦٢ و٢٦٣ و ٢٦٥ و٢٦٦ و٢٦٨ .

(٥٢) ذكرت هذه الصلوات في الوسائل ايضاً ج ٥ حسب التسلسل التالي للابواب : ٢٦١ و ٢٦٦ و٢٦٧ .

(٥٣) وسائل الشيعة ٥ : ٢٠٤، ح ١ .

(٥٤) نفسه : ح ٢ .

وقد ورد في هذا الموضوع روايات عديدة متظافرة جاء في بعضها تعليم كيفية هذه الاستخارة «ائت المسجد في غير وقت صلاة الفريضة فصل ركعتين فاستخر الله مئة مرة ، ثم انظر أي شيء يقع في طلبك فاعمل به . وفي بعض الروايات ورد العدد مئة مرة ومرة»[٥٥] .

(٥٥) نفسه: ٢٠٥، ح ٥ .

كما جاء في رواية اخرىٰ تفصيل ما يقوله بعد الصلاة «ثم ليحمد الله وليثن عليه ويصلي علىٰ محمد وأهل بيته ويقول : اللّٰهم إن كان هذا الامر خيراً ... وان كان غير ذلك فاصرفه عني»[٥٦] . وأنه يقرأ بعد الفاتحة ما يشاء من السور وإن شاء قرأ التوحيد والكافرون .

(٥٦) نفسه: ٢٠٦، ح٧.

وفي رواية أخرىٰ معتبرة السند يعلمنا الامام الباقر عليه السلام صيغة اخرىٰ للاستخارة أكثر تفصيلاً واشد عملاً . عن زرارة قال : «قلت لأبي جعفر : إذا اردت امراً واردت الاستخارة كيف أقول ؟ فقال : إذا أردت ذلك فصم الثلاثاء والاربعاء والخميس ، ثم صل يوم الجمعة في مكان نظيف ركعتين فتشهد ثم قل وانت تنظر إلى السماء : اللّٰهم إني اسألك بأنك عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم أنت عالم الغيب . إن كان هذا الامر خيراً فيما احاط به علمك فيسّره لي وبارك لي فيه وافتح لي به ، وإن كان ذلك لي شرّاً فيما احاط به علمك فاصرف عني بما تعلم ، فإنك تعلم ولا أعلم وتقدر ولا أقدر ، وتقضي ولا أقضي وأنت علام الغيوب ، تقولها مئة مرة»[٥٧] .

(٥٧) نفسه: ٢٠٧، ح١١.

ونجد صيغاً اخرىٰ في روايات اخرىٰ ايضاً[٥٨] . الامر الذي يدل أن الاستخارة انما هي صلاة ودعاء وتضرع للّٰه تعالىٰ في طلب الخيرة ، وكلما تمكن الانسان من توفير شروط الدعاء والاستجابة كالصدقة والصيام والاوقات الخاصة والتضرع وغير ذلك ، فإن ذلك يكون أقرب إلى استجابة دعائه .

(٥٨) نفسه : ٢٠٤ ، ابواب صلاة الاستخارة وما يناسبها .

ويؤكد ذلك ما ورد في رواية عن الامام الصادق عليه السلام ، أنه إذا أراد شراء العبد أو الدابة أو الحاجة الخفيفة أو الشيء اليسير ،

استخار الله فيه سبع مرات ، فإذا كان امراً جسيماً استخار الله مئة مرة[٥٩] .

كما وردت صيغة اخرىٰ فيها صلاة ورقاع مكتوب فيها «افعل» و «لا تفعل» ، فإذا سحبها وجاء الامر في البداية اكثر من النهي فعل ، وإلّا ترك[٦٠] .

ويبدو من الروايات المتظافرة أنه يحسن بالانسان دائماً أن يطلب من الله تعالىٰ الخيرة له من أمره ، ولا سيما في الصلوات اليومية وقبل الدخول في أي عمل يريد أن يقوم به .

٥ ـ صلاة الهدية

صلاة الهدية هي أن يأتي الانسان بالصلاة هدية لأهل البيت عليهم السلام ، أو لوالديه أو لاخوانه أو اولاده وارحامه .

ولا شك أن الاعمال الصالحة التي يأتي بها الانسان في الدار الدنيا، يمكن أن يهدي ثوابها إلى الاموات فيصلهم هذا الثواب بإذن الله تعالىٰ، سواء كانت هذه الاعمال صلاة أو صوماً أو حجاً أو صدقة أو قراءة للقرآن أو ذكراً لله تعالىٰ أو أي عمل صالح غير ذلك . وقد ورد في ذلك نصوص متعددة وعمل به أئمة اهل البيت عليهم السلام .

فقد نقل العلامة القمي أنه ورد في الحديث الصحيح أن الامام الصادق عليه السلام كان يصلّي عن والديه كل يوم ركعتين يقرأ في الاولىٰ بعد الفاتحة القدر وفي الثانية بعدها الكوثر . كما ورد عنه أنه كان يصلّي عن ولده اسماعيل في كل ليلة ركعتين أيضاً ، وأن الميت يفرح بالدعاء والاستغفار كما يفرح الحي بالهدية ، وأنه يدخل علىٰ الميت في قبره الصلاة والصوم والحج والصدقة والبرّ والدعاء ويكتب أجره للذي يفعله وللميت[٦١] .

وقد ذكرنا في اعمال الاسبوع صلاة هدية تهدىٰ الى ائمة اهل البيت سلام الله عليهم بطريقة خاصة وصيغة معينة[٦٢] .

(٥٩) نفسه: ٢١٣، ح١.

(٦٠) المصدر السابق: ٢٠٨، ح ١.

(٦١) مفاتيح الجنان الباقيات الصالحات: ٢١٤ ـ ٢١٥.

(٦٢) وسائل الشيعة ٥ : ٢٨٤.

ومن الصلوات المعروفة في اوساط الجماعة الصالحة من مصاديق صلاة الهدية هي صلاة ليلة الدفن ، وهي ركعتان يصليها الانسان ويهديها إلى الميت من أخوانه أو ارحامه ليلة دفنه ، وقد ذكر لها صيغتان :

الأول : أن يقرأ بعد الفاتحة في الركعة الاولىٰ آية الكرسي ، وفي الركعة الثانية القدر عشر مرات ، ثم يقول : اللّٰهم صلي علىٰ محمد وآل محمد وأبعث ثوابها إلى قبر فلان[٦٣] .

(٦٣) نفسه: ٢٨٥، ح٢.

الثانية : أن يقرأ بعد الحمد في الاولىٰ التوحيد مرتين وفي الثانية التكاثر عشر مرات ويقرأ الدعاء السابق[٦٤] .

(٦٤) نفسه : ح ٣ .

وقد ذكر السيد ابن طاووس في كتابه جمال الاسبوع ثواباً عظيماً لمن اهدىٰ صلاته للنبي والائمة المعصومين من بعده بذكر خاص في ركوعها وسجودها[٦٥] .

(٦٥) نفسه : ح ٤ .

وهناك صلاة الولد لوالديه وهي من صلوات الهدية ذكرها العلامة القمي ، وهي ركعتان يقرأ في الاولىٰ الفاتحة وعشر مرات آية ﴿ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾ وفي الثانية بعد الفاتحة يقرأ عشر مرات آية ﴿رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات﴾ وبعد التسليم يقول عشر مرات : ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا[٦٦] .

(٦٦) مفاتيح الجنان : ٢١٦ .

مقارنات فقهية

قرارات وتوصيات الدورة الثالثة لمجلس مجمع الفقه الاسلامي في عمّان

التحرير

يعقد مجمع الفقه الاسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الاسلامي جلساته بشكل دوري، ويحضره علماء المسلمين من أكثر من خمسين دولة اسلامية بصفة عضو رسمي، أو خبير متخصص أو مشارك، ويرأس وفد الجمهورية الاسلامية الايرانية ممثلها الدائم في المجمع سماحة الشيخ محمد علي التسخيري، الأمين العام للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، ورئيس رابطة الثقافة والعلاقات الاسلامية.

إن القرارات والتوصيات التي يصدرها مجلس مجمع الفقه الاسلامي لا يُطابق بعضها الرأي الفقهي لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، لذا نقوم بنشرها تباعاً مع التعليق على موارد الخلاف وبيان رأي فقهاء مدرسة أهل البيت عليهم السلام فيها.

« التحرير »

عقد مجلس مجمع الفقه الاسلامي، دورته الثالثة في عمّان من ٨ ـ ١٣ / صفر / ١٤٠٧ هـ، وأصدر قراراته وتوصياته التالية:

قرار رقم ١

بشأن استفسارات البنك الاسلامي للتنمية

بعد دراسة مستفيضة ومناقشات واسعة لجميع الاستفسارات التي تقدم بها البنك إلى المجمع، انتهى إلى ما يلي:

(أ) بخصوص أجور خدمات القروض في البنك الاسلامي للتنمية قرر مجلس المجمع اعتماد المبادئ التالية :

١ ـ جواز أخذ أجور عن خدمات القروض* .

* تعليق التحرير :

[على ألّا يكون ما يؤخذ بعنوان اجور عن خدمات القروض فراراً من الربا[١]] .

(١) راجع تحرير الوسيلة للامام الخميني قدس سره ٢: ٩١٨ ـ ٩١٩، م ١٠.

٢ ـ أن يكون ذلك في حدود النفقات الفعلية .

٣ ـ كل زيادة على الخدمات الفعلية محرمة لأنها من الربا المحرم شرعاً* .

* تعليق التحرير :

[بل كل زيادة على الخدمات الفعليّة جائز إذا لم تكن شرطاً في ضمن عقد القرض ولم تكن فراراً من الربا[٢]] .

(٢) م. ن: ٩١٩، م ١٠.

(ب) بخصوص عمليات الإيجار قرر مجلس المجمع اعتماد المبادئ التالية فيها:

١ ـ أن الوعد من البنك الاسلامي للتنمية بإيجار المعدات إلى العميل بعد تملك البنك لها أمر مقبول شرعاً .

٢ ـ أن توكيل البنك الاسلامي للتنمية أحد عملائه على شراء ما يحتاجه ذلك العميل من معدات وآليات ونحوها مما هو محدد الأوصاف والثمن لحساب البنك ، بغية أن يؤجره البنك تلك الأشياء بعد حيازة الوكيل لها ، هو توكيل مقبول شرعاً ؛ والأفضل أن يكون الوكيل بالشراء غير العميل المذكور إذا تيسر ذلك .

٣ ـ أن عقد الإيجار يجب أن يتم بعد التملك الحقيقي للمعدات وأن يبرم بعقد منفصل عن عقد الوكالة والوعد .

٤ ـ أن الوعد بهبة المعدات عند انتهاء أمد الإجارة جائز بعقد

منفصل .

٥ ـ أن تبعة الهلاك والتعيب تكون على البنك بصفته مالكاً للمعدات ما لم يكن ذلك بتعدٍ أو تقصير من المستأجر فتكون التبعة عندئذ عليه.

٦ ـ أن نفقات التأمين لدى الشركات الاسلامية كلما أمكن ذلك يتحملها البنك .

(ج) بخصوص عمليات البيع بالأجل مع تقسيط الثمن قرر مجلس المجمع اعتماد المبادئ التالية فيها :

١ ـ أن الوعد من البنك الاسلامي للتنمية ببيع المعدات إلى العميل بعد تملك البنك لها أمر مقبول شرعاً .

٢ ـ أن توكيل البنك أحد عملائه على شراء ما يحتاجه ذلك العميل من معدات وآليات ونحوها مما هو محدد الأوصاف والثمن لحساب البنك ، بغية أن يبيعه البنك تلك الأشياء بعد وصولها وحصولها في يد الوكيل ، هو توكيل مقبول شرعاً . والأفضل أن يكون الوكيل بالشراء غير العميل المذكور إذا تيسر ذلك .

٣ ـ أن عقد البيع يجب أن يتم بعد التملك الحقيقي للمعدات والقبض لها ، وأن يبرم بعقد منفصل .

(د) بخصوص عمليات تمويل التجارة الخارجية قرر مجلس المجمع أنه ينطبق على هذه العمليات المبادئ المطبقة على عمليات البيع بالأجل مع تقسيط الثمن .

(هـ) بخصوص التصرف في فوائد الودائع التي يضطر البنك الاسلامي للتنمية لإيداعها في المصارف الأجنبية قرر مجلس المجمع ما يلي :

يحرم على البنك أن يحمي القيمة الحقيقية لأمواله من آثار تذبذب العملات بواسطة الفوائد المنجرة من إيداعاته ؛ ولذا يجب أن تصرف تلك الفوائد في أغراض النفع العام كالتدريب والبحوث وتوفير وسائل

الإغاثة ، وتوفير المساعدات المالية للدول الأعضاء وتقديم المساعدة الفنية لها ، وكذلك للمؤسسات العلمية والمعاهد والمدارس وما يتصل بنشر المعرفة الاسلامية* .

* تعليق التحرير :

[يصح هذا إذا كان من الشروط المدوّنة في نظام البنك الذي اتفق عليه اصحابه] .

قرار رقم (٢)
بشأن زكاة الأسهم في الشركات

بعد مناقشة موضوع زكاة الأسهم في الشركات من جميع جوانبه والاطلاع على البحوث المقدمة بخصوصه قرر مجلس المجمع تأجيل إصدار القرار الخاص به إلى الدورة الرابعة للمجلس .

قرار رقم (٣)
بشأن توظيف الزكاة في مشاريع ذات ريع بلا تمليك فردي للمستحق

بعد اطلاع مجلس المجمع على البحوث المقدمة في موضوع توظيف الزكاة في مشاريع ذات ريع بلا تمليك فردي للمستحق ، وبعد استماعه لآراء الأعضاء والخبراء فيه قرر أنه يجوز من حيث المبدأ توظيف أموال الزكاة في مشاريع استثمارية تنتهي بتمليك أصحاب الاستحقاق للزكاة ، أو تكون تابعة للجهة الشرعية المسؤولة عن جمع الزكاة وتوزيعها ، على أن تكون بعد تلبية الحاجة الماسة الفورية للمستحقين وتوافر الضمانات الكافية للبعد عن الخسائر* .

* تعليق التحرير :

[بل لا يجوز ذلك قبل عزل مبلغ الزكاة واستئذان ولي الأمر والحاكم الشرعي في استثماره وتكون الخسارة على المستثمر والربح للفقير(٣)] .

(٣) راجع تحرير الوسيلة للامام الخميني قدس سره ١: ٣٤٣، م ٩ من كتاب الزكاة.

قرار رقم (٤)

بشأن أطفال الأنابيب

بعد استعراض مجلس المجمع لموضوع التلقيح الصناعي (أطفال الأنابيب) وذلك بالاطلاع على البحوث المقدمة والاستماع لشرح الخبراء والأطباء وبعد التداول ، تبين للمجلس أن طرق التلقيح الصناعي المعروفة في هذه الأيام هي سبع :

الأولى : أن يجري تلقيح بين نطفة مأخوذة من زوج وبيضة مأخوذة من امرأة ليست زوجته ثم تزرع اللقيحة في رحم زوجته .

الثانية : أن يجري التلقيح بين نطفة رجل غير الزوج وبيضة لزوجة ثم تزرع تلك اللقيحة في رحم الزوجة .

الثالثة : أن يجري تلقيح خارجي بين بذرتي زوجين ثم تزرع اللقيحة في رحم امرأة متطوعة بحملها* .

الرابعة : أن يجري تلقيح خارجي بين بذرتي رجل أجنبي وبيضة امرأة أجنبية وتزرع اللقيحة في رحم الزوجة .

الخامسة : أن يجري تلقيح خارجي بين بذرتي زوجين ثم تزرع اللقيحة في رحم الزوجة الأخرى* .

السادسة : أن تؤخذ نطفة من زوج وبيضة من زوجته ويتم التلقيح خارجياً ثم تزرع اللقيحة في رحم الزوجة .

السابعة : أن تؤخذ بذرة الزوج وتحقن في الموضع المناسب من مهبل زوجته أو رحمها تلقيحاً داخلياً .

وقرر أن الطرق الخمسة الأولى كلها محرمة شرعاً وممنوعة منعاً باتاً لذاتها أو لما يترتب عليها من اختلاط الأنساب وضياع الأمومة وغير ذلك من المحاذير الشرعية .

* تعليق التحرير :

[في الحالة الثالثة يمكن رفع دعوى انصراف اخبار التحريم إلى

ما إذا كان الرحم المذكور فيها طرفاً آخر لانعقاد النطفة بحيث كان انعقادها ببيضته ، وأما مثل ما نحن فيه ممّا لا شأن للرحم إلّا كونه وعاءً مناسباً تربو وتنمو فيه النطفة المودعة فيه فليس مشمولاً لها بل الاخبار منصرفة عنها ، والله العالم[٤] .

أما الحالة الخامسة فلا دليل على عدم جوازها سواء زرعت النطفة المنعقدة من الزوجين في رحم حليلته صاحبة البيضة أم رحم زوجته الأخرىٰ ، فإن الرجل ـ في هاتين الصورتين ـ قد أقرّ نطفته في رحم يحلّ له لا في رحم حرام عليه ولا في غير موضع أمر الله به ، والمرأة قد حملت نطفة زوجها ، فلا وجه للمنع من هذه الجهة ، وأما أنها نطفة منعقدة من بيضة امرأة أخرىٰ فليس في الأدلة ما يدلّ على حرمة حملها حينئذٍ[٥] .

(٤) راجع كلمات سديدة في مسائل جديدة للشيخ محمد المؤمن : ٩٢، باب التلقيح .

(٥) م . ن : ٩١ .

قرار رقم (٥)
بشأن أجهزة الإنعاش

بعد تداول المجلس لسائر النواحي التي أثيرت حول موضوع أجهزة الإنعاش واستماعه إلى شرح مستفيض من الأطباء المختصين قرر ما يلي : يعتبر شرعاً أن الشخص قد مات وتترتب جميع الأحكام المقررة شرعاً للوفاة عند ذلك إذا تبينت فيه إحدىٰ العلامتين التاليتين:

١ ـ إذا توقف قلبه وتنفسه توقفاً تاماً وحكم الأطباء بأن هذا التوقف لا رجعة فيه .

٢ ـ إذا تعطلت جميع وظائف دماغه تعطلاً نهائياً ، وحكم الأطباء الاختصاصيون الخبراء بأن هذا التعطل لا رجعة فيه ، وأخذ دماغه في التحلل .

وفي هذه الحالة يسوغ رفع أجهزة الانعاش المركبة على الشخص وإن كان بعض الأعضاء كالقلب مثلاً لا يزال يعمل آلياً بفعل الأجهزة المركبة* .

* تعليق التحرير :

[إذا كان راجحاً بنظر الطبيب المتخصص[٦]] .

(٦) راجع صراط النجاة - القسم الثاني ٣٠٦.

قرار رقم (٦)

بشأن توحيد بدايات الشهور القمرية

استعرض المجلس في قضية توحيد بدايات الشهور القمرية مسألتين :

الاولى : مدى تأثير اختلاف المطالع على توحيد بداية الشهور .

الثانية : حكم إثبات أوائل الشهور القمرية بالحساب الفلكي .

وبعد استماعه إلى الدراسات المقدمة من الأعضاء والخبراء حول هذه المسألة قرر :

١ ـ في المسألة الاولى : إذا ثبتت الرؤية في بلد وجب على المسلمين الالتزام بها ولا عبرة لاختلاف المطالع لعموم الخطاب بالأمر بالصوم والإفطار* .

* تعليق التحرير :

[يرى اغلب فقهاء الامامية أنه لو ثبت الهلال في بلد آخر دون بلده فإن كانا متقاربين أو علم توافق افقهما كفى وإلّا فلا[٧] ؛ وذهب البعض الآخر إلى أنه إذا رؤي الهلال في بلد كفى في الثبوت في غيره مع اشتراكهما في الافق، بحيث إذا رؤي في أحدهما رؤي في الآخر ، بل الظاهر كفاية الرؤية في بلد ما في الثبوت لغيره من البلاد المشتركة معه في الليل وإن كان أول الليل في أحدهما آخره في الآخر[٨]] .

(٧) راجع تحرير الوسيلة للامام الخميني ﷺ ١: ٢٩٧، م ٦ من كتاب الصوم .

٢ ـ في المسألة الثانية : وجوب الاعتماد على الرؤية ، ويستعان بالحساب الفلكي والمراصد مراعاة للأحاديث النبوية والحقائق العلمية .

(٨) راجع منهاج الصالحين ١ : ٢٧٨، م ١٠٤٤ من مسائل ثبوت الهلال.

قرار رقم (٧)

بشأن الإحرام للقادم للحج والعمرة بالطائرة والباخرة

بعد اطلاع المجلس على البحوث المقدمة بخصوص موضوع الإحرام للقادم للحج والعمرة بالطائرة والباخرة قرر ان المواقيت المكانية التي حددتها السنة النبوية يجب الإحرام منها لمريد الحج أو العمرة ، للمار عليها أو للمحاذي لها ارضاً أو جواً أو بحراً لعموم الأمر بالإحرام منها في الأحاديث النبوية الشريفة* .

* تعليق التحرير :

[بل يشكُل الاكتفاء بالمحاذاة من فوق كالحاصل لمن ركب الطائرة لو فرض إمكان الاحرام مع حفظ المحاذاة فيها ، فلا يترك الاحتياط بعدم الاكتفاء بها(٩)] .

(٩) راجع تحرير الوسيلة للامام الخميني قدس سره ١: ٤١٠، م ٥ من كتاب الحج.

قرار رقم (٨)

بشأن صرف الزكاة لصالح صندوق التضامن الاسلامي

بعد استماع المجلس لبيان الأمين العام المساعد لمنظمة المؤتمر الاسلامي حول أنشطة صندوق التضامن الاسلامي وحاجته الماسة إلى الدعم المادي ، واقتراحه أن يكون مصرفاً من مصارف الزكاة .

قرر تكليف الأمانة العامة بالتعاون مع صندوق التضامن الاسلامي بإعداد الدراسات اللازمة لبحث الموضوع وعرضها على مجلس المجمع في دورته القادمة .

قرار رقم (٩)

بشأن أحكام النقود الورقية وتغير قيمة العملة

بعد اطلاع المجلس على البحوث الواردة إلى المجمع بخصوص موضوع أحكام النقود الورقية وتغير قيمة العملة قرر :

أولاً : بخصوص أحكام العملات الورقية : أنها نقود اعتبارية فيها

صفة الثمنية كاملة ولها الأحكام الشرعية المقررة للذهب والفضة من حيث أحكام الربا والزكاة والسلَم وسائر أحكامها* .

* تعليق التحرير :

[الاوراق النقدية تعتبر من المعدود ، ويشترط في ربا البيع ألّا يكون من المعدود بل من المكيل أو الموزون ؛ لذلك يجوز بيع الدينار بمثله مع التفاضل إذا كان البيع نقداً والمعاملة شخصية ، وأما إذا كان نسيئة أو في الذمة فلا يجوز ، خصوصاً إذا كان الهدف منه التخلص من الربا ؛ وأما القرض مع التفاضل فلا يجوز مطلقاً لأن ربا القرض شامل للمعدود ؛ وفي السلَم إذا كان الثمن من العملة الورقية تترتب عليها أحكام السلَم ، من لزوم دفعه في مجلس العقد قبل التفرق ، ولكن لا يجري عليها أحكام بيع الصرف(١٠) .

ولا تجب الزكاة في الاوراق النقدية وذلك لأنها ليست كالذهب والفضة المسكوكين ، ولكن يجب فيها الخمس بشروطه(١١)] .

ثانياً : بخصوص قيمة العملة : تأجيل النظر في هذه المسألة حتى تستوفى دراسة كل جوانبها لتنظر في الدورة الرابعة للمجلس .

قرار رقم (١٠)

بشأن سندات المقارضة وسندات التنمية والاستثمار

بعد اطلاع المجلس على البحث المقدم في موضوع سندات المقارضة وسندات التنمية والاستثمار واستماعه للمناقشات التي دارت حوله ، وجرياً على خطة المجمع في وجوب إعداد عدد من الدراسات في الموضوع الواحد ، ونظراً لاهمية هذا الموضوع وضرورة بحث استكمال جميع جوانبه وتغطية كل تفصيلاته والتعرف على جميع الآراء فيه ، قرر أن تقوم الأمانة العامة للمجمع بتكليف من تراه لإعداد عدد من البحوث فيه ليتمكن المجمع من اتخاذ القرار المناسب في دورته الرابعة .

(١٠) راجع تحرير الوسيلة للامام الخميني ١:٥٣٩، م ٣ (القول في بيع الصرف)، وراجع ايضاً منهاج الصالحين للسيد الخوئي ٢: ٥٥، م ٢٢٠.

(١١) راجع تحرير الوسيلة للامام الخميني ١:٣٢٣ كتاب الزكاة.

قرار رقم (١١)

بشأن استفسارات المعهد الفلكي للفكر الاسلامي بواشنطن

بعد اطلاع المجلس على الاستفسارات التي عرضها المعهد العالمي للفكر الاسلامي بواشنطن ، وما أعد من إجابات عليها من بعض الأعضاء والخبراء ، قرر تكليف الأمانة العامة للمجمع بتبليغ المعهد المذكور بما أقره المجلس من إجابات(*) .

(*) أرجئ اتخاذ القرار بالنسبة للأسئلة ١، ٢، ٧، ١٥، ٢٢.

السؤال الثالث :

ما حكم زواج المسلمة بغير المسلم خاصة إذا طمعت في إسلامه بعد الزواج حيث تدعي مسلمات كثيرات أنه لا يتوفر لهن الأكفاء من المسلمين في غالب الأحيان ، وأنهن مهددات بالانحراف او أنهنّ يعشن في وضع شديد الحرج ؟

الجواب :

زواج المسلمة بغير المسلم ممنوع شرعاً بالكتاب والسنة والإجماع ، وإذا وقع فهو باطل ، ولا تترتب عليه الآثار الشرعية المترتبة على النكاح ، والأولاد المولودون عن هذا الزواج أولاد غير شرعيين . ورجاء اسلام الرجال لا يغير من هذا الحكم شيئاً* .

*** تعليق التحرير :**

[لا يجوز زواج المسلمة بغير المسلم مطلقاً ، طمعت في اسلامه بالزواج أم لا ، ووجد لها كفؤ مسلم أم لا .

وخلاصة الدليل ـ مع أن المسألة إجماعية بين فقهاء الشيعة بل المسلمين ، كما يظهر من الشيخ(١٢) ـ قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهنّ فإن علمتموهن مؤمناتٍ فلا ترجعوهنّ إلى الكفار لا هنّ حلّ لهم ولا هم يحلّون لهن** ﴾(١٣) ؛ فإن قوله : ﴿ **لا هنّ حلّ لهم ولا هم يحلّون لهن** ﴾ ظاهر في التعليل للحكم بعدم

(١٢) الشيخ الطوسي، الخلاف، م ١٠٥ من كتاب النكاح.

(١٣) الممتحنة : ١٠ .

رجوعهن إلى الكفار ، فيدل بإطلاقه على عدم حلّية الزوج الكافر لمن آمنت وأسلمت . هذا مضافاً إلى أخبار كثيرة معتبرة دالّة على المطلوب .

وأما عن فتوىٰ الامام الخميني﵀ فهي كما يلي : «لا يجوز للمسلمة أن تنكح الكافر دواماً وانقطاعاً سواء كان أصلياً حربياً ، أو كتابياً ، أو كان مرتدّاً عن فطرة أو ملّة»[١٤] .

(١٤) تحرير الوسيلة ٢:٢٥٤، كتاب النكاح، القول في الكفر.

السؤال الرابع :

ما حكم استمرار الزوجية والمعاشرة بين زوجة دخلت الاسلام وبقي زوجها على الكفر ولها منه أولاد تخشىٰ عليهم الضياع والانحراف ، ولها طمع في أن يهتدي زوجها إلى الاسلام لو استمرت العلاقة الزوجية بينها وبينه ؟

وما الحكم فيما إذا لم يكن هناك طمع في إسلامه ، ولكنه يحسن معاشرتها وتخشىٰ لو تركته ألا تعثر على زوج مسلم ؟

الجواب :

بمجرد اسلام المرأة وإباء الزوج للاسلام ينفسخ نكاحهما ، فلا تحل معاشرته لها ، ولكنها تنتظر مدة العدة فإن أسلم خلالها عادت إليه بعقدهما السابق .

أما إذا انقضت عدتها ولم يسلم فقد انقطع ما بينهما ، فإن أسلم بعد ذلك ورغب للعودة إلى زواجهما عاد بعقد جديد . ولا تأثير لما يسمىٰ بحسن المعاشرة في إباحة استمرار الزوجية* .

*** تعليق التحرير :**

[لا يجوز استمرار زوجية الزوجة التي اسلمت مع زوجها الكافر وإن طمعت في اسلامه باستمرار زوجيّتها له ، بل إن اسلمت قبل الدخول بانت منه من ساعته ، وإن اسلمت بعد الدخول كانت بينونتها

منه مراعاة بانقضاء العدّة ، فإذا اسلم زوجها قبل انقضائها بقيا على زواجهما الأول وإلّا تبيّن أنها بانت منه ساعة اسلامها .

وخلاصة الدليل أن المسألة مما لا خلاف فيها بين فقهائنا في من لم يكن من كفّار اهل الكتاب أو لم يكن في ذمة الاسلام ، وإنما خالف الشيخ الطوسي فقط في بعض كتبه . وإلّا ففي كتابيه الخلاف والمبسوط أفتى في المسألة كغيره من الاصحاب . وكيف كان فتدلّ على عدم جواز استمرار الزوجية بينهما حينئذ الآية المذكورة في المسألة السابقة ، فإن الظاهر أن موردها النساء اللاتي آمنّ واسلمن ثم هاجرن إلى المؤمنين عن ازواجهن الكفّار . ولا ريب في أن قوله تعالى : ﴿لا هنّ حلّ لهم ولا هم يحلّون لهن﴾ يدلّ بوضوح على عدم بقاء الزواج بينهما إذا بقي الزوج على الكفر . وأما الانتظار بهما إلى انقضاء العدّة فهو مدلول عليه في اخبار معتبرة .

وعن هذه المسألة يقول الامام الخميني﵀ : «لو اسلمت زوجة الوثني أو الكتابي وثنية كانت أو كتابية ، فإن كان قبل الدخول انفسخ النكاح في الحال ، وإن كان بعده وقف على انقضاء العدّة ، لكن يُفرّق بينهما ، فإن اسلم قبل انقضائها فهي امرأته ، وإلّا بان أنها بانت منه حين اسلامها»[١٥] .

(١٥) تحرير الوسيلة ٢ : م ٤، كتاب النكاح، القول في الكفر .

السؤال الخامس :

ما حكم دفن المسلم في مقابر غير المسلمين ، حيث لا يسمح للدفن خارج المقابر المعدة لذلك ولا توجد مقابر خاصة بالمسلمين في معظم الولايات الاميركية والأقطار الاوربية ؟

الجواب :

إن دفن المسلم في مقابر غير المسلمين في بلاد غير اسلامية جائز للضرورة* .

* تعليق التحرير :

[لا يجوز دفن المسلم في مقابر الكفار ، فلو لم توجد مقبرة خاصة بالمسلمين ـ كما في معظم البلاد الاميركية والاوربية ـ وجب نقله إلى بلدة فيها مقبرة خاصة بهم . كل ذلك مع التمكن والقدرة .

وخلاصة الدليل ـ مع أن المسألة إجماعية ـ أن دفن المسلم في مقابر الكفار إهانه له وهتك لحرمته ، وحرمة المؤمن ميتاً كحرمته وهو حي سواء ، كما ورد في روايات مستفيضة(١٦) .

يقول الامام الخميني ﷺ : «وكذا لا يجوز دفن المسلم في مقبرة الكفار ، ولو دفن عصياناً أو نسياناً فالاقوىٰ جواز نبشه خصوصاً إذا كان البقاء هتكاً له فيجب النبش والنقل»(١٧)] .

السؤال السادس :

ما حكم بيع المسجد إذا انتقل المسلمون عن المنطقة التي هو فيها وخيف تلفه . أو الاستيلاء عليه ، فكثيراً ما يشتري المسلمون منزلاً ويحولونه مسجداً فإذا انتقلت غالبية المسلمين من المنطقة لظروف العمل هجر المسجد أو أهمل ، وقد يستولي عليه آخرون . ومن الممكن بيعه واستبداله بمسجد يؤسس في مكان فيه مسلمون . فما حكم هذا البيع أو الاستبدال ؟ وإذا لم تتيسر فرصة استبداله بمسجد آخر فما أقرب الوجوه التي يجوز صرف ثمن المسجد فيها ؟

الجواب :

يجوز بيع المسجد الذي تعطل الانتفاع به ، أو هجر المسلمون المكان الذي هو فيه أو خيف استيلاء الكفار عليه ، علىٰ أن يشترىٰ بثمنه مكاناً آخر يتخذ مسجداً* .

* تعليق التحرير :

[لا يجوز بيع المساجد مطلقاً ، وإذا احتمل خروج المكان الذي

(١٦) راجع. وسائل الشيعة، ب ٢٥ من أبواب ديات الاعضاء و ب ١٩ من حدّ السرقة .

(١٧) تحرير الوسيلة ١: م ٩ من القول في الدفن .

يجعل مُصلّىً عن الانتفاع به فيمكن أن يشتريه واحد أو جمع من المسلمين ثم يأذنوا بالصلاة فيه من دون قصد أو يكون مسجداً، كما يمكن تأسيس شخصية حقوقية مناسبة ثم يُشترىٰ منزل لهذه الشخصية ويجعل بيد المسلمين يصلّون ويقيمون شعائرهم الاسلامية فيه من دون أن يقفوه مسجداً ثم يباع إذا اقتضته المصلحة.

وخلاصة الدليل فيه أن المساجد من الموقوفات العامة التي يجعلها الواقف مساجد أبداً، والشارع المقدّس إذا نفّذ هذه الموقوفات المؤبدة فلا محالة تصير مساجد ابداً، فهي بعد إمضاء الشارع وإنفاذه لوقف المسجدية موقوفات ومساجد دائماً وإخراجها عن المسجدية بالبيع خلاف مفاد الوقف الذي أمضاه الشارع الاقدس فلا يصح ولا يجوز.

قال الامام الخميني﵀: «الاوقاف علىٰ الجهات العامة التي مرّ أنها لا يملكها أحد كالمساجد والمشاهد والمدارس والمقابر والقناطر ونحوها لا يجوز بيعها بلا إشكال في مثل الاولين، وعلىٰ الاحوط في غيره وإن آل إلى ما آل حتى عند خرابها واندراسها بحيث لا يرجىٰ الانتفاع بها في الجهة المقصودة أصلاً بل تبقىٰ علىٰ حالها»[(١٨)].

(١٨) تحرير الوسيلة ٢: م ٧٠ و ٧١، كتاب الوقف.

السؤال الثامن:

بعض النساء أو الفتيات تضطرهن ظروف العمل أو الدراسة إلى الإقامة بمفردهن، أو مع نسوة غير مسلمات، فما حكم هذه الإقامة؟

الجواب:

لا يجوز للمرأة المسلمة أن تقيم وحدها شرعاً في بلاد الغربة*.

*** تعليق التحرير:**

[إقامة المرأة مفردة أو مع غير المسلمة جائزة وعليها رعاية وظائفها الاسلامية.

وخلاصة دليل الجواز هنا أيضاً أصالة الجواز عقلاً وشرعاً].

السؤال التاسع :

كثيرات من النساء هنا يذكرن أن أقصىٰ ما بإمكانهن ستره من أجسادهن هو ماعدا الوجه والكفين ، وبعضهن تمنعهنّ جهات العمل من ستر رؤوسهن . فما أقصىٰ ما يمكن السماح بكشفه من أجزاء جسم المرأة بين الأجانب في محلات العمل أو الدراسة ؟ .

الجواب :

إن حجاب المرأة المسلمة ـ عند جمهور العلماء ـ ستر جميع بدنها عدا الوجه والكفين إذا لم تخش فتنة ، فإن خيفت فتنة يجب سترهما أيضاً* .

*** تعليق التحرير :**

[أقصىٰ ما يسمح بجواز كشفه عند الاجانب للنساء هو الوجه والكفان إذا لم يصحبه تلذذ وريبة ، نعم القواعد اللائي لا يرجون نكاحاً لهن كشف ما هو المعتاد فيهن من كشف الشعر والذراع ونحو ذلك .

وخلاصة الدليل عليه أن قوله تعالىٰ : ﴿**ولا يبدين زينتهن إلّا ما ظهر منها**﴾[١٩] ، يوجب عليهن ستر المواضع التي هي زينة إلّا ما ظهر منها، كما إن قوله تعالىٰ : ﴿**وليضربن بخمرهن علىٰ جيوبهن**﴾[٢٠] ، لما أوجب عليهن ضرب الخمار علىٰ الجيب ـ والخمار هو ما تغطّي به المرأة رأسها ـ كان المفهوم منه وجوب ستر جميع البدن والرأس والرقبة عدا ما يبقىٰ خارجاً من الخمار ـ أعني الوجه . وقد ورد في الأخبار الصحيحة : «إن النساء كنّ يتقنعن قبل نزول الآية خلف آذانهن» ، وعليه فإذا أمرتهن الآية بوجوب التقنع والاختمار علىٰ جيوبهن كان المستفاد من الآية وجوب ستر الرأس والرقبة وسائر الجسد الذي يُستر بالقميص والسروال ، وجواز كشف الوجه الذي يظهر بنفسه

(١٩) النور : ٣١.

(٢٠) النور : ٣١.

خارجاً من الخمار . هذا مضافاً إلى ورود روايات بجواز كشف الوجه والكفين وأنهما المراد من ﴿ما ظهر منها﴾ . وتفصيل المقال موكول إلى محلّه] .

السؤال العاشر والسؤال الحادي عشر :

يضطر الكثير من الطلاب المسلمين إلى العمل في هذه البلاد لتغطية نفقات الدراسة والمعيشة ؛ لأن كثيراً منهم لا يكفيه ما يرده من ذويه مما يجعل العمل ضرورة له لا يمكن أن يعيش بدونه ، ويكثر ألّا يوجد عمل إلّا في مطاعم تبيع الخمور أو تقدم وجبات فيها لحم الخنزير وغيره من المحرمات ، فما حكم عمله في هذه المحلات ؟ وما حكم بيع المسلم للخمور والخنازير ، أو صناعة الخمور وبيعها لغير المسلمين ؟ علماً بأن بعض المسلمين في هذه البلدان قد اتخذوا من ذلك حرفة لهم .

الجواب :

للمسلم إذا لم يجد عملاً مباحاً شرعاً العمل في مطاعم الكفار بشرط ألّا يباشر بنفسه سقي الخمر أو حملها أو صناعتها أو تجارتها، وكذلك الحال بالنسبة لتقديم لحوم الخنازير ونحوها من المحرمات* .

*** تعليق التحرير :**

[إذا كان العمل الذي يعمله جائزاً وحلالاً بنفسه ولا يتصدّىٰ هذا العامل المسلم لبيع الخمر أو تقديم الوجبة المشتملة علىٰ الحرام فعمله في تلك المطاعم جائز وأُجرته حلال .

وحاصل الدليل : أن بيع الخمر أو الخنزير حرام علىٰ المسلم وإن كان مشتريه كافراً ، فلا يجوز مباشرته للمسلم وإن كان صاحب المطعم من الكفار الذين يرون حلّيته ، إلّا أنه لا يجوز للمسلم التصدّي

لبيعه ، وأما العمل الحلال في تلك المطاعم فلا وجه لحرمته ، وإطلاق أدلة حلّيته يقتضي كونه حلالاً هنا أيضاً ويحلّ لا محالة أخذ الاجر عليه ، فإن مثل هذا العمل حلال شرعاً يصح أخذ المال بأزائه .

وبيع المسلم للخمر أو الخنزير غير جائز وإن كان المشتري لهما من الكفار المستحلين .

والدليل عليه أن الله تعالىٰ إذا حرّم شيئاً حرّم ثمنه ، وإن أدلة حرمة ثمن الخمر أو الخنزير علىٰ المسلم تعمّ بإطلاقها كون المشتري كافراً ؛ ففي الحديث المعتبر المستفيض : «إن ثمن الخمر سُحت»[٢١] . وفي الحديث ايضاً أن رسول اللّه ﷺ لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومشتريها وساقيها وآكل ثمنها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه[٢٢]] .

(٢١) وسائل الشيعة، ب ٥٥ من ابواب ما يكتسب به.

(٢٢) وسائل الشيعة، ب ٥ من ابواب ما يكتسب به.

السؤال الثاني عشر :

هناك كثير من الأدوية تحوي كميات مختلفة من الكحول تتراوح بين ١٪ و ٢٥٪ ، ومعظم هذه الأدوية من أدوية الزكام واحتقان الحنجرة والسعال وغيرها من الأمراض السائدة ، وتمثل هذه الأدوية الحاوية للكحول ما يقارب ٩٥٪ من الأدوية في هذا المجال مما يجعل الحصول علىٰ الأدوية الخالية من الكحول عملية صعبة أو متعذرة ، فما حكم تناول هذه الأدوية ؟

الجواب :

للمريض المسلم تناول الأدوية المشتملة علىٰ نسبة الكحول إذا لم يتيسر دواء خال منها ، ووصف ذلك الدواء طبيب ثقة أمين في مهنته*.

*** تعليق التحرير :**

[الكحول الذي هو من المشروبات المسكرة حرام ونجس وكل

دواء كان فيه جزء منه فهو نجس وأكله وشربه ايضاً حرام ، نعم إن كان التداوي به يمثل الاستشمام فلا بأس به ، كما أنه إذا اضطر إليه جاز استعماله .

والدليل عليه ما ورد في السنّة الصحيحة المستفيضة أن رسول اللّه ﷺ قال : «**كل مسكر حرام وما أسكر كثيره فقليله حرام**». وفي صحيحة معاوية بن وهب عن أبي عبد اللّه جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في حديث قال : «**قال رسول اللّه ﷺ : كلّ مسكر حرام وما أسكر كثيره فقليله حرام**. قال : فقلت : فقليل الحرام يحلّه كثير الماء ؟ فردّه بكفيه مرتين : لا ، لا»[٢٣] وأما الاضطرار فهو مجوّز كما ورد عنه ﷺ «**رفع عن أمتي ... ما اضطروا إليه**»] .

(٢٣) ن . م ، ب ١٧ من ابواب الأشربة المحرمة .

السؤال الثالث عشر :

هناك خمائر وجيلاتين توجد فيها عناصر مستخلصة من الخنزير بنسب ضئيلة جداً ، فهل يجوز استعمال هذه الخمائر والجيلاتين ؟

الجواب :

لا يحل للمسلم استعمال الخمائر والجيلاتين المأخوذة من الخنازير في الأغذية ، وفي الخمائر والجيلاتين المتخذة من النباتات أو الحيوانات المذكاة شرعاً غنية عن ذلك* .

*** تعليق التحرير :**

[هذه الخمائر يحرم استعمالها في الاكل .

والدليل عليه أن الاجزاء المأخوذة من الخنزير حرام ونجسة ، فهي توجب نجاسة الممتزج بها ، والنجس يحرم أكله ، وأما سائر الانتفاعات غير المتوقفة على الطهارة فهي لا محالة جائزة].

السؤال الرابع عشر :

اضطر معظم المسلمين إلى إقامة حفلات الزفاف لبناتهم في مساجدهم ، وكثيراً ما يتخلل هذه الحفلات رقص وإنشاد أو غناء ، ولا تتوفر لهم أماكن تتسع لمثل هذه الحفلات فما حكم إقامة هذه الحفلات في المساجد ؟

الجواب :

يندب عقد النكاح في المساجد ، ولا يجوز إقامة الحفلات فيها إذا اقترنت بمحظور شرعي كاختلاط الرجال بالنساء وتبرجهن والرقص والغناء* .

* تعليق التحرير :

[إذا كانت الحفلة بنفسها جائزة غير مشتملة على الحرام ولا مبتذلة فإقامتها في المساجد لا بأس بها .

والدليل عليه أن المسجد ـ وإن كانت الغاية الاصلية من وضعه في الشرع إقامة شعائر الاسلام فيه ، ـ لا دليل على حرمة سائر الانتفاعات الشخصية أو الاجتماعية منه ، نعم إذا أُريد الانتفاع منه بعمل مبتذل أو بعمل حرام فإيقاع هذا العمل في المسجد المعدّ لإقامة شعائر الدين هتك وإهانة للمساجد فيكون حراماً . وعليه فالحفلات المذكورة إذا كانت مشتملة على اللهو أو الغناء بمرتبته المحرمة ، أو كانت مبتذلة ، وبالجملة كانت إهانة وهتكاً للمسجد الذي هو نفسه من شعائر الاسلام ، فإقامتها في المسجد محرمة قطعاً] .

السؤال السادس عشر :

ما حكم زواج الطالب أو الطالبة المسلمة زواجاً لا ينوي استدامته بل النية منعقدة عنده على إنهائه بمجرد انتهاء الدراسة والعزم على العودة إلى مكان الإقامة الدائم ، ولكن العقد يكون عادة

عقداً عادياً وبنفس الصيغة التي يعقد بها الزواج المؤبد ، فما حكم هذا الزواج ؟

الجواب

الأصل في الزواج الاستمرار والتأبيد وإقامة أسرة مستقرة ما لم يطرأ عليه ما ينهيه* .

*** تعليق التحرير :**

[الزواج المؤقت عندنا صحيح مشروع ، ويعقد بنفس صيغة الزواج الدائم وشرائطه نفس شرائط الزواج الدائم ، ويزاد عليها ذكر المدّة المقصودة وتعيين المهر المعيّن في صيغة عقده .

والدليل عليه أنه من ضروريات مذهب الشيعة ، ووردت به روايات متواترة بالمعنىٰ عن ائمة اهل البيت عليهم السلام من غير خلاف ، وما في بعض الكتب عن علي عليه السلام أنه حرّمه فهو من الموضوعات عليه قطعاً، بل عنه عليه السلام أنه كان يقول : «**لولا ما سبقني إليه إبن الخطاب ما زنىٰ من الناس إلّا شقيٌ**»(٢٤) .

وكيف كان فلا بأس بذكر حديثين معتبرين في هذا الباب من باب المثال : ففي صحيحة أبي بصير قال : «سألت أبا جعفر عليه السلام عن المتعة فقال : **نزلت في القرآن : ﴿ فما استمتعتم به منهن فآتوهن أُجورهن فريضةً ولا جُناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ﴾**(٢٥) ، وفي صحيحة زرارة عن أعين قال جاء عبد الله بن عمير الليثي إلى أبي جعفر عليه السلام فقال : «ما تقول في متعة النساء ؟ فقال : **أحلّها الله في كتابه وعلىٰ سنّة نبيه ، فهي حلال إلى يوم القيامة**»(٢٦)] .

(٢٤) شقيٌ أي قليل .

(٢٥) النساء : ٢٤ .

(٢٦) وسائل الشيعة، ب ١ من ابواب المتعة، ح ١ و ٤ .

السؤال السابع عشر :

ما حكم ظهور المرأة في محلات العمل أو الدراسة بعد أن تأخذ من شعر حاجبيها وتكتحل ؟

الجواب

الاكتحال للرجال والنساء جائز شرعاً . أما نتف بعض الحاجبين فلا يجوز إلّا إذا كان الشعر مشوها لخلقة المرأة* .

*** تعليق التحرير :**

[لا بأس بظهور المرأة في محل العمل أو الدراسة مكتحلة أو مأخوذاً شعر حاجبيها بشرط أن لا ينظر إليها أحد بشهوة وتلذّذ .

والدليل عليه ما أُشير إليه في ذيل الجواب عن السؤال التاسع ؛ فإن الوجه من الزينة الظاهرة التي استثناها اللّه تعالىٰ بقوله : ﴿**إلّا ما ظهر منها**﴾] .

السؤال الثامن عشر :

بعض المسلمات يجدن حرجاً في عدم مصافحتهن للأجانب الذين يرتادون الأماكن التي يعملن أو يدرسن فيها ، فيصافحهن الأجانب دفعاً للحرج ، فما حكم هذه المصافحة ؟

وكذلك الحال بالنسبة لكثير من المسلمين الذين تتقدم إليهم نساء أجنبيات مصافحات ، وإمتناعهم عن مصافحتهن يوقعهم في شيء من الحرج علىٰ حد ما يذكرون ويذكرن ؟

الجواب :

مصافحة الرجل المرأة الأجنبية البالغة ممنوعة شرعاً وكذلك العكس* .

*** تعليق التحرير :**

[مصافحة الاجنبي للاجنبية وملامستها حرام يجب علىٰ المسلم والمسلمة اجتنابهما .

والدليل عليه ـ مع أن الظاهر أنه لا خلاف فيه بيننا ـ أخبار خاصة معتبرة السند عن ائمة اهل البيت عليهم السلام منها موثقة سماعة بن مهران

قال : «سألت أبا عبد اللّه عليه السلام عن مصافحة الرجل المرأة قال : **لا يحلّ للرجل أن يصافح المرأة إلّا امرأة يحرم عليه أن يتزوجها ، أخت أو بنت أو عمّة أو خالة أو بنت أخت أو نحوها ، وأما المرأة التي يحلّ له أن يتزوجها فلا يصافحها إلّا من وراء الثوب ولا يغمز كفّها**» .

وفي رواية سعدان بن مسلم قال : «قال أبو عبد اللّه عليه السلام : **أتدري كيف بايع رسول اللّه صلى الله عليه وآله النساء** ؟ قلت : اللّه أعلم وابن رسوله أعلم قال : **جمعهن حوله ثم دعا بتَور بِرام(*) فصبّ فيه نضوحاً ثم غمس يده فيه ثم قال لهن : إسمعن يا هؤلاء ، أبايعكن على ألّا تشركن باللّه شيئاً ولا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن أولادكن ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن ولا تعصين بعولتكن في معروف . أقررتنّ** ؟ قلن : نعم . فأخرج يده من التور ثم قال لهن : **إغمسن أيديكن** ، ففعلن فكانت يد رسول اللّه صلى الله عليه وآله الطاهرة أطيب من أن يمس بها كفّ أنثى ليست له بمحرم»[٢٧] .

(*) كذا في الحديث. والتور: اناء كالاجانة، والبِرام: جمع بُرمة، وهي القدر.

(٢٧) وسائل الشيعة ٢٠: ب ١١٥ و ١١٧ من ابواب مقدمات النكاح.

يقول الامام الخميني رحمه الله : «فلا يجوز للرجل مصافحتها ، نعم لا بأس بها من وراء الثوب لكن لا يغمز كفّها احتياطاً»[٢٨] .

(٢٨) تحرير الوسيلة ٢: ٢١٨، كتاب النكاح، م ٢٠.

وأما ما جاء في السؤال من أن بعض المسلمات أو المسلمين يجدون حرجاً في عدم مصافحة الاجانب ، فهو معلول لعدم المبالاة بالاسلام السامي وعدم العزة الاسلامية وإحساس الحقارة لنفسه عند نفسه ، وإلّا فالاسلام لا يزيد المسلم إلّا عزّاً ﴿**وللّه العزّة ولرسوله وللمؤمنين**﴾ ، والتزام المسلم بوظائفه الاسلامية هو الذي يوجب ظهور هذا السموّ والعلوّ والعزّة ، ولو آمن المسلمون باسلامهم حق الايمان لوجدوا العمل بالاسلام عزّا لهم وفخراً وكرامة ، ونحمد اللّه تعالى على أن المسلمين في الآونة الاخيرة استيقظوا من رقدتهم وعلموا أن العمل بالقوانين الخالدة هو الطريق الوحيد لنيل العزة والسموّ ، كما أنه الطريق الوحيد للزلفى إلى اللّه تعالى ﴿**ما عندكم ينفد وما عند اللّه باق**﴾[٢٩] .

(٢٩) النحل : ٩٦ .

السؤال التاسع عشر :

ما حكم استئجار الكنائس أماكن لإقامة الصلوات الخمس أو صلاة الجمعة والعيدين ، مع وجود التماثيل وما تحتويه الكنائس عادة . علماً بأن الكنائس ـ في الغالب ـ أرخص الأماكن التي يمكن استئجارها من النصارىٰ وبعضها تقدمه الجامعات أو الهيئات الخيرية للاستفادة منه في المناسبات هذه دون مقابل ؟

الجواب :

استئجار الكنائس للصلاة لا مانع منه شرعاً عند الحاجة ، وتجتنب الصلاة إلى التماثيل والصور وتستر بحائل إذا كانت باتجاه القبلة* .

*** تعليق التحرير :**

[الصلاة في البِيَع والكنائس جائزة ويمكن رفع الكراهة الآتية من قبل وجود التماثيل بستره حال الصلاة .

والدليل علىٰ جوازها ـ مع أنه لا خلاف بين فقهائنا في أصل الجواز ـ وروود روايات معتبرة عن ائمة اهل البيت عليهم السلام . منها صحيحة عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «سألته عن الصلاة في البِيَع والكنائس وبيوت المجوس فقال : **رُشّ وصلّ**» ، وما تضمّنه من رشّها قبل الصلاة محمول علىٰ الفضل والاستحباب بقرينة خلوّ بعض الصحاح الأخر عنه ، ففي صحيحة العَيص بن القاسم قال : «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن البِيَع والكنائس يُصلّىٰ فيها ؟ قال : **نعم** »(٣٠)] .

(٣٠) وسائل الشيعة، ب ١٣ من ابواب مكان المصلّي.

السؤال العشرون :

ما حكم ذبائح أهل الكتاب من اليهود والنصارىٰ وما يقدمونه من طعام في مطاعمهم مع عدم العلم بالتسمية عليها ؟

الجواب

ذبائح الكتابيين جائزة شرعاً إذا ذكيت بالطريقة المقبولة شرعاً، ولم يذكر اسم الله عليها. ويوصي المجمع بدراسة متعمقة للموضوع في دورته القادمة*.

*** تعليق التحرير:**

[ذبائح اهل الكتاب مع عدم العلم بالتسمية عليها حرام.

والدليل عليه ـ مع أنه انعقدت عليه شهرة عظيمة قريبة من الاتفاق ـ الأخبار المعتبرة عن ائمة اهل البيت عليهم السلام، منها صحيح قتيبة الاعشى، قال: «سأل رجل أبا عبد الله عليه السلام وأنا عنده فقال له: الغنم يُرسَل فيها اليهودي والنصراني فتعرض فيها العارضة فَيذبَح، أنأكل ذبيحته؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: **لا تُدخل ثمنَها مالَك ولا تأكلْها فإنما هو الاسمُ ولا يؤمَن عليه إلّا مسلم**. فقال له الرجل: قال الله تعالىٰ: ﴿**اليوم أُحلَّ لكم الطيّباتُ وطعامُ الذين أُوتوا الكتابَ حِلٌّ لكم**﴾، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: **كان أبي عليه السلام يقول: إنما هو الحبوب وأشباهها**»[٣١].

وقال الامام الخميني رحمه الله: «يُشترط في الذابح أن يكون مسلماً أو بحكمه كالمتولّد منه، فلا تحلّ ذبيحة الكافر مشركاً كان أم غيره حتىٰ الكتابي علىٰ الاقوىٰ»[٣٢]].

السؤال الحادي والعشرون:

كثير من المناسبات العامة التي يدعىٰ المسلمون لحضورها تقدم فيها الخمور ويختلط فيها النساء والرجال، واعتزال المسلمين لبعض هذه المناسبات قد يؤدي إلى عزلهم عن بقية أبناء المجتمع، وفقدانهم لبعض الفوائد.

فما حكم حضور هذه الحفلات من غير مشاركة لهم في شرب الخمر أو الرقص أو تناول الخنزير؟

(٣١) وسائل الشيعة، ب ٢٦ من ابواب الذبائح.

(٣٢) تحرير الوسيلة، القول في الذباحة، م ١.

الجواب:

لا يجوز للمسلم والمسلمة حضور الحفلات أو المجالس التي تقدم فيها الخمور أو التي ترتكب فيها المعاصي والمنكرات*.

* تعليق التحرير:

[يحرم الجلوس على مائدة أو الحضور في جلسة يشرب فيهما المسكِرات، ومجرّد الحضور في مجلس سائر المعاصي لا بأس به.

أما دليل حرمة الحضور في مجلس المسكِرات ـ مع أنه لا خلاف فيها ـ الأخبار المتعددة المعتبرة؛ ففي صحيح هارون بن الجهم عن أبي عبد الله عليه السلام ـ في حديث ـ أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**ملعون ملعون من جلس على مائدة يشرب عليها الخمر**»(٣٣).

وفي موثّقة عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سئل عن المائدة إذا شرب عليها الخمر أو مسكر قال: **حرمت المائدة**»(٣٤)، والحديث الثاني شاهد على أن الخمر في الحديث الأول مثال للمسكر، والمفهوم عرفاً من الجلوس على مائدة يشرب عليها الخمر هو الحضور في مجلس شرب المسكرات ولو بإلغاء الخصوصيّة كما لا يخفى.

يقول الامام الخميني رحمه الله: «ويحرم الأكل على مائدة يُشرب عليها شيء من الخمر بل وغيرها من المسكرات، وكذا الفُقاع»(٣٥).

وأما دليل جواز مجرد الحضور في سائر مجالس المعصية فأصالة الجواز عقلاً ونقلاً بعد عدم وجدان دليل على الحرمة، وعدم صحة قياس سائر المعاصي بشرب الخمر الذي ورد فيه من التأكيد ما ورد.

إلّا أن الحضور لو صادف معصية أخرى وإن كانت ترك المرتبة الممكنة من النهي عن المنكر أو الاستخفاف بحرمات الله تعالى لكان حراماً بلا إشكال.

(٣٣) وسائل الشيعة، الباب ٦٢ من ابواب الاطعمة المحرمة.

(٣٤) ن. م، الباب ٣٣ من ابواب الاشربة المحرمة.

(٣٥) تحرير الوسيلة، كتاب الاطعمة والاشربة، القول في غير الحيوان، المسألة ٣٧.

وعلىٰ المسلمين أن يتقيّدوا أشدّ التقيّد بحرمات اللّٰه وحدوده ، وأن يعلموا أن التعبّد والالتزام بالاسلام وأحكامه هو العزّ الخالد في الدنيا والآخرة ، وأن الانعزال عن أبناء المجتمع التابعين لشهواتهم المعرضين عن اللّٰه وأوليائه لا بأس به أصلاً فلا تغرّنا الدنيا الدنيّة] .

السؤال الثالث والعشرون :

في كثير من الولايات الاميركية وكذلك الأقطار الأوربية تصعب أو تتعذر رؤية هلال رمضان أو شوال ، والتقدم العلمي الموجود في كثير من هذه البلدان يمكن من معرفة ولادة الهلال بشكل دقيق بطريق الحساب ، فهل يجوز اعتماد الحساب في هذه البلدان ؟

وهل يجوز الاستعانة بالمراصد وقبول قول الكفار المشرفين عليها علماً أن الغالب علىٰ الظن صدق قولهم في هذه الأمور ؟

ومما يجدر بالملاحظة أن اتباع المسلمين في اميركا وأوربا لبعض البلدان الإسلامية المشرقية في صيامها أو إفطارها قد أثار بينهم اختلافات كثيرة ، غالباً ما تذهب بأهم فوائد الأعياد ، وتثير مشكلات شبه دائمة ، وفي الأخذ بالحساب ما قد يقضي علىٰ هذا في نظر البعض أو يكاد .

الجواب :

يجب الاعتماد علىٰ الرؤية ، ويستعان بالحساب الفلكي والمراصد مراعاة للأحاديث النبوية والحقائق العلمية .

وإذا ثبتت الرؤية في بلد وجب علىٰ المسلمين الالتزام بها ولا عبرة لاختلاف المطالع لعموم الخطاب بالأمر بالصوم والإفطار* .

*** تعليق التحرير :**

[اعتماد الحساب العلمي في تعيين أول شهر رمضان أو شوال ، وكذا اتّباع المراصد أو الأخذ بقول المنجّمين فيه إن كان مورثاً للعلم

به ، جائز وإلّا فلا .

والدليل عليه أنه إذا أورث العلم فلا شك أن العلم حجّة عقلاً أمضاه الشارع الاقدس ، وأما إن لم يوجب إلّا الظن فإن الظن لا يغني من الحق شيئاً ، والنبي الأكرم والأئمة المعصومين صلوات الله عليهم بيّنوا وظيفة المسلمين بمثل قولهم : «صم للرؤية وافطر للرؤية» والرؤية كناية عن الطريق المعتبر إلى حلول الهلال في شهر رمضان أو شوّال ، فيدلّ على أن الصيام لا يجب إلّا برؤية هلال شهر رمضان ، كما إن الافطار لا يجوز إلّا برؤية هلال شهر شوّال ، فنفس هذا الكلام يغنينا عن الرجوع إلى دليل استصحاب عدم وجوب الصيام أو عدم جواز الافطار ما لم يثبت هلال رمضان أو شوّال ، والطرق الشرعية ما عدا الرؤية هي العلم أو شهادة العدلين أو حكم حاكم الشرع ، فالأخذ بأحدها اتّباع لما هو العلم وجداناً أو شرعاً واتّباع غيرها اتّباع للظن ، وقد نهانا الشارع عنه وحكم العقل بأن لا حجّة فيه

قال السيد الامام الخميني رحمه الله : «ولا اعتبار بقول المنجّمين ولا بتطوّق الهلال أو غيبوبته بعد الشفق في ثبوت كونه لليلة السابقة وإن أفاد الظن»[٣٦] .

(٣٦) تحرير الوسيلة ١: كتاب الصوم، القول في طريق ثبوت الهلال .

السؤال الرابع والعشرون :

ما حكم عمل المسلم في دوائر ووزارات الحكومة الاميركية أو غيرها من حكومات البلاد الكافرة ، ولا سيما في مجالات هامة كالصناعات الذرية أو الدراسات الاستراتيجية ونحوها ؟

الجواب :

يجوز للمسلم العمل المباح شرعاً في دوائر ومؤسسات حكومات غير إسلامية إذا لم يؤد عمله ذلك إلى إلحاق ضرر بالمسلمين* .

* تعليق التحرير :

[مجرّد العمل في دوائر البلاد الكافرة للمسلم جائز إلّا إذا كان البلد الكافر في حرب أو بصدد الحرب مع البلاد الاسلامية ، أو مع من يحرم حربهم ويكون عمله لهم موجباً لازدياد قوّتهم في هذه الحرب المحرّمة .

وخلاصة الدليل عليه ـ في غير مورد الاستثناء ـ أنه لا دليل على حرمة العمل للكفار حينئذ ، بل في بعض النصوص أن بعض ائمة الاسلام عمل أجيراً للكفار . وليس أقل من أن أصالة الجواز عقلاً ونقلاً حاكمة بجوازه . وأما في مورد الاستثناء فلأن الإعانة على الاثم والمعصية قبيحة عقلاً وشرعاً . قال الله تعالىٰ : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوىٰ ولا تعاونوا علىٰ الإثم والعدوان** ﴾ (٣٧)] .

(٣٧) المائدة : ٢ .

السؤال الخامس والعشرون والسابع والعشرون :

ما حكم تصميم المهندس المسلم لمباني النصارىٰ كالكنائس وغيرها علماً بأن هذا هو جزء من عمله في الشركة الموظفة له ، وفي حالة امتناعه قد يتعرض للفصل من العمل ؟

وما حكم تبرع المسلم فرداً كان أو هيئة لمؤسسات تعليمية أو تنصيرية أو كنسية ؟

الجواب :

لا يجوز للمسلم تصميم أو بناء معابد الكفار أو الإسهام في ذلك مالياً أو فعلياً* .

* تعليق التحرير :

[تصميم المهندس المسلم لمباني كنائس النصارىٰ غير جائز .

والدليل عليه أن النصارىٰ يعبدون غير الله تعالىٰ أيضاً بنص القرآن الكريم ، حيث يقول الله تعالىٰ : ﴿ **يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم**

ولا تقولوا على الله إلّا الحق إنّما المسيح عيسى بن مريم رسولُ الله وكلمتُهُ ألقاها إلى مريمَ وروحٌ منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إلهٌ واحد﴾ (٣٨) . ويقول أيضاً : ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالثُ ثلاثة وما من إله إلّا إله واحد﴾ (٣٩) . ويشير إليه قوله تعالىٰ في اواخر سورة المائدة : ﴿أأنت قلت للناسِ اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾ (٤٠) . وقد نهىٰ الله عن عبادة غيره وأمر ألّا يعبد الناس إلّا إياه ؛ فتصميم المهندس إعانة لهم علىٰ شركهم في العبادة ، وقد قال تعالىٰ : ﴿ولا تعاونوا علىٰ الإثم والعدوان﴾ .

نعم لو ثبت أن النصارىٰ اليوم لا يعبدون إلّا الله ـ لا لبطلان معتقدهم السابق ـ لما كان بأس بتصميم مباني كنائسهم .

والتبرع بشيء للمؤسسات المذكورة يجوز إن لم تقم المؤسسات بما هو حرام كإضلال الناس أو إعداد مقدّمات عبادة غير الله ، وإلّا فلا يجوز .

والدليل عليه أنها مع قيامها بالأمور المحرمة يكون التبرع لها بشيء إعانة علىٰ الإثم ، ومع عدمه فلا دليل علىٰ الحرمة ، بل في بعض الآثار إشارة إلى الجواز مضافاً إلى أصالة الجواز عقلاً ونقلاً] .

السؤال السادس والعشرون :

كثير من العائلات المسلمة يعمل رجالها في بيع الخمور والخنزير وما شابه ذلك ، وزوجاتهم وأولادهم كارهون لذلك علماً بأنهم يعيشون بمال الرجل ، فهل عليهم من حرج في ذلك ؟

الجواب :

للزوجة والأولاد غير القادرين علىٰ الكسب الحلال أن يأكلوا للضرورة من كسب الزوج المحرم شرعاً ، كبيع الخمر والخنزير وغيرهما من المكاسب الحرام بعد بذل الجهد في إقناعه بالكسب الحلال والبحث عن عمل* .

(٣٨) النساء : ١٧١ .
(٣٩) المائدة : ٧٣.
(٤٠) المائدة : ١١٦.

* تعليق التحرير :

[ما يكتسبه هؤلاء الرجال محرّم والتصرّف فيه لنفسه وعياله أيضاً حرام لا يجوز إلّا بالاضطرار المجوّز لأكل الميتة . والدليل عليه واضح لا يحتاج إلى بيان] .

السؤال الثامن والعشرون :

ما حكم شراء منزل السكنى وسيارة الاستعمال الشخصي وأثاث المنزل بواسطة البنوك والمؤسسات التي تقرض ربحاً محدداً على تلك القروض لقاء رهن تلك الأصول ، علماً بأنه في حالة البيوت والسيارات والأثاث عموماً ، يعتبر البديل عن البيع هو الإيجار لقسط شهري يزيد في الغالب عن قسط الشراء الذي تستوفيه البنوك ؟

الجواب :

لا يجوز شرعاً* .

* تعليق التحرير :

[الاقتراض من البنك بالربا حرام ، نعم لو اشترى البنك منزلاً أو سيارة أو غيرها ثم باعه بأغلى من القيمة السوقية بأقساط شهرية فهو بيع حلال .

والدليل عليه أن الله تعالى قال : ﴿أحلّ الله البيعَ وحرّم الرّبا﴾](*) .

(*) اعتمدنا في تعليقتنا على أجوبة الاسئلة على ما أورده سماحة الشيخ محمد المؤمن الأمين العام لمجمع فقه أهل البيت عليهم السلام جواباً على هذه الاسئلة وفق رأي مدرسة أهل البيت عليهم السلام .

قرار رقم (١٢)

بشأن المشاريع العلمية للمجمع

بعد دراسة مجلس المجمع لتقرير شعبة التخطيط عن اجتماعها يومي ٨ و ٩ / صفر / ١٤٠٧ هـ ، ١١ و ١٢ / تشرين الأول / ١٩٨٦ م ، الذي بحثت فيه عدداً من الأمور المدرجة على جدول أعمالها قرر :

أولاً: الموافقة على المشاريع التالية بعد أن أدخل عليها بعض التعديلات :

١ ـ الموسوعة الفقهية .

٢ ـ معجم المصطلحات الفقهية .

٣ ـ معلمة القواعد الفقهية .

٤ ـ مدونة أدلة الاحكام الفقهية .

٥ ـ إحياء التراث الفقهي .

٦ ـ اللائحة المالية للموسوعة الفقهية .

٧ ـ اللائحة المالية لمعجم المصطلحات الفقهية .

٨ ـ اللائحة المالية لإحياء التراث الفقهي .

٩ ـ منهج سير عمل ومناقشات وإدارة جلسات المجلس .

ثانياً: تأليف لجنة علمية رباعية لوضع منهج لكل من مشروعي معلمة القواعد الفقهية ومدونة أدلة الاحكام الفقهية بالتشاور بين رئيس المجلس والأمين العام .

قرار رقم (١٣)

بشأن ميزانية المجمع للسنة المالية

١٤٠٦ / ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٦ / ١٩٨٧ م

بعد اطلاع المجلس على تقرير مدقق الحسابات عن السنة المالية ١٤٠٥ / ١٤٠٦هـ (١٩٨٥ / ١٩٨٦م) ، وبعد تدارسه لمشروع ميزانية المجمع للسنة المالية ١٤٠٦ / ١٤٠٧ هـ (١٩٨٦ / ١٩٨٧م) المقدمة من الأمانة العامة ، والبالغة مليوني دولار اميركي قرر الموافقة على المشروع بالمبلغ الإجمالي المقرر له بعد إجراء بعض التعديلات عليه .

توصيات الدورة الثالثة لمجلس مجمع الفقه الاسلامي

إن مجلس مجمع الفقه الاسلامي المنعقد في دورة مؤتمره الثالث بعمان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية من ٨ ـ ١٣/ صفر/ ١٤٠٧ هـ/ ١١ ـ ١٦ / تشرين الأول / ١٩٨٦م ، بعد استشعاره وهو ينعقد على

مقربة من المسجد الأقصىٰ المبارك لضرورة مضاعفة الجهد من أجل استنقاذ أولىٰ القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .

وفي ضوء قناعته بضرورة الاهتمام بالدرجة الاولىٰ بالقضايا التي تتصل بحياة المسلمين الاجتماعية والاقتصادية والتضامنية ، وبضرورة تعميق الدراسة والبحث فيها بالتركيز علىٰ الندوات العلمية والأيام الدراسية ونحوها ، يوصي بما يلي :

أولاً: ضرورة تبني برنامج اسلامي واسع للإغاثة ينفق عليه من صندوق مستقل يُنشأ لهذا الغرض ويُمول من أموال الزكاة والتبرعات والأوقاف الخيرية .

ثانياً: مناشدة الأمة الاسلامية شعوباً وحكومات أن تعمل جهدها لاستنقاذ اولىٰ القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، وتحرير الأرض المحتلة بحشد طاقاتها وبناء ذاتها وتوحيد صفوفها والتسامي علىٰ كل أسباب الاختلاف بينها ، وتحكيم شريعة اللّٰه سبحانه في حياتها الخاصة والعامة .

ثالثاً: الاهتمام بأعمال المجمع في مجالات الدراسات والبحوث والفتوىٰ والمشاريع ، بالقضايا الهامة للمسلمين التي تتصل بحياتهم الاجتماعية والاقتصادية وتوحيد صفوفهم وجمع كلمتهم ، وتحقيق أسباب التكافل والتضامن بينهم وتمكينهم من مواجهة كل التحديات ومن إقامة حياتهم علىٰ هدي من شريعة اللّٰه سبحانه .

رابعاً: التمييز بين قضايا الدراسات والبحوث وموضوعات الفتوىٰ ، وذلك بالتركيز في البحوث والدراسات بصفة خاصة علىٰ الندوات العلمية والأيام الدراسية وفق خطة تعدها شعبة التخطيط في المجمع لتعرض علىٰ المجلس .

* * *

فنـون وآداب

قصيدة

الأعور الشّنّي

هو أبو منقذ، بشر بن منقذ العبدي المعروف بالأعور الشنّي. ولد على الأرجح في السنين الاولى من القرن الهجري الأوّل. شهد الجمل وصفّين مع الامام علي عليه السلام. يعدّ هو والنجاشي من طليعة شعراء أهل العراق في فترة خلافة الامام علي عليه السلام. كان فارساً شجاعاً، ينظم شعره ارتجالاً، وقد ضاع أكثر شعره إلّا ما حفظه لنا «نصر بن مزاحم» في كتابه (وقعة صفين).

يمتاز شعره باستخدام الألفاظ الرقيقة، والتعمق في تفاصيل الصور والأحداث.

قُتل شهيداً فيمن قتلهم زياد بن ابيه حين تولّيه على الكوفة وذلك في حدود عام ٥٠ هجرية.

« قالها في صفّين وأنشدها الامام علياً وولديه الحسن والحسين »

أبـــا حســـنٍ أنت شـــمس النـــهار
وهـــذان[١] فـــي الحـادثات[٢] القـمرْ
وأنت وهـــذان حـــتىٰ المـمات
بـــمنزلة الســـمع بـــعد البـصَرْ
وأنـــتم أنـــاسٌ لكـــم سُـــوْرَةٌ[٣]
تـــقصّر عـــنها أكـــفّ البشَـــرْ
يـــخبّرنا النـــاس عـــن فـضلكمْ
وفـــضلكمُ اليـــوم فـــوق الخـــبَرْ

(١) هـذان: يـعني الحسـن والحسين عليهما السلام.

(٢) الحـــادثات: تـــقلّب الأحوال والأمور، وقد نقل نصر بن مزاحم أنـه قـال للامام قبل إنشادها: عليك أن تقول، وعلينا أن نفعل، أنت الإمـام فـإن هـلكت فـهذان مـن بـعدك. يـعني حسناً وحسيناً.

(٣) ســـورة: المـــنزلة الرفعية.

عـــقدت لقـــومٍ أُولي نـــجدةٍ[٤]
مـــن اصـــل الحـياءِ وأهـل الخَـطرْ[٥]
مســـاميح بـــالموت عـــند اللـــقاء
مِـــنّا وإخـــواننـا مـــن مـــضرْ[٦]
ومـــن حـــيّ ذي يـــمنٍ[٧] جُـــلةٌ[٨]
يـــقيمون فـــي النـــائبات الصَـــعَرْ[٩]
فكـــلٌ يســـرّك فـــي قـــومهِ
ومـــن قـــال لا فـــبفيهِ الحـــجر[١٠]
ونـــحن الفـــوارس يـــوم الزبـــير
وطـــلحة إذ قـــيل أُودىٰ غُـــدَر[١١]
ضـــربناهم قـــبل نـــصف النـــهار
إلى اللـــيل حـــتىٰ قـــضينا الوطـــرْ
ولم يأخـــذ الضـــرب إلّا الرؤوس
ولم يأخـــذ الطـــعن إلّا الثُّـــغَرْ[١٢]
فـــنحن أولئكَ فـــي أمســـنا
ونـــحن كـــذلك فـــيما غَـــبرْ[١٣]

* * *

(٤) النجدة: الحمية.

(٥) الخطر: الشأن الكبير.

(٦) مـضر: قـبيلة عـربية كـانت تـقاتل إلى جـانب الامام علي عليه السلام بصفين.

(٧) ذي يمن: قبيلة عـربية قاتلت مع الامام عـلي عليه السلام بصفين.

(٨) جلة: مـجموعة كـثيرة من الرجال.

(٩) الصعر: الانحناء، واراد به: يعدّلون ما اعوجّ.

(١٠) بـفيه الحـجر: دعـاء بالموت.

(١١) غُدَر: يقال فـي شـتم الرجـال «يـاغُدَر» أي يـا غدّار.

(١٢) الثُّغر: نقرة النحر بين الترقوتين.

(١٣) غبر: بقي، وهـي مـن الأضداد.

دراسات

تزكية النفس من منظور الثقلين

٧

التوبة والأنابة

١

* السيد كاظم العارفي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

﴿بسم الله الرحمن الرحيم * والشمس وضحاها * والقمر إذا تلاها * والنهار إذا جلّاها * والليل إذا يغشاها * والسماء وما بناها * والأرض وما طحاها * ونفس وما سوّاها * فألهمها فجورها وتقواها * قد أفلح من زكّاها * وقد خاب من دسّاها﴾[1].

متى نبدأ ؟ ومن أين نبدأ ؟

هذان سؤالان نواجههما بادئ بدىء ونحاول الاجابة عليهما :

متى نبدأ ؟

هل نبدأ بتزكية النفس من بعد انتهاء الشباب لأن فترة الشباب هي

(١) الشمس : ١ ـ ١٠ .

فترة طغيان النفس وفوران الشهوات ، وأننا بعد هذه الفترة نكون اقدر علىٰ تهذيب النفس وتزكيتها ؟

إن الواقع علىٰ العكس من ذلك تماماً ، فلو ضمن لنا أحد الوصول إلى فترة ما بعد الشباب وعدم مباغتة الموت قبل ذلك ، فإنه أولاً يكون التمادي في المعاصي والشهوات في حالة الشباب مانعاً عن التزكية لدىٰ الشيب ؛ لأن ذلك يوجب ظلمة القلب وانكسار قوة الضمير والوجدان ؛ ولهذا ستكون التوبة لدىٰ الشيب أصعب بكثير من ترك الذنوب لدىٰ الشباب .

وثانياً يكون الضعف الذي يستولي علىٰ الانسان لدىٰ الشيب موجباً صعوبة الصبر علىٰ مشقّة التزكية ومخالفة النفس .

وثالثاً تزداد أكثر الشهوات لهيباً واشتعالا لدىٰ الشيب ؛ فإذا كانت شهوة الجنس تخفّ أو تخمد لدىٰ الشيب ، وهي امر فطريّ يمكن اشباعه لدىٰ الشباب بالطرق المحلّلة عادة ، فهناك شهوات إخرىٰ تشتعل ، وتلتهب اكثر فأكثر بتقدم العمر ؛ فإن ابن ادم يشيب وتشبّ فيه خصلتان : الحرص وطول الأمل ؛ فعن رسول اللّهﷺ : «**يهرم إبن آدم ويشبّ منه اثنان : الحرص علىٰ المال والحرص علىٰ العمر**»[٢] .

(٢) البحار ٧٣ : ١٦١ .

وعنهﷺ : «**يهلك (أو قال يهرم) ابن آدم ويبقىٰ منه اثنتان الحرص والأمل**»[٣] .

(٣) ن . م .

وعن طرق العامة عن رسول اللّهﷺ : «**حبّ الشيخ شابّ في طلب الدنيا وإن التفّت ترقوتاه من الكِبرَ ، إلّا الذين اتقوا وقليل ما هم**»[٤] .

(٤) المحجة البيضاء ٨ : ٢٤٩ .

وإفساد طول الأمل وكذلك اتباع الهوىٰ علىٰ الاطلاق للنفس أكثر بكثير من مجرّد فوران شهوة الجنس في الشباب" . وقد ورد عن أمير المؤمنينعليه السلام أنه قال : «**ألا إن أخوف ما أخاف عليكم خصلتان : اتباع الهوىٰ وطول الأمل . أما اتباع الهوىٰ فيصدّ عن الحق وأما طول الأمل فيُنسي الآخرة**»[٥] ؛ وليس اتباع شهوة الجنس إلّا جزءاً يسيراً من اتباع

(٥) البحار ٧٣ : ١٦٣ .

الهوىٰ .

إذن فتجب المبادرة إلى تهذيب الروح وتزكية النفس من أوّل سني البلوغ وأوّل حالة الشباب . وقد ورد عن الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالىٰ : ﴿أولم نعمّركم ما يتذكّر فيه من تذكّر﴾[٦] أنه توبيخ لابن ثماني عشرة سنة[٧] . ولئن استطاع احد أن يربّي نفسه قبل سني البلوغ كي لا تزّل قدمه بعد البلوغ ، ويكون ملتزماً بتكاليفه من أوّل البلوغ ، كان ذلك خيراً .

وعلىٰ أية حال فمن لم يتوفّق للتزكية مبكّراً فالمفروض له أن يبادر إلى ذلك في أقرب وقت من أوقات عمره ، مهما كان قدر الفائت منه لأنه بقدر ما يؤخّر العمل ستزداد الصعوبات أمام نفسه أكثر فأكثر ، وتضيق الفرصة أكثر من قبل . وقد ورد في الحديث عن الصادق عليه السلام : انه مكتوب في التوراة : «**نُحنا لكم فلم تبكوا وشوّقناكم فلم تشتاقوا ... أبناء الأربعين أُوفوا للحساب ، أبناء الخمسين زرع قد دنا حصاده . أبناء الستين ، ماذا قدّمتم وماذا أخّرتم . أبناء السبعين عدّوا انفسكم في الموتى ...**»[٨] .

ولنعم ما قيل :

أعينيَّ لمْ لا تبكيان علىٰ عمري ... تناثر عمري من يديّ ولا أدري
اذا كنت قد جاوزت خمسين حجةً ... ولم أتأهبْ للمعاد فما عذري

وقيل أيضاً :

ألا يا أيها القمر المضيءُ ... إلى كم تذهبنّ وكم تجيءُ
ذهبت وفي ذهابك قصر عمري ... رجعت وفي رجوعك لا يجيء من أين نبدأ ؟

كنت أتمنّى أن يكون بدء عملنا من ما فوق الصفر ، لأنه قد مضىٰ من عمرنا عدد من السنين إن كان قليلاً أو كثيراً فالمفروض أننا قد طوينا مساحة من الطريق ، فليست بداية عملنا الآن من الصفر ؛ ولئن

(٦) فاطر : ٣٧ .

(٧) تفسير البرهان ٣:٣٦٦ .

(٨) البحار ٦ : ١٣٦ .

تنازلنا عن ذلك فإنني كنت أتمنى أن يكون بدء عملنا من الصفر، ومن صفحة بيضاء خالية من الذنوب ومن الكمالات العرفانية.

ولكن الذي يحرق القلب ويدمي الفؤاد ويُبكي العين أن بدء عملنا في الأعمّ الأغلب لا يخرج أن يكون من تحت الصفر، أي يجب علينا أن نبدأ بغَسل الصفحة السوداء في قلوبنا بماء التوبة؛ لأننا تنزّلنا وتدهورنا عن حدّ الاعتدال الفطري بسبب المعاصي والذنوب، فالآن يجب علينا أن نبدأ بإزالة ما هو ضدّ الكمال لا بصعود مدارج الكمال من أرضٍ معتدلة وقلب صافٍ. ولكنّ الذي يسلّينا عن هذه المصيبة أننا لسنا وحدنا هكذا نمشي في الطريق، بل يمشي أمامنا في طريق التوبة المعصومون. وأنا أفهم أن هذا الكلام الذي قلته ليس منطقياً؛ لأن توبتهم عليهم السلام تختلف سنخاً عن توبتنا لأن ذنوبهم تختلف سنخاً عن ذنوبنا(*)؛ وذلك بدليل العصمة، ولكن نبرّد أنفسنا بمجرد التشارك في الاسم، ونقول: ياربنا، كيف لا تقبل توبتنا ونحن قافلة عظيمة أتيناك تائبين، وأمامنا في الطريق انبياؤك المرسلون والأئمة المعصومون، وأنت أكرم من أن تقبل توبة صدر القافلة وتوردهم مناهلك الروية، ثم تسدّ باب القبول على الذيول الوافدة التابعة لأُولئك المقربين في سلوك الطريق؛ فهذا نبيّ اللّه داود وهو معصوم عن الذنب بالمعنى الذي نفهمه من الذنب المألوف لدى غير المعصومين، ولكن لهجته في التوبة عين لهجتنا حيث قلت تبارك اسمك: ﴿**وظنّ داود أنما فتنّاه فاستغفر ربّه وخرّ راكعا وأناب**﴾[٩]، وهذا زين العابدين وسيد الساجدين ـ على ما ورد في مناجاة التائبين[١٠] ـ: «**الهي، إن كان الندم عن الذنب توبة فإنّي وعزّتك من النادمين، وإن كان الاستغفار من الخطيئة حِطّة فإنّي لك من المستغفرين. لك العتبى حتى ترضى**»، ويقول ايضاً فيما رواه طاووس الفقيه[١١]: «**وعزّتك وجلالك ما أردت بمعصيتك مخالفتك، وما عصيت إذ عصيتك وأنا بك شاكّ ولا بنكالك جاهل ولا لعقوبتك**

(*) حيث أن ذنوبهم عليهم السلام ماهي إلّا الذنوب التي عُبِّر عنها بـ «حسنات الابرار سيئات المقربين»، وندمهم وتوبتهم منها ماهي إلّا ندمٌ وتوبة في ذلك المقام. ولمزيد الايضاح تراجع مقالات السيد الكاتب تحت عنوان «تزكية النفس من منظور الثقلين» في اعداد مجلة رسالة الثقلين التالية: (١٣، ١٤، ٢٤) «التحرير».

(٩) ص: ٢٤.

(١٠) المناجاة الاولى من المناجيات الخمس عشرة المعروفة.

(١١) البحار ٤٦: ٨١.

متعرّض ، ولكن سوّلت لي نفسي وأعانني على ذلك سترك المرخى به عليّ ، فالآن من عذابك من يستنقذني ؟ وبحبل من أعتصم إن قطعت حبلك عنّي ؟ فوا سوأتاه غداً من الوقوف بين يديك اذا قيل للمخفّين جوزوا وللمثقلين حطّوا ! أمع المخفّين أجوز ؟ أم مع المثقلين أحُطّ ؟» .

وهنا أُكرر أن توبتهم عليهم ألاف التحية والثناء تختلف سنخاً وهوّية عن توبتنا ؛ لأن ذنوبهم تختلف سنخاً وهوّية عن ذنوبنا(*) .

وهنا أتبرّك بذكر كلام سيّد العارفين في زماننا الإمام الخميني ، حيث يعتذر عن شرح أنحاء التوبة المختلفة في السّنخ في كتابه الاربعون حديثاً(١٢) بقوله : «إعلم أن للتوبة حقائق ولطائف وأسراراً ولكل واحد من أهل السلوك إلى اللّه توبة خاصّة تناسب مقامه ؛ وحيث أن لاحظّ ولا نصيب لنا في تلك المقامات فلا يناسب شرحها والإسهاب فيها في هذا الكتاب» .

اقول : ومما يؤيد ما أفاده رضوان اللّه عليه من تعدّد أنحاء التوبة بتعدد المقامات التي وصل إليها العبد ، ما ورد في مصباح الشريعة عن الصادق : «**التوبة حبل اللّه ومدد عنايته ، ولا بدّ للعبد من مداومة التوبة على كل حال ، وكل فرقة من العباد لهم توبة ، فتوبة الأنبياء من اضطراب السرّ ، وتوبة الأصفياء من التنفّس ، وتوبة الأولياء من تلوين الخطرات ، وتوبة الخاصّ من الاشتغال بغير اللّه ، وتوبة العامّ من الذنوب ، ولكل واحد منهم معرفة وعلم في أصل توبته ومنتهى أمره**»(١٣) .

الفصل الأول : التوبة

والآن حان لنا وقت الدخول في بحث التوبة .

قال اللّه تعالى : ﴿**إنما التوبة على اللّه للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب اللّه عليهم وكان اللّه عليماً حكيماً * وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفّار اولئك أعتدنا لهم عذاباً أليما**﴾(١٤) .

(*) فهي من باب «حسنات الابرار سيئات المقربين».

(١٢) في ذيل الحديث السابع عشر، ص ٢٨٣ بحسب اصل الكتاب الفارسي، و ص ٢٦٧ بحسب الترجمة العربية التي قام بها السيد محمد الغروي (حفظه اللّه).

(١٣) البحار ٦ : ٣١ .

(١٤) النساء : ١٧ ـ ١٨ .

وقال عزّ من قائل : ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلّا الله ولم يصرّوا على ما فعلوا وهم يعلمون * أولئك جزاءهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين﴾ (١٥) .

وقال عزّوجلّ : ﴿إلّا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يبدّل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً﴾ (١٦) .

وقال عزّ اسمه : ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم * وأنيبوا إلى ربّكم واسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون * واتّبعوا أحسن ما أُنزل إليكم من ربّكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون * أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرّطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين * أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين * أو تقول حين ترى العذاب لو أنّ لي كرّة فأكون من المحسنين﴾ (١٧) .

(١٥) آل عمران : ٣٥ ـ ٣٦.

(١٦) الفرقان : ٧٠.

(١٧) الزمر : ٥٣ ـ ٥٨.

إنّ آيات التوبة في القرآن كثيرة ، وكان اختياري لهذه الآيات الأربع بالذات لبدء الحديث في التوبة لنكات خاصّة بها :

أما الآية الأُولىٰ فالنكتة الخاصّة بها هي ما ورد فيها من أن الله تعالىٰ فرض علىٰ نفسه التوبة علىٰ العبد التائب حيث قال : ﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب﴾ ، وكلمة (علىٰ) تعطي معنىٰ الوجوب ؛ فلاحظ رحمة الربّ تعالىٰ الذي لا يجب عليه عقلاً قبول التوبة ؛ لأن العبد العاصي بعد أن خالف نظام العبودية لا محالة يستحق جزاء عمله ، وليست التوبة ماحية لا ستحقاقه ، ولكنك تقف إعظاماً واكباراً لهذه الرحمة البارزة في هذه الآية الشريفة ؛ حيث فرض الله تعالىٰ قبول التوبة امراً واجباً علىٰ نفسه ، وكأن عبده المذنب له حقّ دلالٍ علىٰ الربّ تبارك وتعالىٰ يطالبه بما أوجبه علىٰ نفسه من المغفرة والرحمة والتوبة عليه .

ولعل السبب في هذا ـ بعد وضوح سعة رحمته التي ستظهر في يوم القيامة حتىٰ إن ابليس يطمع فيها[١٨] ـ واضح ، وهو أن فرض العقاب علىٰ ذنوب العباد لم يكن بهدف التشفّي من العبد ؛ تعالىٰ اللّه عن ذلك علوّاً كبيراً ، بل كان بهدف جعله رادعاً للعبد عن الهلاك وسقوطه في وادي الضلال وفي رذائل النفس وقبائح الأعمال ، ومحفزّاً له إلىٰ تزكية نفسه وتنمية الفضائل في ذاته وتكميله في سلّم المعنويات بقدر قابليته . هذا بالنسبة لغير الخبيث الذي وصل استحقاقه للعقاب (لولا أن يتوب) إلىٰ حدّ لا يكون معه قابلاً للعفو عنه ؛ أما بالنسبة لهذا فهناك ملاك آخر للعقاب زائداً علىٰ ما مضىٰ لسنا الآن بصدد شرحه ، فإذا تاب العبد وأناب إلىٰ ربّه فقد طهّر نفسه واستعاد حسن سريرته وبدأ يرقىٰ مرقىٰ الكمال ، فقد تحقق الهدف الذي كان كامناً من وراء فرض العقاب ، فالرّب تعالىٰ يكون عندئذ أعلىٰ وأجل من أن يعاقبه ، وهو تبارك وتعالىٰ قد فرح ـ إن صحّ التعبير ـ بحصول الهدف المنشود وهو هداية العبد ، فقد ورد في الحديث عن ابي عبيدة الحذّاء قال : «سمعت أباً جعفرعليه السلام : ألا إن اللّه أفرح بتوبة عبده حين يتوب من رجل ضلّت راحلته في أرض قفر وعليها طعامه وشرابه ، فبينما هو كذلك لا يدري ما يصنع ولا أين يتوجه حتىٰ وضع رأسه لينام ، فأتاه آتٍ فقال له هل لك في راحلتك ؟ قال نعم . قال : هو ذه(*) فاقبضها . فقام إليها فقبضها . فقال ابو جعفرعليه السلام : **واللّه أفرح بتوبة عبده حين يتوب من ذلك الرجل حين وجد راحلته**»[١٩] .

وأمّا الآية الثانية وهي قوله : ﴿**والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا اللّه فاستغفروا لذنوبهم**﴾ ، فالنكتة في اختياري لذكرها هنا هي الحديث الوارد في ذيل تفسير هذه الآية عن الصادقعليه السلام[٢٠] .

قال : «**لما نزلت هذه الآية صعد إبليس جبلاً بمكّة يقال له ثور ، فصرخ**

(١٨) راجع البحار ٧ : ٢٨٧، ب ١٤ من كتاب العدل والمعاد، ح ١.

(*) كذا في المصدر، وصوابه «هي ذه».

(١٩) البحار ٦ : ٣٨ ـ ٣٩.

(٢٠) راجع تفسير البرهان ١ : ٣١٦.

بأعلىٰ صوته بعفاريته فاجتمعوا إليه فقالوا : يا سيّدنا لِمَ دعوتنا ؟ قال : نزلت هذه الآية فمن لها ؟ فقام عفريت من الشياطين فقال : أنا لها بكذا أو كذا فقال : لست لها فقام آخر فقال مثل ذلك فقال : لست لها فقال الوسواس الخناس : أنا لها، فقال : بماذا ؟ قال أعدهم وأُمنيهم حتىٰ يواقعوا الخطيئة ، فإذا واقعوا الخطيئة أُنسيهم الاستغفار فقال : أنت لها . فوكّله بها إلىٰ يوم القيامة» .

وأما الآية الثالثة وهي قوله تعالىٰ : ﴿إلّا من تاب وآمن وعمل صالحاً ...﴾ ، فكانت النكتة في اختياري لها لبدء الحديث بالتوبة ما في هذه الآية مما يقف العقل امامه إعظاماً واكباراً لرحمة الربّ ، حيث لم يذكر فيها مجرّد عفو اللّٰه تعالىٰ عن ذنوب التائبين ، بل ذكر تبديل سيئاتهم حسنات . فأيّ رحمة هذه التي لا تقتصر علىٰ ترك العقاب بل تبدّل السيئة حسنة وتبدّل العقاب ثواباً ؟ ! ولعل تفسير الآية يكون أنسب بالقول بتجسّم الأعمال ؛ فبدلاً من أن يروا أعمالهم السيئة سيئات يرونها حسنات . وقد ورد في الحديث عن الباقر عليه السلام قوله : «ويستر عليه من ذنوبه ما يكره أن يوقفه عليها . قال : ويقول لسيّئاته : كوني حسنات . قال : وذلك قول اللّٰه تبارك وتعالىٰ : ﴿أُولئك يبدّل اللّٰه سيئاتهم حسنات وكان اللّٰه غفوراً رحيماً﴾ (٢١) .

(٢١) البحار ٧ : ٢٦٠.

ويقول القائل : إذن فلنرتكب السيئات حتىٰ نتوب بعد ذلك وبهذا تزداد حسناتنا .

ولكن صاحب هذا الكلام غفل أوّلاً عن عدم ضمانٍ لنفي مباغتة الموت قبل التوبة ، وثانياً عن أن ترك الذنب أهون من التوبة ولا يعلم أنه سيتوفق إلى التوبة لو أذنب ؛ فإن الندم الذي هو أوّل شرائط التوبة لا يتحقق بسهولة فضلاً عن باقي شرائطها التي تتلو النَدَم . وقد ورد عن الصادق عليه السلام عن امير المؤمنين عليه السلام أنه قال : «ترك الخطيئة أيسر من طلب التوبة . وكم من شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً . والموت فضح الدنيا فلم يترك لذي لبّ فرحاً»(٢٢) ، وثالثاً عن أن تبدل السيئات حسنات لايعني

(٢٢) اصول الكافي ٢:٤٥١.

أن المذنب إذن صار أكثر ثواباً من غير المذنب لانضمام سيئاته إلى حسناته ؛ وذلك لأن الحسنات التي تعطىٰ لتارك الذنوب بسبب تركه للذنوب أو بسبب رحمة الرب لا تقاس بالتي تعطىٰ للتائب؛ ومن الباطل عقلاً أن يكون التائب من الذنب أفضل من المتحرّز عن الذنب .

وأما الآية الرابعة وهي قوله تعالىٰ : ﴿إنّ اللّهَ يغفر الذنوب جميعاً﴾ ، فالسبب لاختياري بدء الحديث بذكرها ما فيها من العموم الواضح الدال علىٰ غفران جميع الذنوب بلا استثناء بما فيها من أشد الذنوب وهوالشرك . أمّا ما تراه من استثناء الشرك في قوله تعالىٰ : ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[٢٣] ، فذلك ناظر إلى المغفرة من دون توبة ، في حين أن قوله تعالىٰ : ﴿إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾ ناظر إلى المغفرة علىٰ أثر التوبة . والشاهد الداخلي علىٰ ذلك من نفس الآية قوله تعالىٰ بعدها مباشرة : ﴿وأنيبوا إلى ربّكم وأسلموا من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون﴾ .

(٢٣) النساء : ٤٨ .

أما النقاط التي نريد أن نبحثها في مسألة التوبة فهي مايلي :

أ ـ ضرورة التوبة .

ب ـ مقدمة التوبة .

حـ ـ أركان التوبة وشرائطها .

د ـ التوبة النصوح .

الأول ـ ضرورة التوبة :

إن ضرورة التوبة تنبع من ضرورة الإيمان ، وفلسفتها نفس فلسفة الإيمان والطاعة .

فمن يرىٰ أن فلسفة الإيمان والطاعة عبارة عن الهروب من النار والطمع في الجنة ، فنفس الفلسفة هي التي تملي عليه التوبة ؛ وذلك لأن الطريق الوحيد الذي اوجب اللّه تعالىٰ به علىٰ نفسه المغفرة فلا يوجد فيه تخلّف إنما هو التوبة حيث قال اللّه تعالىٰ : ﴿إنما التوبة علىٰ اللّه

للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً﴾[٢٤] . أما المغفرة بلا توبة فهي تتحقق من الله سبحانه وتعالىٰ بلا شك ، ولكنه لم يوجبها علىٰ نفسه بل علّقها علىٰ مشيئته في قوله تعالىٰ : ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[٢٥] ، كما أن قبول شفاعة الشافعين علّقه علىٰ ارتضائه فقال : ﴿ولا يشفعون إلّا لمن ارتضىٰ﴾[٢٦] ، وقال أيضاً : ﴿يؤمئذٍ لا تنفع الشفاعة إلّا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً﴾[٢٧] وقال أيضاً : ﴿ما من شفيع إلّا من بعد إذنه﴾[٢٨] ، وقال ايضاً : ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلّا لمن أذن له﴾[٢٩] ، وقال ايضاً : ﴿وكم من ملك في السماوات لا تُغني شفاعتهم شيئاً إلّا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضىٰ﴾[٣٠] ، وقال ايضاً : ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلّا بإذنه﴾[٣١]. اذن فالطريق الوحيد الذي وعد الله وعداً قطعياً بالمغفرة علىٰ أساسه إنما هو التوبة .

وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : «لا شفيع أنجح من التوبة»[٣٢].

ومن يرىٰ أن فلسفة الإيمان والطاعة عبارة عن إكمال النفس وتهذيبها وتصفيتها ، فالأمر هنا أوضح مما سبق . ونفس الفلسفة تدعوه إلى التوبة لأن التوبة ماء يغسل به درن القلب وغباره وزينه . وقد ورد في الحديث عن الباقر عليه السلام : «ما من عبد إلّا وفي قلبه نكتة بيضاء ، فإذا أذنب ذنباً خرج في النكتة نكتة سوداء ، فإن تاب ذهب ذلك السواد ، وإن تمادىٰ في الذنوب زاد ذلك السواد حتىٰ يغطّي البياض ، فإذا غطّىٰ البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبداً ؛ وهو قول الله عز وجل : ﴿بل ران علىٰ قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾»[٣٣] .

ومن يرىٰ أن فلسفة الإيمان والطاعة هي أن الله اهل للطاعة ، بغض النظر عن جنّة أو نار ، فهو يطلب رضوان الله ويتحرك بحبّه لله ، فالأمر هنا أوضح مما سبق . ونفس الفلسفة تدعوه إلى التوبة لأن الله

(٢٤) النساء : ١٧ .

(٢٥) النساء : ٤٨ .

(٢٦) الانبياء : ٢٨ .

(٢٧) طه : ١٠٩ .

(٢٨) يونس : ٣ .

(٢٩) سبأ : ٢٣ .

(٣٠) النجم : ٢٦ .

(٣١) البقرة : ٢٥٥ .

(٣٢) البحار ٦ : ١٩ .

(٣٣) الوسائل ١٥ : ٣٠٣، بحسب طبعة آل البيت، ب ٤٠ من جهاد النفس، ح ١٦، ونحوه ح ١٢، ص ٣٠٢، والآية هي الرابعة عشرة من سورة المطففين.

تعالىٰ يرضىٰ بالتوبة ويفرح بتوبة عبده ، كما ورد بسند صحيح عن أبي عبيدة قال : «سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : **إن الله تعالىٰ أشدّ فرحاً بتوبة عبده من رجل أضلّ راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها ، فالله أشد فرحاً بتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته حين وجدها**»(٣٤) .

(٣٤) البحار ٦ : ٤٠ .

وقد ورد في الحديث أنه لما أكل آدم من الشجرة تطايرت الحلل عن جسده وبدت عورته ، فاستحيا التاج والإكليل(٣٥) من وجهه أن يرتفعا عنه ، فجاءه جبريل فأخذ التاج من رأسه وحلَّ الإكليل عن جبينه ونودي من فوق العرش : اهبطا من جواري فإنه لا يجاورني من عصاني . قال : فالتفت آدم إلى حوّاء باكياً وقال : هذا أول شؤم المعصية . أُخرجنا من جوار الحبيب»(٣٦) .

(٣٥) فسّر في المنجد الإكليل بشبه عصابة تزيّن بالجوهر.

(٣٦) المحجة ٧: ٩٤، نقلاً عن الإحياء للغزالي.

إنّ هذا لهو مقام عظيم أن يكون بكاؤه علىٰ الخروج من جوار الحبيب قبل أن يكون علىٰ فراقه الجنة ، وهذه هي الفلسفة الثالثة التي أشرنا إليها للتوبة والندم .

وإن شئت مقاماً أعظم من هذا المقام في التوبة فلعله هو المستفاد من قوله تعالىٰ : ﴿**إن الذين اتقوا إذا مسّهم طائف من الشيطان تذكّروا فإذا هم مبصرون**﴾(٣٧) ، فكأنّ الآية المباركة تشير إلى أن توبة المتقين ليست من صدور الذنب منهم ، بل من الهمّ بالذنب ؛ فإن الشيطان الذي يطوف حول قلب المؤمن يمسّ قلبه كي ينفذ فيه ويورّطه في المعصية فيهمّ العبد بالمعصية ، ولكن قبل تمام النفوذ والتورط في المعصية يتذكّر المتّقي فإذا هو مبصر يرتدع عنها . وقد وردت روايات عديدة بمضمون تفسير الآية من أن العبد يهمّ بالذنب ثم يذكر اللّه فيحول الذكر بينه وبين تلك المعصية(٣٨) .

(٣٧) الاعراف : ٢٠١ .

(٣٨) راجع تفسير البرهان ٢ : ٥٦ .

والمقام الأكبر في التوبة من هذا المقام هو توبة المعصومين التي ليست توبة من الذنب ولا من الهمّ بالذنب ، بل من سيئات المقرّبين التي هي من حسنات الابرار .

روايات حبر الأمة ابن عباس

(٤)

* صادق السوداني

و ـ من رواياته في الحسين عليه السلام :

١ ـ عن ابن عباس قال : «كنت عند النبي صلى الله عليه وآله وعلى فخذه الأيسر ابنه ابراهيم ، وعلى فخذه الأيمن الحسين بن علي ، تارة يقبّل هذا وتارة يقبّل هذا ، إذ هبط عليه جبريل عليه السلام بوحي من رب العالمين ، فلما سُرّي عنه قال : أتاني جبريل من ربي فقال : يا محمد ، إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك : لست أجمعهما لك فافد أحدهما بصاحبه ، فنظر النبي صلى الله عليه وآله إلى ابراهيم فبكى ونظر إلى الحسين عليه السلام فبكى ثم قال : **إن ابراهيم أُمه أمة ومتى مات لم يحزن عليه غيري ، وأُم الحسين فاطمة وأبوه علي ابن عمي لحمي ودمي ، ومتى مات حزنت ابنتي وحزن ابن عمي وحزنت أنا عليه ، وأنا أوثر حزني على حزنهما . يا جبريل ، تقبض ابراهيم . فديته بابراهيم . قال : فقبض بعد ثلاث ، فكان النبي صلى الله عليه وآله إذا رأى الحسين عليه السلام مقبلاً قبّله وضمه إلى صدره ورشف ثناياه وقال: فديت من فديته بابني ابراهيم**»[1] .

٢ ـ عن ابن عباس قال : «كان الحسين عليه السلام جالساً في حجر النبي صلى الله عليه وآله فقال جبريل : أتحبه ؟ فقال : **كيف لا أحبه وهو ثمرة فؤادي ؟!**

(١) تاريخ بغداد ٢ : ٢٠٠.

فقال : إن أمتك ستقتله ألا أريك من موضع قبره ؟ فقبض قبضة فإذا تربة حمراء»[٢] .

٣ ـ عن ابن عباس قال : «قال رسول اللّه ﷺ : **إن جبريل أخبرني أن اللّه عزوجل قتل بدم يحيىٰ بن زكريا سبعين الفاً ، وهو قاتل بدم ولدك الحسين سبعين الفاً**»[٣] .

٤ ـ عن ابن عباس قال : «رأيت رسول اللّه ﷺ في منامي يوماً بنصف النهار وهو أشعث أغبر ، وفي يده قارورة فيها دم ، فقلت : يا رسول اللّه ، ما هذا الدم ؟ قال : **دم الحسين . لم أزل التقطه منذ اليوم . فأحصي ذلك اليوم ، فوجد أنه قتل في ذلك اليوم**»[٤] .

ز ـ من رواياته في المهدي (عج) :

١ ـ عن ابن عباس قال : «قال رسول اللّه ﷺ : **إن خلفائي وأوصيائي وحجج اللّه علىٰ الخلق بعدي اثنا عشر أوّلهم اخي وآخرهم ولدي** . وقيل : يا رسول اللّه ، ومن اخوك ؟ قال : **علي بن ابي طالب** . قيل : فمن ولدك ؟ قال : **المهدي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً . والذي بعثني بالحق نبياً لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لأطال اللّه ذلك اليوم حتىٰ يخرج فيه ولدي المهدي ، فينزل روح اللّه عيسىٰ ابن مريم عليه السلام فيصلي خلفه ، وتشرق الأرض بنور ربها ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب**»[٥] .

٢ – عن ابن عباس قال : « قال رسول اللّه ﷺ : **كيف يهلك اللّه أمة أنا في أولها وعيسىٰ في آخرها والمهدي من اهل بيتي في وسطها ؟** »[٦] .

٣ ـ عن ابن عباس قال : «قال رسول اللّه ﷺ : **علي بن ابي طالب إمام أمتي وخليفتي عليهم بعدي ، ومن ولده القائم المنتظر الذي يملأ اللّه عزوجل به الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً . والذي بعثني بالحق بشيراً إن الثابتين علىٰ القول به في زمان غيبته لأعزُّ من الكبريت الاحمر** . فقام إليه جابر بن عبداللّه الأنصاري فقال : يا رسول اللّه ، وللقائم من ولدك

(٢) مجمع الزوائد ٩ : ١٩١.

(٣) ذخائر العقبىٰ : ١٥٠.

(٤) اسد الغابة ٢ : ٢٢.

(٥) البحار ٥١ : ٧١.

(٦) قصص الانبياء : ٥٥٤.

غيبة ؟ فقال : إي وربي ﴿وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين﴾ يا جابر ، إن هذا لأمر من أمر الله وسرٌّ من سر الله مطوي عن عباده ، فإيّاك والشك في أمر الله فهو كفر»[٧] .

(٧) البحار ٥١ : ٧٣ .

٤ ـ عن ابن عباس قال : «أما المهدي عليه السلام فهو الذي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وتأمن البهائم والسباع ، وتلقى الأرض افلاذ كبدها قال : قلت : وما افلاذ كبدها ؟ قال : أمثال الاسطوانة من الذهب والفضة»[٨] .

(٨) مستدرك الصحيحين ٤ : ٥١٤ .

٥ ـ عن ابن عباس قال : «قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لا تذهب الدنيا حتى يلي امتي رجل من أهل بيتي يقال له المهدي»[٩] .

(٩) البحار ٥١ : ٧٥ .

٦ ـ عن ابن عباس قال : «قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لما عرج بي إلى السماء السابعة ، ومنها إلى سدرة المنتهى ، ومن السدرة إلى حجب النور ، ناداني ربي جل جلاله : يامحمد ، انت عبدي وأنا ربك فلي فاخضع واياي فاعبد وعليّ فتوكل وبي فثق ؛ فإني قد رضيت بك عبداً وحبيباً ورسولاً ونبياً ، وبأخيك علي خليفةً وباباً فهو حجتي على عبادي وإمام لخلقي ، به يعرف أوليائي من اعدائي وبه يميّز حزب الشيطان من حزبي وبه يقام ديني وتحفظ حدودي وتنفذ احكامي ، وبك وبه وبالأئمة من ولدك ارحم عبادي وإمائي ، وبالقائم منكم أعمر أرضي بتسبيحي وتقديسي وتهليلي وتكبيري وتمجيدي ، وبه أطهّر الأرض من اعدائي وأورثها أوليائي وبه أجعل كلمة الذين كفروا بي السفلى وكلمتي العليا. به أُحيي بلادي وعبادي بعلمي ، وله اظهر الكنوز والذخائر بمشيّتي ، وإياه أُظهر على الاسرار والضّمائر بإرادتي وأمدّه بملائكتي لتؤيده على إنفاذ أمري واعلان ديني . ذلك وليّي حقاً ومهدي عبادي صدقاً»[١٠] .

(١٠) م . ن : ٦٥ .

ح ـ من رواياته في أهل البيت عليهم السلام :

١ ـ عن ابن عباس قال : «قال رسول الله صلى الله عليه وآله : مثل اهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»[١١] .

(١١) حلية الاولياء ٤ : ٣٠٦ .

٢ ـ عن ابن عباس قال : «قال رسول الله صلى الله عليه وآله : النجوم أمان لاهل

الأرض من الغرق واهل بيتي امان لامتي من الاختلاف ، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس»[١٢] .

٣ - عن ابن عباس قال : «توفي ابن لصفية عمة رسول اللّه ﷺ فبكت عليه وصاحت ، فأتاها النبي ﷺ فقال لها : **ياعمة ، ما يبكيك ؟** قالت: توفي ابني . قال : **يا عمة ، من توفيّ له ولد في الاسلام فصبر بنى اللّه له بيتاً في الجنة** ، فسكتت ثم خرجت من عند رسول اللّه ﷺ فاستقبلها عمر ابن الخطاب فقال : يا صفية ، قد سمعت صراخك . إن قرابتك من رسول اللّه ﷺ لن تغني عنك من اللّه شيئاً فبكت ، فسمعها النبي ﷺ وكان يكرمها ويحبها فقال : **ياعمة ، أتبكين وقد قلت لك ما قلت ؟** قالت : ليس ذاك يارسول اللّه . استقبلني عمر بن الخطاب فقال : إن قرابتك من رسول اللّه ﷺ لن تغني عنك من اللّه شيئاً . قال : فغضب النبي ﷺ وقال : **يابلال ، هجر بالصلاة** ، فهجر بلال بالصلاة فصعد المنبر النبي ﷺ فحمد اللّه واثنى عليه ثم قال : **ما بال اقوام يزعمون أن قرابتي لا تنفع . كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلّا سببي ونسبي ؛ فإنها موصولة في الدنيا والآخرة**»[١٣] .

٤ - عن ابن عباس قال في قوله تعالى : ﴿**ولسوف يعطيك ربك فترضى**﴾ قال : «من رضا محمد ﷺ ألّا يدخل احد من اهل بيته النار»[١٤] .

٥ - عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى : ﴿**ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً**﴾ قال : «المودة لآل محمد ﷺ»[١٥] .

٦ - عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿**سلام على آل ياسين**﴾ قال : «المراد بذلك سلام على آل محمد ﷺ»[١٦] .

٧ - عن ابن عباس قال : «قال رسول اللّه ﷺ : **أحبوا اللّه لما يغذوكم من نعمة واحبوني لحب اللّه ، واحبوا أهل بيتي لحبي**»[١٧] .

٨ - عن ابن عباس قال : «قال رسول اللّه ﷺ : **لا تزل قدما عبد يوم**

(١٢) مستدرك الصحيحين ٣:١٤٩.

(١٣) حلية الاولياء ٧ : ٣١٤.

(١٤) الصواعق المحرقة:٩٥.

(١٥) م . ن : ١٠١ .

(١٦) م . ن : ٨٩ .

(١٧) مستدرك الصحيحين ٣ : ١٤٩.

القيامة حتى يسأل عن اربع : عن عمره فيما أفناه ، وعن جسده فيما ابلاه ، وعن ماله فيما انفقه ومن أين اكتسبه ، وعن حبنا اهل البيت»[١٨] .

كنز العمال ٧ : ٢١٢.

٩ ـ عن ابن عباس قال : « قال رسول اللّهﷺ : يا بني عبدالمطلب ، إني سألت الله لكم ثلاثاً : أن يثبت قائمكم ، وأن يهدي ضالكم ، وأن يعلّم جاهلكم ، وسألت الله أن يجعلكم جوداء نجداء رحماء ، فلو أن رجلاً صفن[*] فصلى وصام ثم لقي الله وهو مبغض لأهل بيت محمد دخل النار»[١٩] .

صفين: بين الركن والمقام.

مستدرك الصحيحين ٣ : ١.

١٠ – عن ابن عباس قال : «قال رسول اللّهﷺ : لو أن عابداً عبد الله بين الركن والمقام الف عام والف عام حتى يكون كالشن البالي ، ولقي الله مبغضاً لآل محمد أكبّه الله على منخره في نار جهنم»[٢٠] .

تاريخ بغداد ٣ : ١٢٢.

١١ ـ عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى﴾ قال : «هم أهل بيت رسول اللّهﷺ علي وفاطمة والحسن والحسين واولادهم إلى يوم القيامة . هم صفوة الله وخيرته من خلقه»[٢١] .

بحار ٤٣ : ٢٧٩.

والحمد لله رب العالمين

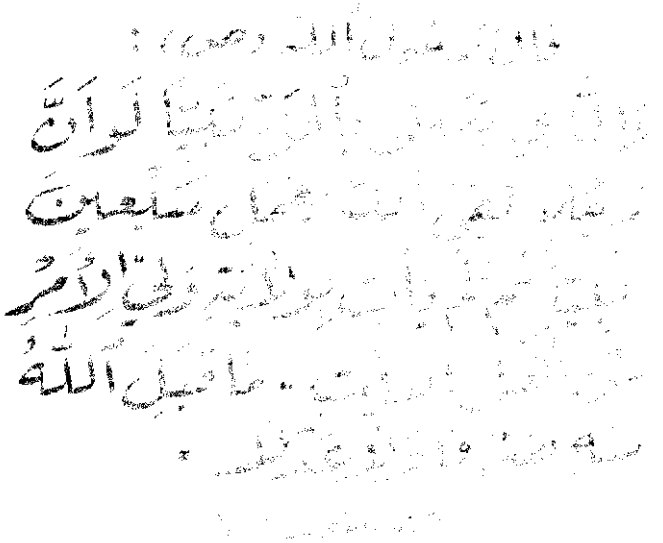

دراسات

أضواء على معالم الدراسة والبحث في الحوزات العلمية لمدرسة أهل البيت (٢)

سماحة السيد
هاشم الهاشمي

خلاصة ما استجد من آراء في مجال استخدام المفاهيم والقواعد الفلسفية في البحث الفقهي والاصولي جواباً على ما ذكر من اعتراض على ذلك :

١ ـ إن علماء الاصول والفقه توصلوا إلى بعض المفاهيم والقواعد الاعتبارية أو العرفية أو العقلائية ، ولكنهم حاولوا تشبيهها ببعض المسائل الفلسفية والحقيقية ، لا لأجل إرادتهم حقاً للمعنى الفلسفي ، بل يريدون منها معاني اعتبارية ؛ لذلك لم يجروا فيها أحكام وقواعد المجالات الفلسفية والحقيقية ، فمثلاً المحقق الأصفهاني في المعنى الحرفي لا يريد أن يقول بوضع الحروف للوجود الرابط . كما توهم ، بل إن رأيه هو أنها وضعت للنسبة ، ولكنه شبه النسبة بالوجود الرابط للتشابه بين طبيعتيهما . كما يشير لذلك في كتابه الاصول على النهج الحديث[1] ، وكذلك في بحث المشتق ، فقد شبه العلماء الأصل

(١) الاصول على النهج الحديث : ٨.

في المشتقات ، والهيئات العارضة عليه ، بالمادة أو الهيولىٰ الأولىٰ ، والصور العارضة عليها ، وكذلك يلاحظ تعبيرهم عن بعض المفاهيم الاعتبارية بالعلة والسبب والشرط وعدم المانع وغيرها ، ولا يريدون محتواها الفلسفي والتكويني ، وإنما أرادوا التشبيه بها ، ومما يدل علىٰ توجه علمائنا ، ومنهم السابقون ، إلى هذا الاختلاف بين عالم التكوين والفلسفة ، وعالم التشريع والاعتبار ، هذه الفكرة التي تتردد كثيراً في كتبهم منذ القديم في الفقه والاصول : «إن الاسباب الشرعية معرفات لا علل أو لا مؤثرات» ، وهو يدل علىٰ إرادة معنىً آخر من الأسباب غير معناها الفلسفي المصطلح ، وإنما استخدموا اللفظ الفلسفي للتعبير عن هذا المعنىٰ الآخر[٢] .

(٢) التنقيح الرائع ٢ : ٤٥ .

ولعل السبب في استخدامهم المصطلحات الفلسفية ، هو قصور اللغة في التعبير عن المفاهيم والقواعد الاعتبارية والقانونية ، أو هو دراستهم وإعجابهم بالفلسفة ، أو غيرهما من أسباب .

٢ ـ إن الكثير من علمائنا يفرقون بين الفهم أو الحكم العرفي والعقلائي ، والفهم أو الحكم العقلي أو الفلسفي ، وبين القاعدة العرفية والاعتبارية ، والقاعدة الفلسفية والعقلية الدقيقة ، لذلك نراهم يعترضون علىٰ بعض العلماء الذين اعتمدوا الفهم الفلسفي أو العقلي الدقيق ، بأن النصوص تعتمد الفهم العرفي أو العقلائي ، أو أن القاعدة الفلسفية أو العقلية لا تجري في مجال الأحكام الشرعية ، والشواهد علىٰ هذه الحقيقة كثيرة ، ذكرتها في المقال[٣] ؛ ولأجل ذلك دعا بعض العلماء إلى عدم الخلط في البحث الفقهي أو الأصولي خاصة ، بين المفاهيم والقواعد الفلسفية والمفاهيم والقواعد الاعتبارية ؛ لاختلاف الموضوع فيهما في الخصائص والأحكام ، وللتأثير السلبي لهذا الخلط في العلوم ، كما أشرنا لذلك ، وأكّده المحقق الأصفهاني[٤] ، والسيد الطباطبائي[٥] صاحب تفسير الميزان ، والشيخ المطهري[٦] ، وغيرهم

(٣) راجع مجلة رسالة الثقلين : ٩، ١٠، ١١.

(٤) نهاية الدراية ١ : ١٢ و١٧١، ويلاحظ ايضاً جواهر الكلام ٢٢ : ٢٨٩، وفوائد الأصول ١ : ١٧٦، والمحاضرات ٢ : ٣٠٩.

(٥) حاشية الكفاية للسيد الطباطبائي: ٨٤ و١٠٧ و١٤٠ و١٥٧ و١٨٢ و١٨٦ و١٩٣ و٢٦٠ و٣٠٧.

(٦) اصول الفلسفة: ٩٢ (بالفارسية).

من علمائنا ، ذكرنا أقوالهم في المقال المذكور . ولعله يظهر من بعض الشواهد أن بعض العلماء الذين هم أكثر تخصصاً واهتماماً بالفلسفة ، كانوا أكثر تمييزاً بين مجال الفلسفة وغيره ، وكانوا يحاولون تجنب التأثر بالفلسفة أو الفهم الفلسفي أو العقلي الدقيق ، في مجال دراستهم للفقه أو الأصول أو النصوص الشرعية ، كما يلاحظ ذلك عند السيد الطباطبائي في حاشيته على الكفاية وغيره ؛ وأشرنا لذلك كله في المقال المذكور .

ومما يدل على تنبيه علمائنا للفرق بين المجالين ، اعتراضهم على بعض العلماء الذين يجرون القواعد الفلسفية في غير مجالهما ، فمثلاً اعترض العلماء المتأخرون على صاحب الكفاية في إجرائه قاعدة الواحد لا يصدر منه إلّا الواحد ، في مسألة موضوع العلم واحتياجه لموضوع واحد ، وفي بحث الصحيح والأعم في احتياجهم القول بالصحيح إلى جامع واحد ، وغيرها من الشواهد على هذا الاعتراض .

٣ ـ إن بعض علماء الفقه والأصول يرى جريان بعض القواعد الفلسفية في بعض المجالات الاعتبارية ، كما ذكر ذلك حول مبدأ استحالة اجتماع النقيضين ، واستحالة تأثير المعدوم ، ومنه تأثير الشرط المتأخر في المتقدم من الأمور الاعتبارية ، كتأثير الإجازة اللاحقة في عقد الفضولي[٧] ، وكذلك ذهب البعض منهم إلى أن الأمر الاعتباري يكتسب بعض أحكام الأمر الحقيقي بعد الاعتبار والوضع[٨] ، كما وضحناه في المقال .

ولكن يمكن القول بأنه على هذا الوجه يعود الإشكال نفسه ، وأنه كيف تجري أمثال هذه القواعد في الأمور الاعتبارية كالأحكام الشرعية ، مع أن مجال تأثيرها الأمور الحقيقية والتكوينية ؛ إلّا أن يكون مرادهم جريان هذه القواعد في المجالات الحقيقية للأحكام الشرعية ، كالمصالح الواقعية التي تمثل ملاكات الأحكام ؛ ولعله يشير

(٧) محاضرات في الفقه الجعفري، تقريرات دروس السيد الخوئي في البيع ٣٤١:٢، ومنتهى الدراية ١٣٨:٢ و١٤١.

(٨) منية الطالب، تقريرات دروس الشيخ النائيني في المكاسب ٢٣٦:١.

لهذا المعنىٰ السيد الشهيد الصدر في الحلقة الثالثة[٩] .

كما أن العلماء ذكروا أن الألفاظ يؤخذ مفهومها ومعناها من اللغة أو العرف ، فيعتمد في الوصول للمعنىٰ علىٰ الفهم العرفي ولكن لابد من الدقة العقلية في التطبيق ، فمثلاً مفهوم الكر أو الصاع أو المدّ يؤخذ من العرف ، ولكن لا يؤخذ بالمسامحات العرفية في التطبيق ، وتوضيحه أكثر في محله .

٤ ـ إنهم يفترضون وجود مجالات حقيقية وتكوينية لهذه الأمور والأحكام الاعتبارية والعرفية ، حيث يحاولون إجراء تلك المفاهيم والقواعد الفلسفية فيها ، ففي الأحكام الشرعية مثلاً يلاحظون ملاكاتها من المصالح والمفاسد الواقعية ، أو الإرادة والكراهة والحب والبغض، أو ملاحظة مرحلة الامتثال وعمل الإنسان ؛ فإنها أمور ومجالات حقيقية تصلح لجريان تلك القواعد الفلسفية والتكوينية فيها . والكثير من أقوالهم في مختلف المسائل الفقهية والأصولية تدل علىٰ هذه الحقيقة ، فلا يتوجه الاعتراض .

٥ ـ الملاحظ أن علماءنا يتمسكون في أكثر المسائل الأصولية والفقهية بالفهم العرفي وسيرة العقلاء ومرتكزاتهم والوجدان ، مع ما يملكونه من ذكاء ودقة وعمق في استكشافها ، والتعرف علىٰ هذه المجالات العرفية والعقلائية ، بل يرون بعض النصوص إمضاء لسيرة العقلاء ومرتكزاتهم ، ويعتمدون في دراسة الأدلة والنصوص علىٰ الأصول والطرق العرفية والعقلائية ، سواء في معرفة مداليلها التصورية أو التصديقية ، حيث يحاول الأصولي التعرف علىٰ المداليل التصورية ، سواء كانت معاني لغوية معجمية للمفردات ، حيث تكون هذه المعاني واضحة ، أو معاني تحليلية وهي المعاني النسبية التركيبية ، أو كما يسميها البعض معاني وظيفية ونحوية ، كمعاني الحروف والهيئات وتراكيب الجمل ؛ فإن هذه المعاني الوظيفية ، وإن

(٩) دروس في علم الأصول ١: ٣٤٠.

كانت مداليل تصورية كالمعاني المعجمية ، ويحمل الناس منها تصورات ومعاني إجمالية حين ارتباطها بالجملة ، فإن معرفة المعاني المقابلة للحروف مثلاً بدقة ليست بوضوح المعاني المعجمية ، وإنما تحتاج للتأمل في مرتكزات المتكلمين ؛ ليتعرف على التحديد التفصيلي لتلك الصورة الإجمالية من الحرف ، والمعنىٰ المرتكز في أذهانهم له وتفسيره وتحليله ؛ ومن هنا كان اختلاف العلماء في التحديد الدقيق التفصيلي لتلك المعاني المرتكزة وتفسيرها ، كما في معاني الحروف ، ومعنىٰ الجملة الخبرية والإنشائية ، والمشتق من حيث دلالته علىٰ البساطة أو التركيب ، وغيرها من المعاني الوظيفية التي يستعملها الناس للتعبير عن أغراضهم ؛ لأنها ضرورية في استعمالاتهم ، ويحملون منها معاني تصورية مرتكزة في أذهانهم .

وكذلك يبحث الأصولي عن المدلول التصديقي التفهيمي ، أو الجدي للألفاظ والنصوص أيضاً ، حيث يدل اللفظ علىٰ قصد المتكلم وإرادته لتفهيم المعنىٰ ، أو إرادته جداً وواقعاً ، فيتدخل قصد المتكلم وإرادته في هذا المدلول ، ولا يستفاد هذا المدلول من مجرد اللفظ وتصوره ، كما في المدلول التصوري حيث يكفي فيه مجرد اللفظ ، بل لابد من قرينة إضافية تدل علىٰ القصد والإرادة كقرينة الحكمة ، لذلك يكون المدلول التصديقي مرحلة متأخرة عن المعنىٰ الوضعي ؛ لأن مرحلة المعنىٰ الوضعي هي مرحلة المدلول التصوري ، الذي لا يتوقف علىٰ شيء إلّا تصور مجرد اللفظ ، وأما المدلول التصديقي فيتوقف علىٰ تصور اللفظ وعلىٰ إحراز قصد المتكلم وإراداته ، ومن المداليل التصديقية دلالة المطلق علىٰ الإطلاق ، حيث إن الأصوليين المتأخرين ذهبوا إلى أن لفظ المطلق بالوضع يدل علىٰ ذات المعنىٰ ، ولم يؤخذ فيه الشيوع ، وإنما يستفاد الشيوع من مقدمات الحكمة ، وكذلك دلالة مادة الأمر أو صيغته علىٰ الوجوب ، فهو مدلول

تصديقي؛ لأن المعنى الوضعي لهما هو مطلق الطلب ، وكذلك دلالة الفعل على الزمان ؛ فإنه لا يدل عليه بالوضع ، بل من سياق الجملة وكون المتكلم في مقام الإخبار عن وقوع شيء أو توقع وقوعه ، وغيرها من المسائل[١٠] .

ويعتمد علماء الأصول من أجل الوصول لهذه المداليل التصورية ، سواء اللغوية المعجمية ، أو التحليلية والمداليل التصديقية ، على طرق وأصول عرفية وعقلائية ، كالتبادر وعدم صحة السلب ، وقرينة الحكمة ، وأصالة الحقيقة ، وأصالة التطابق بين مقام الإثبات والثبوت، وغيرها من الأصول التي تكتسب حجيتها من العرف والعقلاء .

إذن فهناك بعض المعاني التي يستعملها الناس للتعبير عن أغراضهم ومقاصدهم ؛ لأنها ضرورية لهم ، ولكنها تحتاج للدقة في تحديدها تفصيلاً وتفسيرها ، سواء كانت تصورية أو تصديقية ، وإن كانت موجودة في مرتكزاتهم ، وربما عبروا عن عالم الارتكاز بالعلم الإجمالي أو الارتكازي[١١] ، حيث تجتمع فيه معاني ومعلومات كثيرة، وإن لم يلتفت الإنسان إليها فعلاً أو تفصيلاً . ولعل مقصودهم منه ما يسميه علم النفس الحديث بعالم اللاشعور والعقل الباطن ؛ حيث إن هذه المعاني موجودة في ذلك العالم ، وإن لم تكن ملتفتاً إليها بالفعل ، أو بالتحديد والتفصيل ، وإنما تحتاج للمنبه الشعوري في الالتفات إليها فعلاً ، أو لباحث خبير يتعرف عليها بالتحديد ويحاول تفسيرها وتحليلها ؛ ولعلها نظير ما يذكر في قواعد علم المنطق ، فإنها ليست مخلوقة من المجهول ، بل هي موجودة في العقول السليمة ، يسير على خطواتها أصحاب التفكير السليم ، ولكن ربما لا تكون تلك الأذهان ملتفتة إليها بكل وضوح وتحديد ، ويأتي الباحث المنطقي ليتأمل في أذهان الناس ، وفي خطوات تفكيرهم ليكتشفها ويحددها أو يفسرها ، والخلاف بين العلماء في الآراء وتخطئة بعضهم الآخر في

(١٠) يلاحظ دروس في علم الاصول، الحلقة الثالثة ٨٩:١ ، والبحث النحوي عند الأصوليين: ١٢.

(١١) كفاية الأصول : ١٨.

مجال تحديدها أو تفسيرها .

والشـواهـد عـلىٰ اعـتماد الأصـوليين الفـهم العـرفي والارتكـازي والسيرة والوجدان ، في استدلالاتهم ، كثيرة ، مع تأمل وتدقيق منهم فيها ، وعدم تقليدهم للآراء المـطروحة فـيها مـن الآخـرين ، دون أن يعتمدوا علىٰ القواعد الفلسفية في غير مجالات تأثيرها ، فذهب البعض لبسـاطة المشـتق ؛ لأن المـتبادر مـنه عـرفاً مـفهوم واحـد وصـورة مبسطة، وأما التـركيب فـبالنظر العـقلي الدقـيق ، حـيث يـحلله العـقل المشتق لجزئين وصورتين ، المبدأ والذات ، ولكنهم ذكروا أن المعيار هو النظر العرفي لا العقلي الدقيق ؛ وهذا يدل علىٰ ما ذكرناه ، وكذلك مسألة الترتب ، وهي من المسائل الأصولية الصعبة ، التي يمكن القول بتأثرها ببعض المسائل الفلسفية ، أو الفهم العقلي الدقيق ؛ فإن علماء الأصول يستدلون عليها بالفهم العرفي وارتكاز العقلاء وسيرتهم ، في مجال تعدد الأمر وعدمه أو تـعدد العـقاب وعـدمه[١٢] ، وغـيرها مـن المسائل الأصولية ، التي استندوا فيها لفهم العـرف وارتكـاز العـقلاء وسيرتهم ، سواء في مباحث الألفاظ كما ذكرنا ، أو الأصول العملية ، فـقد اسـتدلوا بسـيرة العـقلاء عـلىٰ حـجية الظـواهـر وخـبر الواحـد والاستصحاب وغـيرها ، بـل جـعلوا النـصوص الدالة عـلىٰ حـجيتها إمضاءً للسيرة ، ولكن قد يعبرون عن تلك القضايا العقلائية والعرفية بتعبيرات فلسفية ، أو يستدلون عليها بأدلة فلسفية ، ولكن هذا لا يخل بعقلائية القضية وعرفيتها ، وان اخل بطريقة التعبير والاستدلال .

وهكذا نرىٰ أن الأصوليين ، وبخاصة المتأخرون منهم ، ولاسيما مدرسة النجف الأصولية ، يعتمدون في الغالب علىٰ أي دليل آخر علىٰ الفهم العرفي وسيرة العقلاء ومرتكزاتهم في اكثر المسائل الأصولية ، سواء في مباحث الألفاظ أو الأصـول العـملية ، وأمـا ذكـرهـم أحـياناً لبعض المـصطلحات أو القـواعـد الفـلسفية ، فـلأجل مـا ذكـرناه مـن

(١٢) يلاحظ محاضرات في أصـــول الفـــقه ٣:١٠٢، ومنتهىٰ الدراية ٢:٤٨٩.

أسباب، أو لأجل تجاوبها مع الفهم العرفي والعقلائي ، أي يعتمدون علىٰ الفلسفة في المجال الذي تؤثر فيه الفلسفة ، ولا يعتمدون عليها في المجال الذي لا تجري فيه القواعد الفلسفية ، وهم متنبهون في الغالب إلى مجال تأثير الفلسفة ، وجملة المفاهيم والقواعد التي يلزم اعتمادها في الأصول أو الفقه ، كما يدل علىٰ ذلك أحاديثهم في بعض المسائل الأصولية أو الفقهية . ولا ننكر وجود استثناءات لهذه القاعدة في بعض المسائل ، أو عند بعض العلماء الأصوليين ، حيث اعتمدوا علىٰ الفلسفة أو الفهم العقلي الدقيق في غير مجالهما .

وأخيراً يمكن القول إن الفلسفة ـ كما ذكر البعض ـ تعبر عن ارتكازات العقلاء علىٰ الأمور الحقيقية لا علىٰ حقائق الأشياء ، ويشهد له ما ذكره البعض أن الحقائق لا يعرفها البشر . وأن الفصول مشهورية وليست حقيقية ، ولكن مجال الفلسفة هو الأمور الحقيقية والتكوينية لا الاعتبارية ؛ ومن هنا وقع الخلط في كلام البعض .

ثالثاً: ما لاحظه البعض علىٰ الكتب الدراسية التي تدرس في مرحلة المقدمات والسطوح ، من أنها لا تتوفر تماماً علىٰ القواعد المعتبرة في الكتب الدراسية من حيث المنهج والأسلوب والفكرة ، وملاحظة مستويات الطلاب في مختلف المراحل الدراسية . ونذكر هذه الملاحظات مع تأكيد أن بعضها يمكن توجيهها لسائر الكتب أيضاً :

١ ـ ما ذكر في مقدمة الحلقة الأولىٰ من دروس في علم الاصول ، من أن اكثر هذه الكتب إنما ألّفت من قبل مؤلّفيها لمجرد التأليف أو تدوين الآراء ، لا للدراسة ، وفرق بين التأليفين كما ذكرنا ، حيث يلاحظ في الكتب الدراسية مستويات الطلّاب ، والتدرج في عرض الأفكار من البسيط إلى المعقد ، بينما في هذه الكتب ربما طرح المعقد قبل عرضه بصورة مبسطة ، وكذلك لم تهتم بذكر الأسبق رتبة قبل المتأخر ؛ لأنه قد يتوقف استيعاب بعض البحوث علىٰ فهم بحوث

أخرىٰ ، فيلزم تقديمها في البحث ، فلم يوضع كل بحث فيها موضعه الطبيعي . ويلاحظ ايضاً أنها تستخدم في بداية الكتاب مصطلحات لم يأت بعد تفسيرها ، وإنما ذكرت في البداية لأن العالم الذي كتبها ، أو الذي كتبت له ، محيط بها ، حيث إن المؤلفين إنما كتبوا هذه الكتب لأمثالهم من العلماء لا للمبتدئين ، كما أن هذه الكتب إنما أُلّفت لتعبر عن آراء مؤلّفيها في تلك المرحلة الزمنية التي عاشوها ، مع تطور الكثير من تلك الآراء أو تغيرها ، ومع هذه الملاحظات لا يحقق الكتاب مهمة الإعداد للمرحلة اللاحقة ، ومن هنا يلزم تبويب الكتاب حسب مراحل الفهم والاستنباط . من حيث تقديم بعض الأبواب أو المسائل أو تأخيرها .

٢ ـ يلزم دراسة البحوث والآراء المتطورة التي تمهد للطالب في المرحلة اللاحقة ، فيدرس في السطوح مثلاً ما سيدرسه الطالب بصورة موسعة ومعمقة في البحث الخارج ، ولكنه يدرسها في السطوح بصورة ميسرة ومبسطة بما يتلاءم ومستواه في تلك المرحلة ، ويتجنب الآراء والبحوث المهجورة التي ليس لها تأثيرها في الاستنباط ، أو التي نوقشت وهجرت ، ولا يتعرض لها في المراحل اللاحقة .

٣ ـ هناك بعض القواعد والمسائل التي يعتمد عليها كثيراً في الفقه ، دون أن تبحث أبواباً أو مسائل مستقلة في علم الأصول والفقه حتىٰ بصورة ضمنية ، بالرغم من الابتلاء بها كثيراً ، ومن حقها أن يجعل لها باب مستقل أو ضمني في الفقه والأصول ، حتىٰ تكون واضحة للطالب أو الباحث الذي يمر بها دائماً ، أمثال مسألة الانصراف ، والعلة المنصوصة والمستنبطة ، ومناسبة الحكم والموضوع ، والعرف ، وارتكاز العقلاء وسيرتهم ، وأمثالها .

ومن هنا يجدر إضافة بعض البحوث التي لها تأثيرها في

الاستنباط ، والتي كان يذكر قسماً منها علماؤنا السابقون في كتبهم ودراساتهم، ولكنها هجرت في بعض الكتب الدراسية وغير الدراسية، أمثال بعض بحوث السنة كالفعل والتقرير ، وبعض بحوث الخبر والدليل العقلي ، أو ما يرتبط بالأصول أو الفقه المقارن .

والملاحظ أن بعض الكتب الأصولية الحديثة تعرضت لبعض هذه البحوث والموضوعات ، كما أن بعض الكتب الفقهية تحاول البحث بتوسع عن بعض القواعد الفقهية ، أو بعض المسائل الدخيلة في الفقه ، حينما تواجه هذه القواعد والمسائل خلال بحوثها ، وهي طريقة جيدة ومفيدة .

٤ ـ يجدر في الكتاب أو البحث الفقهي ، سواء الدراسي أو غيره ، البحث عن المسائل التي يبتلىٰ بها المسلم المعاصر ، سواء في الكتب الاستدلالية أو الرسائل العملية ، وترك المسائل المهجورة أو الافتراضية ، وكذلك يلزم ذكر الأمثلة والتطبيقات العملية والمعاصرة في مختلف البحوث ، للمسائل والقواعد الفقهية والأصولية ؛ من أجل التعرف عليها ، ولتعويد الطالب علىٰ التطبيق العملي لما يدرسه ويقرأه .

رابعاً : الأسلوب ، ويعني طريقة التعبير عن الفكرة ، والملاحظ في بعض كتب علمائنا من غير المعاصرين ، بل حتىٰ المعاصرين ، أن العبارة أضيق من الفكرة ، بحيث لا تعبر بوضوح عنها ، ويتردد القارئ أن ما فهمه هو مراد المؤلف أم لا ؟ فتتصف كتاباتهم بالغموض والقصور في التعبير ، مع العلم بأن الكثير منها متوفر علىٰ مميزات الأسلوب العلمي المذكورة في الدراسات الحديثة حول منهج البحث ، حيث أنه يمتاز بالوضوح مع التركيز والدقة في التعبير ، والإيجاز وكتابة الجملة بأقل ما يمكن من الألفاظ ، والارتباط بين الجمل ، والالتزام بالقواعد اللغوية والنحوية السليمة والسهلة .

ويضاف لذلك ما يلاحظ في بعض هذه الكتب من التشابك في الأقوال والأدلة والاعتراضات وأجوبتها ، حيث إن منهج البحث الدراسي يفرض تمييزها ضمن نقاط محددة ، بحيث يعرف القارئ أو الطالب بالتحديد عدد الأدلة والاشكالات وغيرها ؛ لذلك رأينا بعض الأساتذة لهذه الكتب يحاول في درسه صياغتها صياغة جديدة ، وتحديدها ضمن نقاط معينة ، وبذلك يخرجها عن التشابك .

وكذلك يلاحظ عدم التزام بعضها باللغة العربية السليمة لغوياً أو نحوياً ، فيوضع التذكير موضع التأنيث ، أو الإفراد موضع الجمع والتثنية أو بالعكس ، وربما كانت اللغة صحيحة نحوياً ، إلّا إنها ليست بالصورة التي يستسيغها الذوق السليم .

هذه كلها تؤدي إلى أن يبذل الطالب أو الاستاذ أو القارئ جهده ومواهبه في فهم العبارة أو توضيحها ، أكثر مما يبذله في فهم الفكرة أو تقويمها أو تطويرها .

ويمكن أن نذكر بعض الأسباب لهذا الضعف في الأسلوب :

١ ـ الملاحظ أن بعض الكتب العلمية والدراسية كتبها علماء لم تكن العربية لغتهم الأم ، وإنما تعلموها خلال حياتهم الدراسية ونحن نعلم ما لهذا العامل من تأثير في كتاباتهم باللغة العربية السليمة ، في مجال تركيب الجمل ، واختيار المفردات والجمل التي تعبر بوضوح عن الفكرة باللغة العربية .

٢ ـ ملاحظة اختلاف أسلوب الكتابة أو التعبير من عصر لآخر ، فما يفهمه القارئ في عصر من أسلوب ، ربما يشق على القارئ فهمه في عصر آخر ، إلّا مع شرح يضاف لشرح الفكرة ، وخاصة لمن تعود أسلوب عصره ، ومن هنا ربما لم يكتب البعض بأسلوب عصره ، بل بأسلوب عصر آخر لتعوده إياه .

٣ ـ أن بعض العلماء يتعمد التعقيد في العبارة ، أو الإيجاز فيها إلى

درجة الغموض لأي سبب دفعه لذلك ، مع أنه كان من الجدير توضيح الفكرة مهما أمكن في الكتب العلمية والدراسية ؛ ليتجه شرح الأستاذ وجهود الطالب والقارئ للفكرة ذاتها دون اللفظ ، لما لهذا التعقيد من تأثير في ضياع الجهود كما ذكرنا .

٤ ـ وربما كان السبب هو عدم اهتمام بعض العلماء بالعبارة ، لأنهم كتبوا لأنفسهم من أجل الاحتفاظ بآرائهم من الضياع والنسيان ، لا للآخرين ، أو أنهم كتبوا لأمثالهم من العلماء لا للطلاب .

وربما كان السبب في ذلك غير ما ذكرنا ، كعدم امتلاك الكاتب ملكة التعبير والإنشاء والبيان ؛ لأن بعض العلماء يملك القدرة على التدريس دون الكتابة ، وبعضهم عكس ذلك ، وثالث جمع بينهما ، وربما كان سبب الغموض عند البعض هو عدم تبلور الفكرة في الذهن، وخاصة في بدايات نشوئها .

وعلى كل حال ، فإن أمثال هذه الكتب ، وبخاصة الدراسية منها ، يجدر توفرها على خصائص الكتب التعليمية من حيث المنهج والأسلوب والفكرة ، وملاحظة المستويات كما ذكرنا ، ولذلك يجدر التعرف على مميزات الأسلوب العلمي أو الدراسي من قبل الباحثين والكتاب .

خامساً : لاحظ بعض العلماء على علماء الفقه والأصول ، اعتمادهم في البحوث اللغوية والأدبية المرتبطة بعلم الأصول والفقه على نظريات قديمة فيها . وقد ظهرت بحوث ونظريات لغوية وأدبية جديدة من الباحثين المعاصرين ، يمكن الاستفادة منها في البحث الأصولي أو الفقهي ، وكذلك ظهرت آراء فلسفية ومنطقية جديدة ، وأخرى في غير ذلك من العلوم الحديثة ، يمكن من خلالها معالجة بعض المسائل الأصولية كنظرية الاستقراء وحساب الاحتمالات ، فيستفاد من كافة الجهود العلمية التي يمكن أن يكون لها تأثيرها في علم الأصول

والفقه، كما أشرنا لذلك ، وكذلك يلزم ملاحظة الظروف الراهنة التي تواجه الفكر الاسلامي الشيعي وفقهه وأصوله ؛ لذلك يجدر أن ندخل في بحوثنا المقارنة مع فقه أهل السنة وأصولهم ، بل ربما كان لأحاديثهم وآرائهم الفقهية تأثيرها في فهم بعض الروايات عن ائمتنا المعصومين عليهم السلام ، والآراء الفقهية لعلمائنا ، ومن هنا يكون لها تأثيرها في الاستنباط ، كما تبنىٰ هذا الرأي السيد البروجردي ، وكذلك تجدر المقارنة مع القانون الحديث ، أو مراجعتها لتلبية الاحتياجات التي تفرضها المرحلة الراهنة التي نعيشها ، وربما كان لها تأثيرها في فهم بعض الحالات والأحكام العرفية والعقلائية وغيرها .

سادساً : الرجال والدراية : ربما يلاحظ علىٰ بعض الكتب الفقهية عدم اهتمامها وتوسعها الكبير بمسائل علم الرجال والدراية ، وهذا ما يمكن ملاحظته أيضاً علىٰ كتاب المستمسك ، ويمكن أن يلاحظ علىٰ ذلك ، أن الكثير من علمائنا في كتبهم الفقهية والأصولية ، يذكرون في الغالب نتائج تحقيقاتهم وآرائهم في علم الرجال والدراية ، ولا يعني هذا عدم الاهتمام أو الدقة فيها ، بل إن الباحث خلال مراجعته للرواية وسندها يحقق حولها بدقة وتوسع ، ولكن في الدرس أو الكتاب يذكر نتائج تحقيقاته ، ويدل علىٰ ذلك تعبيرهم عن الروايات حسب التقسيم الرباعي للحديث ، وربما خالفوا في التعبير من سبقهم ، ولعل أسباب قلة اهتمامهم بالبحث الرجالي هي :

١ ـ اهتمامهم أكثر بدلالة الرواية وفهمها ، وبالقواعد العقلائية والأصولية والفقهية ، والتحقيق والتعمق حولها ، وأما البحوث الرجالية فلها علمها وكتبها الخاصة ، ككتب الرجال أو قواعد علم الرجال والدراية ، ويسهل للباحث مراجعتها وتفهمها ، ولاسيما للعلماء والطلاب المتقدمين ، حيث لا يتوقف فهمها علىٰ الدراسة ؛ لأنها ليست كالبحوث الأصولية والفقهية الدقيقة التي يصعب فهمها بدون

أستاذ أو دراسة ، مع تعرض بعض العلماء والأساتذة لمسائلها وبخاصة الدقيقة منها خلال بحوثهم الفقهية والأصولية ، ولعله لذلك لم يهتم العلماء كثيراً بمحاولة إدخالها في مناهج الدراسة في الحوزات العلمية . وإن كان من الجدير البحث عن تقييم الرواة وبعض قواعد علم الرجال والدراية خلال البحوث الفقهية والأصولية ، أو وضع كتاب في هذا العلم للدراسة في الحوزة ولاسيما للمبتدئين ، كما قامت بهذا العمل بعض الحوزات .

٢ ـ أن رأي اكثر العلماء هو جبر الرواية الضعيفة سنداً بعمل المشهور بها ، ووهن الرواية القوية سنداً بإعراضهم عنها ؛ لذلك لو وجدت مثل هذه الشهرة في العمل أو الإعراض ، لما بحث عن سند الرواية ، وقد أشار العلماء كثيراً خلال بحوثهم إلى هذا الوجه ، وهو تأثير عمل المشهور أو إعراضه ، بل اعتمدوا عليه في اعتبار الرواية أو عدم اعتبارها ، فإذا رأىٰ الباحث أن العلماء خلال هذا التاريخ الطويل ، وبخاصة القدماء ، قد عملوا ببعض الروايات أو أعرضوا عنها ، فهذا مما يدعو إلى العمل بها أو الإعراض عنها ؛ ولعله لأجل أنه يوجب الوثوق عندهم بصدور الرواية أو بعدمه، مع ذهاب الكثير منهم لحجية الخبر الموثوق به ، ولو كان الخبر ضعيف السند ، لا حجية خبر الثقة ليهتم بالبحث عن وثاقة الرواة خاصة ، بل المهم تحصيل القرائن الموجبة للوثوق بصدور الخبر ، ومنها شهرة العلماء .

ولكن هناك بعض الاعتراضات أو الشروط أو الآراء في موضوع جبر الرواية أو وهنها بالشهرة ، ولاسيما عند المتأخرين ، وكذلك في مدىٰ دلالة أدلة حجية الخبر علىٰ حجية خبر الثقة أو الموثوق به ، يراجع فيها الكتب الموسعة .

ويؤيد هذا الوجه أن الغالب في الروايات التي يستدل بها للمسألة الفقهية ، هي نفسها عند العلماء قديماً وحديثاً ، وإنما الاختلاف بينهم

في فهمها أو دلالتها . نعم ربما كانت هناك روايات غفل عنها بعض العلماء في الاستدلال بها على المسألة ، وهذا مما ينبه له العلماء ، ويبحثون عن مدى اعتبار تلك الروايات أو دلالتها ، كما قيل في روايات الاستصحاب ، من أن والد الشيخ البهائي تنبه لها ، كما أن الغالب وجود روايات معتبرة تتضمن نفس المدلول الذي تتضمنه الروايات غير المعتبرة .

٣ ـ الغالب في الروايات وضوحها من حيث الاعتبار أو عدم الاعتبار سنداً ، ويكفي كل باحث إلقاء نظرة على رواتها ، بعد قراءة الأصول الرجالية ؛ ليكتشف ذلك ، ولا حاجة معها للبحث عن الرواة تشخيصاً وتقييماً بتوسع ، مع محاولة اختصارهم وتركيزهم في كتاباتهم ، واستخدامهم الأسلوب العلمي الدقيق ، والمطالب العلمية العميقة .

نعم إذا كان في الرواية أو السند ما يستوجب البحث عنه دراية أو رجالياً ، كاختلاف نسخ الرواية ، أو اختلاف الآراء في تشخيص الراوي أو تقييمه ، فإن العلماء غالباً ما يبحثون بتوسع في تشخيص النسخة الصحيحة أو تشخيص الراوي أو تقييمه خلال بحوثهم الفقهية ، ويذكرون رأيهم في هذا المجال ، كما يلاحظ ذلك حول ابن بزيع ، وأبي بصير ، وإبراهيم بن هشام ، وسهل بن زياد ، وغيرهم .

وهناك بعض الملاحظات المنهجية في الكتب الدراسية وغيرها ، ذكرتها مع شواهدها في دراستي عن الشيخ الأنصاري مقارنة بمعطيات المنهج الحديث ، والأسلوبين الخاص والعام .

ولعل من الملاحظات ما ربما يقال عن التصرف في نقل الأقوال حذفاً أو إضافة ، حيث لا تنقل أقوال العلماء بصورة كاملة ، أو إنه لا يُنقل النص بنفسه ، وإنما ينقل الفهم له ، ويعترض على هذا الفهم ، أو إنه لا ينقل النص عن مصدره وكتاب صاحب القول ، وإنما ينقل من

كتب أخرىٰ ، ولكن يلاحظ علىٰ هذه الملاحظة أنهم يتصرفون في النقل بالحذف أو الإضافة بما لا يخل بالمعنىٰ ، حيث إن الغالب علىٰ علمائنا التثبت والأمانة في النقل ، وشدة احتياطهم وورعهم في ذلك ، ويدل عليه محاولاتهم لتفسير أقوال العلماء تفسيراً مقبولاً عميقاً كما ذكرناه ، وإذا نقلوا القول عن غير مصدره فإنهم يعبرون بالمحكي ، ولا ينسبونه لقائله ، ولا ننكر وجود استثناءات وإشكالات في النقل ذكرتها في تلك الدراسة .

والملاحظ عند بعض علماء هذه المدرسة ، عدم الكتابة والتأليف أو قلتهما ، أو عدم النشر أو قلته ، ولهم مبرراتهم الشرعية في ذلك ، بالرغم من أن الكثير منهم كان بحراً زاخراً بالعلم والتحقيق ، ولكنه اكتفىٰ بالتدريس أو غيره ، ولولا حركة التقريرات لم يبق من علمهم وتحقيقاتهم إلّا بعض الأخبار المتناثرة هنا وهناك .

قال الإمام علي (ع) :

تعلّموا العلم فإنّ تعلّمه حسنة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وهو أنيس في الوحشة وصاحب في الوحدة وسلاح على الأعداء وزين الأخلاء يرفع الله به أقواماً يجعلهم في الخير أئمة يقتدى بهم ترمق أعمالهم وتقتبس آثارهم .

البحار ١ : ١٦٦

استطلاع

أتباع أهل البيت عليهم السلام في الباكستان

(٢)

أسباب محنتهم ومستقبلهم المشرق

سماحة السيد
افتخار حسين النقوي
(باكستان)

تحليل لحقيقة الصراع الذي يقوده حرس الصحابة وكيف تدخلت يد الغيب في الكشف عن بعض الادلة في هذا الخصوص :

عرفت ساحة شبه القارة الهندية منذ القدم الخلافات الطائفية حتى شكلت فيها حركة (البراءة من الصحابة) الشيعية ، وفي قبالها حركة (البراءة من اهل البيت) ـ والعياذ بالله ـ وكان ذلك في حدود سنة ١٩٣٦ م .

وقد عمل المستعمر الانجليزي عن تأجيج مثل هذه الصراعات وادامتها .

وبعد قيام دولة الباكستان ثم انتصار الثورة الاسلامية المباركة على يد عالم اسلامي شيعي في ايران ، جاء الاستعمار بهذه الامور والاضطرابات الطائفية إلى الباكستان خوفاً من قيام دولة اسلامية اخرى في الباكستان ؛ لمعرفتهم أن الساحة في الباكستان ساحة

اسلامية بل ساحة محبة لاهل البيت عليهم السلام ، ويمكن أن تتفاهم وتتعايش مع اتباع اهل البيت عليهم السلام من المسلمين الشيعة .

وقد قام علماء المسلمين الشيعة وبعون من الله تعالىٰ بعملهم في جميع المجالات العلمية والسياسية والقانونية لتفادي الفتنة الطائفية التي لا يستفيد منها إلّا المستعمر الاجنبي .

وفي هذا الصدد شكّل علماء المسلمين بما فيهم علماء الشيعة جمعية الوحدة القومية ، وهي جمعية تضم حوالي خمسة عشر حزباً ، ومن بينها الجماعة الاسلامية للمودودي وجمعية باكستان للبريلية بجناحيها جناح نوراني وجناح نيازي وجمعية علماء الاسلام الديوبندية بجناحيها جناح سميع الحق وجناح فضل الرحمن ، واربع احزاب لاهل الحديث وثلاثة احزاب للمسلمين الشيعة هي الحركة الجعفرية وحرس محمد صلى الله عليه وآله وحزب الله لمرتضى بويا وحزب العلماء التابع للحركة الاسلامية وحرس الصحابة والسواد الاعظم لاسفند يار خان ومنهاج القرآن لطاهر القادري وغير ذلك .

وقد نجحوا من خلال هذه الجمعية التي لم يشكل مثلها منذ حوالي ٢٠٠ عام ، ثم من خلال الاتفاق على قيادة موحدة وعلى قرارات مشتركة ، في لمّ وحدة الصف حتى صلىٰ المسلم الشيعي خلف اهل الحديث واهل الحديث خلف الديوبندية وهما خلف البريلية وكلهم وراء السيد ساجد علي النقوي وهكذا ، وما كانوا من قبل يجوّزون صلاة احدهم وراء الآخر .

وقد خرج اول من خرج من هذه الجماعة حرس الصحابة ، ثم تبعه جناح فضل الرحمن ثم حرس محمد صلى الله عليه وآله ، وقد كان هذا باشارة وايحاء من دولة بينظير بوتو ، ورغم أن الحكومة في بداية الامر ايدت حركة التوحّد هذه خافت بعد ذلك على نفسها من تجمع هذه الاحزاب الثلاثة الحليفة لها مع أنها بقيت على الظاهر تؤيد الوحدة ، كما انشأت

من بعض العملاء لها حركة أخرى باسم جمعية الوحدة الاسلامية بدلاً من الوحدة القومية لتظهر للشعب أن الحكومة تريد وحدة صف المسلمين ، إلاّ إن الواقع أنه كانت وراء هذه المؤامرة يد اميركية خبيثة لأن الوحدة كانت ضربة قوية لها .

والذي نرغب ذكره هنا أنه قبل تشكيل حرس الصحابة كان عندهم السواد الاعظم الذي كان يرأسه سليم خان ، حيث اجرت معه اذاعة بي بي سي ـ BBC مقابلة صحفية في عام ١٩٨٢ م ، اعلن فيها أن المسلمين الشيعة كفرة ، ولكنه عندما حضر جلسات جمعية الوحدة القومية التقىٰ ـ وهو في غاية الارتباك ـ بالسيد ساجد علي النقوي ، فطلب منه أن يبادر لحفظ وحدة جسد الامة الاسلامية متراجعاً عن موقفه السابق فكان أن تراجع ، وهكذا كان سميع الحق الذي يظهر العداء للمسلمين الشيعة ، فقد دعاه سماحة السيد ساجد علي النقوي فاعترف بأن العمل على وحدة الامة ضروري وأن حرس الصحابة مشتبهون .

ولكن الذي حدث هو أن اول الخارجين من الجمعية الوحدوية كان هو حرس الصحابة كما ذكرنا .

لقد ثبت بما تم القيام به من اعمال وخصوصا في الجمعية الوحدوية القومية ، أن المسلمين الشيعة يعملون من اجل الوحدة الاسلامية ويحترمون الجميع ويحافظون على المصالح العامة . وقد تم التوضيح لمن اعترض على ذلك من الأخوة الآخرين لاجل هذه الجهة او تلك ، أن مصلحة الاسلام العليا اقتضت ذلك ، اذ وقّع العلماء المسلمون الشيعة من جملة ما وقّعوا عليه أن احترام وتعظيم اهل البيت عليهم السلام والمهدي والصحابة الكرام والخلفاء الراشدين وازواج النبي صلى الله عليه وآله من الايمان ، وأن من يكفر بهم يخرج من الاسلام ، والاهانة والانتقاص لهم مذموم . ورغم أن هذا التوضيح كان سبباً لغضب

عوام المسلمين الشيعة رأينا المصلحة الإسلامية فيه ، وقد كنا على يقين من أن حرس الصحابة وحلفاءهم سيخالفون .

وهكذا تبين للجميع صحة موقف العلماء المسلمين الشيعة ، في حين استمرّ حرس الصحابة في قتالهم للمسلمين الشيعة ، فأُحرجوا امام الجميع وقيل لهم : لقد وقّع رؤساء المسلمين الشيعة على ماتريدون فلماذا تقاتلونهم ؟ إن ما تتوقعونه من أن يصبح المسلمون الشيعة من ابناء العامة امر محال ، كما أن العكس صحيح تماماً . وقد اعترضوا بأن المسلمين الشيعة يعملون بالتقية وأن توقيعهم هذا تقية ، وقد كان هذا امراً مضحكاً للعلماء الذين حضروا الاجتماع .

كما أن حرس الصحابة أُحرجوا ايضاً امام اتباعهم ، إذ قالوا لهم : كيف تكفّرون المسلمين الشيعة ثم يصلي علماؤكم الكبار من الديوبندية والبريلية واهل الحديث خلف رئيسهم السيد ساجد علي النقوي ؟ وعلى اثر ذلك ترك الكثير منهم حرس الصحابة .

في احدىٰ الجلسات لجمعية الوحدة القومية اعتراض على رئيس حرس الصحابة بشأن مخالفة عالمهم الكبير ضياء القاسمي لقرارات الجمعية فقال : «إننا في الماضي قلنا لشبابنا إن المسلمين الشيعة كذا وكذا وبعد هذه القرارات واجهنا هجمات شديدة من شبابنا ، حتىٰ قالوا بأننا اخذنا من المسلمين الشيعة الأموال الطائلة ، ولذا كان علىٰ ضياء القاسمي للحفاظ علىٰ مكانتنا بين الشباب أن يذكر بعض هذه المطالب التي نشرت في الجريدة الخاصة لنا تحت عنوان الخلافة الراشدة ، التي كانت مخالفة لقرارات جمعية الوحدة القومية ، وفي نفس الوقت اعترف واعتذر وقال نحن نسعىٰ لتهدئة الوضع وإقناع اتباعنا» .

بعد كلامه هذا علق عليه امير الجماعة الاسلامية قاضي حسين احمد قائلاً : «نشكر اللّٰه تعالىٰ أن رئيس حرس الصحابة اعترف

واعتذر واعتبر هذا نجاحاً كبيراً لنا» . كان هذا في عام ١٩٩٥ م .

وعلىٰ كل حال لم يترك اعداء الاسلام في الباكستان هذه الجمعية وشأنها . وقد حرص العلماء المسلمين علىٰ الالتزام بجميع المقررات الرسمية والعلمائية ولكن حرس الصحابة ، لم يلتزموا بأي منها ، وكانوا يخالفونها بعد برهة قصيرة من التوقيع عليها .

اميركا وجمعية الوحدة القومية

نظرت اميركا لقيام جمعية الوحدة نظرة ريبة وخوف منذ اول الامر ؛ وذلك لأن هذه الجمعية قامت في بلد مجاور للجمهورية الاسلامية الايرانية ومن خلالها يمكن أن يستتب الامن في الباكستان ، وهي لا تريد للجمهورية الاسلامية الايرانية أن تتمتع بجوارات هادئة وآمنة ، بل تريد أن تحفها بكل ما يمكن أن يكون مصدر قلق وعدم اطمئنان لها . وعلىٰ هذا الاساس اججت نار الحرب في افغانستان وجعلت الوضع الامني غير مستقر في الخليج الفارسي والعراق المظلوم ، وعملت علىٰ عدم استقرار الباكستان ايضاً . هذا من جهة ومن جهة اخرىٰ ورد في البند الاول من بنود الاتفاق لهذه الجمعية أن كل قتال بين المسلمين سببه اميركا ولا يصب إلّا في مصالح اميركا ، ثم جاء في شق ثان لهذا البند أن الجمعية لا تعطي أي فرصة للدولة للاعتراف باسرائيل بعد أن لمست بعض الاشارات التي تدل على أن اميركا تسعىٰ لأن تعترف الباكستان باسرائيل . وبناء على هذا حاولت اميركا أن تشق وحدة صف هذه الجمعية وتعرقل نشاطاتها فاتصلت بحرس الصحابة ، ولكننا ـ كما قلنا سابقاً ـ لم يتم لنا الحصول على الدليل القاطع على هذا إلّا بعد أن تدخلت يد الغيب في ذلك ، كما سنبين هذا .

وعلى كل حال بدأ القتال متزامناً مع خروج حرس الصحابة من جمعية الوحدة القومية ، حيث قتل المسلمين الابرياء بطريقة جماعية

هنا وهناك وبصورة متدرجة ومنظمة ووفق برنامج مدروس ، وقد ذكرنا جانباً من هذه الاعمال فيما سبق ، الامر الذي اثار عندنا الشكوك القوية حول وجود يد اجنبية متمرسة في هذا الامر تدير هذه الاعمال من خلال عملائها في الداخل .

ويؤسف أن كان موقف الدولة من هذه الاحكام ضعيفاً جداً في زمن دولة بينظير بوتو عام ١٩٩٤ـ١٩٩٥ م ، حتى إن اثنين من حرس الصحابة تولّيا الوزارة في ولاية البنجاب إبان حكومة بوتو التي كان حرس الصحابة يشتمها ، أي بوتو ، لأنها مسلمة .

واريد أن اشير هنا إلى أن المسلمين الشيعة خسروا الكثير بدعمهم لحزب الشعب برئاسة ذو الفقار علي بوتو ثم ابنته بينظير بوتو ؛ ولذا اعلن السيد ساجد علي النقوي رئيس حركة الفقه الجعفري أننا سوف لن نعطي الرأي بعد الآن لحزب الشعب ، بل سوف نؤيد حزب الجماعة المسلمة ، وهكذا ترك معظم المسلمين الشيعة حزب الشعب بناءً على حكم السيد ساجد علي النقوي وايدوا حزب الجماعة المسلمة ، الحزب الحاكم الفعلي الآن .

استمرت الاحوال على ما هي عليه حتى مجيء الحكومة الفعلية ، وكان هاجس وجود يد اجنبية وراء احداث العنف والاضطرابات لايغادر تفكير المخلصين في الباكستان ، ثم حدث أن تعرض المركز الثقافي الاسلامي الايراني في مُلتان إلى عملية عدوانية ، راح ضحيتها مسؤول المركز الأخ رحيمي شهيداً ومعه بعض الأخوة المسلمين الايرانيين ، مع ستة من المسلمين الباكستانيين خمسة منهم من المسلمين السنة .

وحينها تولى الأخ اشرف مارت رئيس الشرطة في محافظة مُلتان آنذاك مسؤولية التحقيق في هذه القضية ، وكان هذا الأخ موصوفاً بالشجاعة والقوة ومعروفاً بحبه للاسلام والوطن .

وقد عثر هذا الرئيس اثناء التحقيق على وكر اختفاء القتلة الذين فروا تاركين وراءهم كل الوثائق التي لم يستطيعوا حملها معهم ، وكان من بينها جوازات للسفر وبطاقات خضراء اميركية وغير ذلك .

وقد اعلن بعد ذلك في الجرائد الباكستانية الرسمية أنه تم العثور على خمسة وثمانين جوازاً باكستانياً مختوماً بتأشيرة المرور الأميركية ، إذ هُيئت هذه الجوازات للمجرمين بحيث يهربون بها إلى افريقيا الجنوبية أو اميركا أو أي بلد آخر بمجرد قيامهم باعمال القتل والاغتيال والعدوان .

وكذلك تم الاعلان عن وجود اربع عشرة بطاقة خضراء اميركية معدة لعدد من الذين يراد لهم أن يلجأوا إلى اميركا .

كما تم العثور على ثلاثة بطاقات تجارية صالحة لاخذ المال من ثلاثة بنوك اميركية مهمة ومعروفة ، وكانت هذه البطاقات مفتوحة بحيث يستطيع حاملها سحب أي مبلغ كان .

كما تم العثور على دفتر حاو على اسماء وارقام لهواتف خاصة بالسفارة الاميركية ، مع رسم الوسيط الخاص بين حرس الصحابة والسفارة ووسائل الاثباتات الاخرى وإلى الآن هناك بعض الوثائق لم تنشر بعد .

وحينما تيقن الشعب كله أن اميركا وراء هذه الاعمال الاجرامية كلها ، ازدادت ثقة الشعب بنا وحمايتهم لعلماء المسلمين ، وتبين للجميع مدى مظلومية المسلمين الشيعة بل مظلومية الشعب المسلم في الباكستان ومدى خيانة الحكومات أو ضعفهم .

لم يترك المجرمون الحادث يمر بل اتصلوا برئيس الشرطة اشرف مارت وهددوه بالقتل إن نشر أي معلومات عن الحادث ، ولكنه رفض التهديد ونشر ما يريد من المعلومات والمستندات ، ثم انتقل إلى كجرانوالا لانه من بيت عريق هناك ويحتل اقاربه مناصب مهمة في

الدولة ، كما كان هو زوجاً لاخت وزير الداخلية آنذاك .

ولكن كل هذه التدابير لم تنفع واستطاع المجرمون اغتياله في كجرانوالا في الشهر السادس من عام ١٩٩٧ م ، وبعد قتله ذهب مجموعة من علماء ورؤساء المسلمين الشيعة إلى وزير الداخلية لتعزيته بالمصاب وسألوه عن القاتل ، فأجاب : «لماذا تسألون عن القاتل ، اما قرأتم الجرائد ؟ ـ وكان يشير بذلك إلى أن القاتل هو اميركا ـ فكيف استطيع اخذ القاتل وكيف أعاقبه ؟» ، وأكد هذا الامر مدى الضعف والعجز الذي تعيشه الحكومة تجاه مثل هذه الحوادث المؤسفة .

اعتقلت الحكومة بعد هذا الحادث المدعو اعظم طارق مسؤول الجناح العسكري في حرس الصحابة ، ويسمى بالجنرال مع أنه ليس إلّا مجرماً قاتلاً ، إذ كان ليلة الحادث في كجرانوالا وإلى الآن هو في السجن . كما اعتقلت اعداداً كبيرة من حرس الصحابة حيث استجوبتهم وحصلت منهم على اعترافات مهمة موثقة بالمستندات والادلة .

إلّا إن حرس الصحابة اعلنوا براءتهم من هذه الاعمال واتهموا بها حركة اخرى منشقة عنهم اسمها لشكر جهنكوي وقالوا : إن هذه الحركة هي حركة مشابهة لحركة جيش محمدﷺ التي انشقت عن الحركة الجعفرية .

وهذه الحركة الجديدة اعلن عن تشكيلها بعض الشباب المتحمسون الذين يدعون أن حرس الصحابة انحرفت عن اهدافها ، وأن مهمة الانتقام من المسلمين الشيعة وقتلهم سوف يقومون هم بها بدلاً من حرس الصحابة .

غير أن احد مسؤولي لشكر جهنكوي اعترف في المحكمة العليا بأن أتباع لشكر جهنكوي هم الكتلة الضاغطة لحرس الصحابة ، وأنهم

منهم وليسوا منشقين عنهم ويعملون بتوجيهاتهم وتحت اشرافهم .

ولم يدّع مسؤولو جيش محمدﷺ التبعية للحركة الجعفرية ، بل قالوا إنهم تكتل مستقل آخر فيه المسلم الشيعي والسني . وحقيقة الامر هكذا ، فقد جاؤوا إلى المحكمة العليا ومعهم علماء من السنة ، كما ادعوا بأنهم شكلوا تكتلهم هذا قبل حرس الصحابة ، وأن هدفهم المعلن هو الوقوف بوجه اميركا والانتقام منها . ومن الجدير بالذكر أن أكثر اعضاء قيادة حرس محمدﷺ في السجن ايضاً .

ومن المهم الاشارة إلى أن حرس الصحابة سعوا بشدة للجلوس وحدهم مع علماء المسلمين الشيعة والحركة الجعفرية ، إلّا انهم رفضوا ذلك دائماً وقالوا : نحن نجلس ونجتمع مع علماء الاسلام من جميع الفرق الموجودة في الباكستان بما فيهم حرس الصحابة ، وهكذا اضطروا أن يجتمعوا ويتباحثوا معنا بحضور سائر علماء اهل السنة . بهذا العمل نفينا ادعاءهم بأنهم ممثلو جميع اهل السنة ، حتى قلنا لهم إنكم لا تمثلون الديوبندية فضلاً عن اهل الحديث والبريلية والجماعة الاسلامية وإنكم عملتم كل اعمالكم بتوجيه من الاجانب المتخصصين في امور التفرقة بين المسلمين .

وهكذا أُفشلت جميع مؤامراتهم بتأييد من اللّه سبحانه وتعالى وبرعاية امامنا ولي العصر المهدي (عج) .

الاتفاقات التي اتخذت بشأن منع الكتب المثيرة للمشاكل

رغم كل ماحدث ورغم كثرة الادلة التي اقيمت على أن سبب الصراعات والقتال هو تشكيل حرس الصحابة ، أصر حرس الصحابة على أن سبب هذه الصراعات هو نشر الكتب المثيرة التي تحتوي على شتم واهانة الصحابة وزوجات النبيﷺ .

وطلب حرس الصحابة التفاوض مع الحركة الجعفرية لحل هذه المسألة ؛ إلّا إن الحركة رفضت ذلك وقالت : إن هذه المسألة مسألة

تهمّ كل المسلمين في الباكستان ، ولابد من حضور كل الفرق الديوبندية والبريلية واهل الحديث والمسلمين الشيعة ممثلة بالعلماء ؛ باعتبارهم علماء للطوائف المتفاوضة لا بصفتهم اعضاءً في التكتلات والاحزاب السياسة . وهذا ما حصل فعلاً .

وفعلاً تم الاتفاق على ذلك في الشهر الخامس من عام ١٩٩٧ م ، إذ شكلت لجنة لاربع فرق مؤلفة من اثني عشر عالماً ، ثلاثة علماء لكل فرقة ، وانضم لهذه اللجنة وزير امور الدين ومسؤول الامن العام ومسؤول المخابرات السرية في ولاية البنجاب .

وقد كانت اولىٰ المقررات هي :

١ ـ أن يكون اتخاذ القرارات بالاجماع لا بكثرة الاصوات .

٢ ـ أن تحدد السنة التي يبدأ فيها فحص الكتب ، بحيث يشمل كل كتاب طبع خلالها وما بعدها فيخضع للمراقبة والفحص ، وكل كتاب طبع قبلها لا يشمله هذا الامر ، وقد اتخذ هذا القرار لكي يكون عمل اللجنة اكثر عملياً من ناحية ومحدوداً بالباكستان التي للجنة حق التصرف فيها من ناحية اخرى ، إذ ليس من حق اللجنة المحدودة بالباكستان فقط ، أن تجري البحث علىٰ الكتب العائدة لكل المسلمين منذ مئات السنين مثلاً ، كصحيحي البخاري ومسلم واصول الكافي والبحار وما إلى ذلك ؛ إذ لو أُريد تنفيذ مثل هذا العمل الكبير فلابد أن يقوم به من لهم صلاحية ذلك من علماء العالم الاسلامي من مختلف البلاد الاسلامية .

وفعلاً حددنا سنة الطبع من تأريخ تشكيل الحركة الجعفرية عام ١٩٧٩م ، لا من تاريخ تشكيل حرس الصحابة عام ١٩٨٥م ، مع أن العلماء المسلمين الشيعة قالوا لهم إن كل كتاب نشر للمسلمين الشيعة إنما كان في الحقيقة جواباً للمطالب التي نشرت من قبل الآخرين ، وذلك دفاعاً عن مذهبهم بمبادرات فردية في الغالب ، وإن المجرم

الحقيقي هو الذي شرع وبدأ بالهجوم واثارة التهم والشبهات ، مع العلم أن الكتب الشيعية هي أقل بكثير مما نشره غيرهم .

وقد جاء علماء المسلمين الشيعة بفهرس يحتوي على ١٥٠ كتاباً اسلامياً سنياً ، وجاؤوا هم بفهرس لثلاثين كتاباً من كتب المسلمين الشيعة التي طبعت أجوبة لعدة كتب سنية طبعت بعد ١٩٧٩م ، وتم الاتفاق أن تخضع كل هذه الكتب للرقابة والفحص ثم تجاز أو تمنع بعد ذلك .

٣ ـ تحديد ضابطة اخلاقية يلتزم بها كل علماء المسلمين الباكستانيين ؛ باعتبارهم الشريحة الاهم التي لها دور متميز في تشكيل وحفظ دولة الباكستان وفي نجاح أي عمل للوحدة بين الفرق الاسلامية .

وهذه الضابطة الاخلاقية تضمنت سبعة بنود هي :

أ ـ اتفاق علماء الاسلام على عدم جواز ايذاء أي مسلم ، كما يتفقون على وجوب احترام الخلفاء الراشدين والصحابة الكرام واهل البيت الاطهار عليهم السلام ، وعلى اجتناب أي قول أو عمل مباشرة او بالواسطة يكون سبباً لاهانتهم أو الانتقاص لهم .

وقد اعترض البعض على لفظة (احترام) وطلب تبديلها بلفظة (حب)، ولكننا اجبنا بأننا نحترم الخلفاء الراشدين باعتبارهم خلفاء للمسلمين ، وإلّا فإننا نعتقد أن الخلفاء الحق هم اثنا عشر خليفة يبدأون بعلي بن ابي طالب عليه السلام ويختمون بالمهدي عليه السلام ، وأن الحب مختص باهل بيت النبي صلى الله عليه وآله .

واخيراً تم الاتفاق على الصياغة الاولى بلفظة (الاحترام) .

ب ـ الاتفاق على مبدأ (مسلككم لا تتركوا ومسلك الآخرين لاتبحثوا عنه بحثاً من اجل الجدال) .

جـ ـ أن الخلاف العقائدي امر موجود في جميع الفرق بلا استثناء ،

وعلى علماء الدين أن يراعوا في مواعظهم الروية والاعتدال لتجنب قيام الخلافات والنزاعات الطائفية العمياء .

د ـ أن الاسلام الحنيف دعا إلى الموعظة والحكمة الطيبة الحسنة حتى في الحوار مع غير المسلمين ، فعلىٰ علماء الاسلام من باب اولىٰ رعاية هذا الامر فيما بينهم ، كما أن عليهم أن يربّوا الأمة على الوحدة ويبتعدوا عن الكلمة أو الفتوىٰ المثيرة لفرقة الأمة الاسلامية الواحدة .

هـ ـ أن لكل فرقة الحق في احياء الشعائر الدينية الخاصة بها ضمن دائرة القانون ، كإحياء مناسبات ومواليد النبي والائمة عليهم السلام وولادة الخلفاء الراشدين على طريقتهم وامثال ذلك . وقد كان احد مطاليب حرس الصحابة ألا يخرج المسلمون الشيعة في ايام مصيبة الامام الحسين عليه السلام من الحسينيات إلى الشوارع ، لكنهم اضطروا بعد ذلك إلى التوقيع على أن للمسلمين الشيعة الحق في احياء مراسيمهم على طريقتهم ، كما أن للبريلية حق اخراج المسيرات بمناسبة ميلاد النبي صلى الله عليه وآله لأن الديوبندية واهل الحديث لا يجوزونه .

و ـ وجوب التعاون من قبل العلماء وغير العلماء مع الدوائر الامنية المختصة فيما يخص هذه الامور .

ز ـ أن تكون هناك اتصالات ومشاورات مع مسؤولي حفظ الأمن الداخلي ورؤسائهم في البلدان والمحافظات والالوية والاقضية ، وأن يحترز ويجتنب كل عمل يؤدي إلى الاخلال بالامن .

٤ ـ اتفاق علماء الفرق الاسلامية كافة وتوقيعهم على ضابطة تحتوي على ستة بنود تكون المرجع في منع الكتاب الخاضع للرقابة او اجازته ، فكل كتاب يخلّ بمقررات هذه البنود (الاصول) يمنع . وهذه البنود هي :

أ ـ يمثل التوحيد اصل الاصول للعقائد الاسلامية ، وهو العقيدة الاهم في قبال عالم الكفر والطاغوت وهو منبع الايمان والقوة لنا .

والشرك في ذات اللّه وصفاته ظلم عظيم .

ب ـ الايـمان بـرسالة خـاتم النـبيين مـحمدﷺ وحـبه وطـاعته والحفاظ على حرمته وحـرمة الرسـالة الخـاتمة واجب ديـني . وهـذا الايمان سبب لبقائنا الاجتماعي واساس لاستحكامنا الوطني والقومي.

وكل اهانة بالواسـطة أو بـدونها للـرسالة الخـاتمة أو للـنبيﷺ ، صراحة أو كناية غير جائزة شرعاً ، ومرتكبها كافر مرتد يجب قتله .

جـ ـ أن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة للرسولﷺ وأنه كتاب سماوي نازل للبشر إلى يوم القيامة ، وهو اساس قيام الامة والدين ، وأن هذا الكتاب الكريم من سورة الفاتحة إلى سورة الناس لم تمسه يد التحريف لا بالزيادة ولا بالنقصان كما قال تعالى : ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ وكل مخالفة لهذه الامور تكون سبباً للخروج من الاسلام .

د ـ احـترام جميع صـحابة الرسـولﷺ وبـالخصوص الخـلفاء الراشدين وامهات المؤمنين ، وتعظيمهم وتكريمهم واجب على الامـة المسلمة . وكل عمل او قول يؤدي إلى اهانتهم والتنقيص من شأنـهم غير جائز شرعاً .

هـ – مودة اهـل البـيت الكـرام والأئمة الاطـهار اسـاس الايـمان ، وحبهم جزء لاينفك عن حب الرسولﷺ ، واحـترامـهم بأنـهم ذوات مقدسة واجب ، وكل من يـبغض ويـعاند اهـل البـيتعليهم السلام خـارج عـن الاسلام ومحروم من الايمان ، وكل قول او فعل مباشرة او بالواسطة يكون سبباً للنيل منهم واهانتهم ضلال صريح .

و ـ وجوب احـترام كـل المـحدثين المـجتهدين والائـمة والاوليـاء الصالحين الذين وصل الاسلام بواسطة سعيهم إلينا، واهانتهم غـير جائزة .

وبـعد أن قـررت بـنود هـاتين الضـابطتين وقـع عـلى الضـابطة

الاخلاقية اكثر من ١٦٠ عالماً من الفرق الاسلامية وكبار الشخصيات من جميع بلدان ولاية البنجاب قبيل محرم عام ١٤١٨ هـ، كما وقع على ضابطة منع الكتب ١٢ عالماً ممن قبلوا مسؤولية ذلك.

وقد وقع عليها من اهل الحديث العالم الكبير يوسف انور من فيصل آباد وعبد الرشيد من لاهور وحافظ صلاح الدين يوسف.

ومن علماء البريلوية احمد علي من لاهور، وعبد التواب صديقي والدكتور سرفراز النعيمي.

ومن علماء الديوبندية علي شير حيدري، واحمد لدهيانوي، وعبد الرؤوف ملك.

ومن علماء الشيعة كرامت علي عمراني، والسيد افتخار حسين النقوي، وحافظ كاظم رضا النقوي.

وقد عقدت لجنة الكتب لحد الآن حوالي ستة اجتماعات، حيث جئنا نحن بفهرس يحتوي على (١٥٠) كتاباً اسلامياً سنياً وجاؤوا هم بفهرس لثلاثين كتاباً اسلامياً شيعياً، على أن تخضع هذه الكتب للفحص والرقابة ثم تجاز أو تمنع كما اشرنا لذلك سابقاً.

وقد منع لحد الآن فعلاً عشرون كتاباً من كتب المسلمين الشيعة واثنان واربعون كتاباً من كتبهم.

وقد اقترح حرس الصحابة ايقاف هذه العملية في الجلسة الاخيرة والانتقال إلى طرق اخرى لحلها، وقالوا: إنه بمجرد منع هذه الكتب لا يتوقف القتال، وكانوا يأملون بذلك تضليل الشعب والعوام وإيهامهم أنهم يريدون الأمن والخير لهم، إلّا إن اللجنة اصرت على إنهاء هذه العملية، وقالت لهم: إنكم دائماً ترددون أن السبب الرئيس لكل المشاكل هو الكتب الحاوية على المسائل المثيرة للخلاف.

والشيء الغريب أن اللجنة جاءت لهم ببعض الكتب التي تمجد يزيد ابن معاوية وتسب وتشتم ـ والعياذ بالله ـ اهل البيت عليهم السلام والامام علي

ابن ابي طالب عليه السلام ، فاستغربوا من ذلك وتعجبوا اشد العجب واعلنوا براءتهم منها ، مما اوحىٰ إلينا بأن هناك جهة اخرى خفية تقوم بطبع مثل هذه الكتب دون علم الآخرين .

ولابد هنا من الاشارة إلى أنه حتى تاريخ تشكيل هذه اللجنة كانت قرارات المنع تصدر بحق الكتب الاسلامية الشيعية فقط ؛ لأن غيرهم كانوا يراجعون مراكز القرار في الدولة في السابق ويبينوا لهم أن الكتاب الفلاني فيه شتم وسب للصحابة ولزوجات النبي صلى الله عليه وآله مثلاً فيمنع . أما الآن فيمنع الكتاب الاسلامي الحاوي على مثل هذه الامور سنياً كان أو شيعياً .

الخاتمة

لقد نجح علماء المسلمين الشيعة في لملمة صفوف المسلمين من الشيعة وغيرهم والوقوف بوجه الهجمات التي قادها اعداؤنا واعداء الاسلام ضدنا من الداخل والخارج .

ويعيش الملايين الثلاثون من المسلمين الشيعة وضعا جيدا يتطور بالتدريج رغم المشاكل الاقتصادية والامنية التي يعانون منها بل اعتبروا هذه المشاكل اموراً ممحصة لهم تشتد كلما قرب عصر ظهور الامام المنتظر (عج) . ولا يمكن لحرس الصحابة بآلافه المعدودة ولا لغيره أن يهدد وجودهم وكيانهم او يرعبهم ، بل ان عدوهم هو الذي يخشى على وجوده وكيانه لكونه على الباطل .

والذي يتبادر لذهن المسلمين الشيعة في انحاء العالم ان المسلمين الشيعة في الباكستان يعيشون ازمة على مستوى وجودهم وأنهم على درجة من الضعف يخضعون من خلالها لكل الضغوطات امر مبالغ فيه غير صحيح .

كما انهم والحمد لله استطاعوا ان يثبتوا للأمة ان المسلمين الشيعة دعاة للوحدة الاسلامية ومستعدون على طول الخط ان يتنازلوا عن

مصالحهم الذاتية لصالح عزة الأمة ووحدتها بشرط ان لا تتعرض اصول عقائدهم ووجودهم ككيان مستقل للخطر وهذا درس اخذوه من الائمة المعصومين عليهم السلام ومن الامام الخميني قدس سره ومن القائد السيد علي الخامنئي حفظه الله تعالىٰ .

وان اعداء المسلمين من حرس الصحابة أو غيرهم هم دعاة التفرقة الطائفية ومثيروا الفتن ومهددوا سلامة وامن الدولة والأمة للخطر .

ولابد هنا أن نشير إلىٰ ملاحظة مهمة وهي : اننا حينما نقول حرس الصحابة لا نعني (الحركة الوهابية) فان الوهابية موجودة عندنا وتتمثل باهل الحديث ولها لجنة جهادية ايضاً ، ولكنها غير مشغولة بحربنا وقتالنا ـ وان اختلفنا معهم واختلفوا معنا في العقائد والافكار ـ بل طلبوا من العديد من العلماء والزعماء المسلمين الشيعة حضور مؤتمرهم الجهادي العالمي الاخير والتحدث إلى مجاهديهم .

وما يُنشر بعض الاحيان في الصحف من اشارات توهم بحدوث صراع بين المسلمين الشيعة وبينهم لا اصل له .

والشيء المهم الاخير الذي لابد من الاشارة إليه هو نجاح علماء المسلمين الشيعة وغيرهم في تعبئة الأمة ضد اميركا ، فبعد أن كانوا وحدهم يرددون شعار (الموت لاميركا) ردده معهم في يوم القدس العالمي الاخير الاخوة في جبهة الوحدة القومية ، ففي لاهور خرجت التظاهرات يتقدمها القاضي احمد وفي كراجي بزعامة الشاه احمد النوراني وفي راولبندي بزعامة العلامة ساجد علي النقوي وهكذا .

وفي الختام نعلن عن استعداد علماء المسلمين في الباكستان قبول أي حل يطرح من قبل علماء الاسلام في انحاء العالم لوقف فتنة الحرب التي اججها حرس الصحابة واعوانه اثباتاً من هؤلاء العلماء لحسن نواياهم في خدمة الدين والأمة الاسلامية .

الموعظة حياة القلوب

من غرر حكم أهل البيت عليهم السلام

* اعداد
عبد القادر فريح الله
(العراق)

في رِحاب الإمامةِ الوادعةِ تَفيَأُ القلوبُ الصَّدِئةُ بأحضانِ الرِّضا، وتَنَشَّقُ أنفاسَ الهُدىٰ والسَّكينةِ، وتُلقي ربيعَ وُجودِها، وأُنسَ وَحشتِها وضَياعِها، فإذا هيَ رَيّا بعد ظمأ، وخضراءُ بعدَ إقفارٍ، ومطمئنّةٌ بعد إصحار.

وفي هذا الباب نستشرِفُ في تلك الرِّحابِ من أضوائِها ما يَهدي سَبيلَنا، ويُقوّمُ خَطَراتِ نفوسِنا، ويُثبتُ علىٰ مسالكِ الحقِّ والحقيقةِ خُطانا، حيث ﴿يَزيدُ اللّه الّذينَ اهتدَوا هُدىً﴾ و﴿مَنْ يَهدِ اللّهُ فَهوَ المُهتدِ ومَن يُضلِلْ فلَنْ تجدَ لهُ وليّاً مرشِداً﴾.

وقَد كانت قبساتنا هذه مستقاة من كتاب ميزان الحكمة.

« التحرير »

الموعظة : مصاديق ومفردات

١ ـ قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله : «كفىٰ بالموت واعظاً».

٢ ـ قال أمير المؤمنين عليه السلام : « العاقل من وعظته التجارب».

٣ ـ وعنه عليه السلام : «في كل نظرة عبرة، وفي كل تجربة موعظة».

٤ ـ وعنه عليه السلام : «كفىٰ عظة لذوي الألباب ما جرّبوا».

٥ ـ وعنه عليه السلام : «إن الغاية القيامة، وكفىٰ بذلك واعظاً لمن عقل، ومعتبَراً لمن جهل».

٦ ـ وعنه عليه السلام : «من فهم مواعظ الزمان لم يسكن إلى حسن الظن بالأيام».

٧ ـ وعنه عليه السلام : «لم يذهب من مالك ما وعظك».

٨ ـ وعنه عليه السلام في صفة الدنيا : «دار موعظة لمن اتعظ بها ... ذكّرتهم الدنيا فتذكّروا وحدّثتهم فصدّقوا ، ووعظتهم فاتعظوا» .

٩ ـ وعنه عليه السلام : «من اتعظ بالعبر ارتدع» .

١٠ ـ وعنه عليه السلام في خطبة له : «فاتعظوا عباد الله بالعبر النوافع ، واعتبروا بالآي السواطع ، وازدجروا بالنُّذر البوالغ ، وانتفعوا بالذكر والمواعظ» .

أبلغ المواعظ

١ ـ قال أمير المؤمنين عليه السلام : «أبلغ العظات النظر إلى مصارع الأموات ، والاعتبار بمصائر الآباء والأمهات» .

٢ ـ وعنه عليه السلام : «أبلغ ناصح لك الدنيا لو انتصحتَ بما تريك من تغاير الحالات وتؤذنك بالبين والشتات» .

٣ ـ وعنه عليه السلام في خطبة له : «إن الله سبحانه لم يعظ أحداً بمثل هذا القرآن» .

٤ ـ قال الامام الصادق عليه السلام :«أصدق القول ، وأبلغ الموعظة ، وأحسن القصص كتاب الله» .

آداب الموعظة

١ ـ قال أمير المؤمنين عليه السلام : «إذا وعظت فأوجز» .

٢ ـ وعنه عليه السلام : «نُصْحكَ بين الملأ تقريع» .

٣ ـ وعنه عليه السلام : «إن الوعظ الذي لا يمجّه سمع ، ولا يعدله نفع ، ما سكت عنه لسان القول ، ونطق به لسان الفعل» .

٤ ـ قال الامام الحسن العسكري عليه السلام : «من وعظ أخاه سراً فقد زانه ، ومن وعظه علانية فقد شانه» .

ليكن عليك من نفسك واعظ

١ ـ قال أمير المؤمنين عليه السلام : «اجعل من نفسك على نفسك رقيباً» .

٢ ـ وعنه عليه السلام : «من كان له في نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ» .

٣ ـ وعنه عليه السلام : «اعلموا أنه من لم يُعَن على نفسه حتى يكون له منها واعظ وزاجر ، لم يكن له من غيرها لا زاجر ولا واعظ» .

٤ ـ كان الامام السجاد عليه السلام يقول : «ابن آدم ، لا يزال(*) بخير ما كان لك واعظ من نفسك ، وما كانت المحاسبة من همّك ، وما كان الخوف لك شعاراً ، والحزن دثاراً . ابن آدم ، إنك ميت ومبعوث وموقوف بين يدي الله عزوجل ومسؤول فأعدّ جواباً» .

(*) كذا في المصدر، والصواب «لا تزال».

٥ ـ قال الامام الباقر عليه السلام : «من لم يجعل له من نفسه واعظاً ، فإن مواعظ الناس لن تغني عنه شيئاً» .

٦ ـ قال الامام الصادق عليه السلام : «من لم يكن له واعظ من قلبه وزاجر من نفسه ، ولم يكن له قرين مرشد ، استمكن عدوّه من عنقه» .

من لا ينتفع بالموعظة

١ ـ قال أمير المؤمنين عليه السلام : «من لم يكن أملك شيء به عقله لم ينتفع بالموعظة» .

٢ ـ وعنه عليه السلام : «من عَدِم الفهم من الله سبحانه لم ينتفع بموعظة الواعظ» .

٣ ـ وعنه عليه السلام : «الجاهل لا يرتدع ، وبالمواعظ لا ينتفع» .

٤ ـ وعنه عليه السلام : «من لم يعتبر بغِيَر الدنيا وصروفها لم تنجع(*) فيه المواعظ» .

(*) تنجع : تنفع ويظهر أثرها.

٥ ـ وعنه عليه السلام : «من لم يُعنه الله على نفسه لم ينتفع بموعظة الواعظ» .

٦ ـ وعنه عليه السلام في خطبة له : «من لم ينفعه الله بالبلاء والتجارب ، لم ينتفع بشيء من العظة ، واتاه التقصير من أمامه ... » .

٧ ـ وعنه عليه السلام : «بينكم وبين الموعظة حجاب من الغِرّة(*)» .

(*) الغِرة : الغفلة .

٨ ـ وعنه عليه السلام : «لم يعقل مواعظ الزمان من سكن إلى حسن الظن بالأيام» .

٩ ـ وعنه عليه السلام في وصيته لابنه الامام الحسن عليه السلام : «ولا تكونن ممن لا

تنفعه العظة إلّا إذا بالغت في إيلامه ؛ فإن العاقل يتعظ بالآداب ، والبهائم لا تتعظ إلّا بالضرب» .

من وعظ فليتعظ

١ ـ قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله : «أوحى اللّه إلى عيسى بن مريم : عظ نفسك بحكمتي ، فإن انتفعت فعِظ الناس ، وإلّا فاستحي مني» .

٢ ـ قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ربّ زاجر غير مزدجر ، ربّ واعظ غير مرتدع» .

٣ ـ وعنه عليه السلام لرجل سأله أن يعظه : «لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير العمل ... يبالغ في الموعظة ولا يتعظ ، فهو من القول مكثر ، ومن العمل مقلّ ...» .

٤ ـ قال الامام الباقر عليه السلام : «في حكمة آل داود : يابن آدم ، كيف تتكلم بالهدىٰ وأنت لا تفيق عن الردىٰ ...» .

السعيد من اتعظ

١ ـ قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله : «السعيد من وُعظ بغيره» .

٢ ـ قال الامام الصادق عليه السلام : «من وعظك أحسن إليك» .

٣ ـ وعنه عليه السلام في خطبة له : «اتعظوا بمن كان قبلكم قبل أن يتعظ بكم من بعدكم» .

٤ ـ وعنه عليه السلام في خطبة له : «اتعظوا فيها [الدنيا] بالذين قالوا : ﴿من أشدّ منا قوة﴾ ؛ حملوا إلى قبورهم فلا يُدعون رُكباناً (*) ، وأُنْزلوا الأجداث فلا يُدعون ضِيفاناً» .

٥ ـ وعنه عليه السلام : «السعيد يتعظ بموعظة التقوىٰ وإن كان يراد بالموعظة غيره» .

(*) ركبان: جمع راكب. أي إنهم ـ وإن كانوا محمولين ـ لا يقال لأحدهم راكب، لأن الراكب من يملك مركوبه، أو من له حق التصرف فيه، وكذا «فلا يدعون ضيفاناً»، أي إنهم نُزّال، ولكن نزولهم ليس كنزول الضيف.

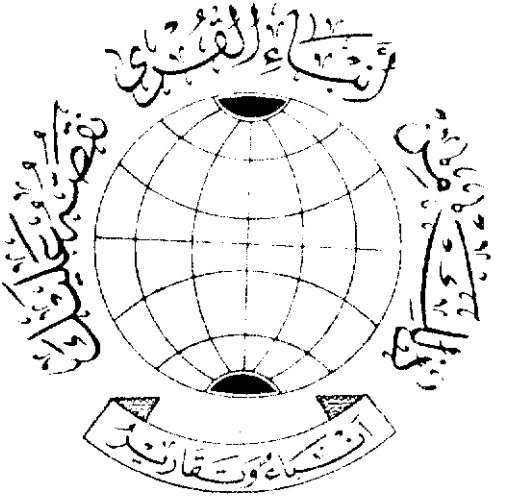

من أنباء القرى

نافذة نطلّ منها على أحوال المسلمين وأتباع أهل البيت عليهم السلام في أنحاء العالم من خلال ما يصلنا من أخبار وتقارير.

▣ الجمهورية الاسلامية الايرانية الحق المشروع

إن من حق الدول المستقلة ذات السيادة والمهتمة بأمنها، أن تمتلك وسائل الدفاع المشروعة التي تردع بها أي عدوان خارجي. إلّا إننا نرى الولايات المتحدة الاميركية والكيان الصهيوني بعد إجراء الجمهورية الاسلامية الايرانية عملية اختبار لصاروخ بعيد المدى، اخذا يمارسان ضغطاً على وسائل الاعلام، لتبدأ التحليلات والاقاويل التي يراد لها أن تحجب الحقيقة عن الرأي العام.

إن الجمهورية الاسلامية الايرانية منذ انتصار ثورتها لا تعير اهمية لاقاويل اميركا ومن يدور في فلكها؛ لأن هؤلاء هم اعداء الاسلام واعداء الجمهورية الاسلامية، ولا يروق لهم امتلاك أي دولة اسلامية للاسلحة

الحديثة، بينما نرىٰ اميركا تبيح للكيان الصهيوني أن يمتلك اكثر من مئتي صاروخ مزود برؤوس نووية محرمة دولياً ، وترفض أن يكون ذاك لدول المنطقة .

الجمهورية الاسلامية الايرانية تعرضت لعدوان النظام الدكتاتوري في العراق بتحريض من واشنطن ، وفي هذا العدوان فرضت هي والدول الغربية حظراً علىٰ الجمهورية الاسلامية الايرانية من اجل أن تكون المعادلة العسكرية لصاح النظام العراقي ، مما جعل حماة الثورة الاسلامية يتكلون علىٰ اللّٰه سبحانه وتعالىٰ اولاً ، وعلىٰ انفسهم ثانياً من اجل اكتساب الخبرة العسكرية وتطويرها بالارادة الوطنية . وفعلاً تم التوصل إلى صناعة الصواريخ والاسلحة الحديثة وناقلات الجنود والمصفحات ، واخيراً صنع صاروخ شهاب ـ ٣ الذي يصل مداه ما يقرب من ١٣٠٠ كيلو متر .

إن تطوير ايران لخبرتها العسكرية لا يعني أنها تريد منافسة الآخرين وأن تصبح طرفاً دولياً في سوق السلاح ، وإنما ارادت أن تضمن مستوىً من الدفاع لمواجهة المؤامرات الاميركية الصهيونية التي واصل الاستكبار تنفيذها .

إن السياسة الاسلامية الايرانية اثبتت للعالم أنها في اعلىٰ درجات الحكمة ، وهذا ما بان واضحاً خلال حرب الخليج الثانية . وإن صاروخ شهاب ـ ٣ سلاح غير محرم دولياً ، ويعتبر من الضروريات الدفاعية للجمهورية الاسلامية ، ومن المسلمات التي لا تقبل النقاش والمناورة ؛ لأن من حق أي بلد في العالم امتلاك السلاح الذي يرتئيه ضرورياً ، بشرط أن يكون ذلك مشروعاً ولا يُعدّ من اسلحة الدمار الشامل المحرمة دولياً .

فحق امتلاك الشعوب للسلاح المشروع من أجل استخدامه للدفاع عن النفس والارض والسيادة امر غير قابل للتساوم والمزايدة .

وإذا كـــانت الاسـلحة اليـوم تســـتغل لامـلاء الرأي وفـرض العدوان والتوسع والهيمنة ، فـهذا ليس ذنب الاسلحة ، وإنما يـرجـع إلى ذهـنية اصـحاب القـرار الذيـن يملكون زمام الامـور ، ويـضعون برامجهم على اساس مـادي بـحت تـــبعاً لمـصلحة مـا ، أو اطـماع استـعمارية بـعيدة كـل البـعد عـن المبادئ والقيم الانسانية النبيلة .

إن التضليل المكشوف للاعلام الاميركي الصهيوني حـول حـركة تـطور الصـناعة العسكـرية فـي الجمهورية الاسـلامية ، والتـهريج لمخاطر هـذا السـلاح ومـضاعفاته على دول المنطقة ، يرمي إلى جملة اهداف ، منها تخويف الآخرين من مـــخاطر مـزعومة لا وجـود لهـا ، وفـتح خـزانـات الاسلحة لتأخـذ طـــريقها إلى الكـيان الغـاصب ، وحـرف الرأي العـام عـن ادراك مخاطر امـتلاك العـدو الصـهيوني للاسلحة الفتاكة والنووية .

إلّا إن وعي الرأي العام وخاصة الاســلامي فــوت الفـرصة ؛ لأنـه يـدرك أن الجـمهورية الاسـلامية الايرانـية مـقيدة بـمبادئ الاسـلام المـحمدي الاصـيل ، ولا يـمكن أن تحيد عن هذه المبادئ مهما كـلفها ذلك ، كـــما أنـــها لا تـــفكر يـــوماً بـــالاعتداء عـــلى الآخـــرين . نـــعم تستخدم هذا السلاح فقط في حالة الدفاع عن النفس ، وهذا من ابسط الحقوق المشروعة التي تقرها كـل الاعراف والقوانين الدولية .

لقد اثبتت اميركا والصـهيونية العـالمية مـرة اخـرى أنـهما لازالا يُفكران بعقلية الهيمنة والغطرسة ، ولا يـــحترمان حـــقوق وارادة الآخرين في رسم طريقهم وصيانة حقوقهم والمحافظة على سيادتهم الوطنية .

▣ فلسطين

تداعيات الموقف الاقليمي من القضية الفلسطينية

رغـــم حســـاسية المـــرحـلة وخـطورتها الفـائقة عـلى مسـتقبل فـلسطين بشكـل خـاص والدول الاقليمية العربية بشكل عام ، نرى

عدم وجود تنسيق اقليمي عربي لازم لاتخاذ خطوات ومواقف تتناسب والتحديات الصهيونية المتزايدة بشكل مثير ، سواء فيما يخص تهويد القدس أو فيما يخص الخطر الذي بات يشكله الكيان الصهيوني على الأمن الاقليمي العربي والاسلامي .

والسؤال هو لماذا لم يتوصل الزعماء العرب إلى الحد الادنى من التضامن وتوحيد الموقف ؟ ، ذلك أن هذه المرحلة هي الاخطر التي تواجه الدول العربية والفلسطينيين فضلاً عن الكيان الاسلامي خلال العقد الاخير .

وقبل الاجابة عن هذا السؤال لابد أن نوضح اهم العوامل المؤثرة في اتخاذ مثل هذا الموقف :

الرؤى المختلفة : من الملاحظ أن هناك ثلاث رؤى للقيادات العربية فيما يخص الموقف الواجب اتخاذه ضد الكيان الصهيوني ، فهناك الموقف السوري والموقف الاردني ثم الموقف المصري . أما السوريون فهم يرون أن يجتمع الزعماء العرب ويتفقوا على اتخاذ خطوات حاسمة ضد الكيان الصهيوني ، التزاماً بما اتفق عليه في قمة القاهرة . ويذكر أن في هذه القمة قُرر أن يقدم كل من الاردن ومصر على ايقاف تطبيعهما مع العدو الصهيوني ، إذا لم يحصل انفراج في عملية التسوية ؛ وفعلاً لم يحصل الانفراج ، وإنما تزايدت المخاطر الصهيونية على الفلسطينيين وعموم المسلمين بشكل اكثر فداحة .

والسوريون يطرحون حيثيات تبدو منطقية لتأكيد صوابية موقفهم منها ؛ الرهان على الاساليب الدبلوماسية في دفع عملية التسوية إلى الامام امر غير مجد ، إذا لم يقترن باتخاذ خطوات سياسية ودبلوماسية ضاغطة على الكيان الصهيوني والوسيط الاميركي ، مثل ايقاف التطبيع وايقاف التبادل التجاري والاقتصادي معه ، على أن بعض

الاطـراف العـربية غـير الرسـمية تـذهب إلى أبـعد مـما يـذهب إليـه السوريون ، فـهذه الاطـراف تـرىٰ ضرورة أن تعزز الدول الاقـليمية العربية وضعها العسكري وتصعّد المواجهة مع العدو الصهيوني .

إن غياب الاجـراءات الضـاغطة علىٰ العدو شجعته علىٰ مـواصـلة تـحديه للـدول العـربية وللـموقف الدولي ، بـمواصـلة اسـتراتـيجيته الصهيونية القائمة علىٰ اساس عدة مـفردات مـهمة هـي اتـباع نـظرية وايزمن فـي العـمل الدبـلوماسي ، وتتلخص في خلق الامر الواقع ثـم التفاوض والمساومة عليه ، ولهـذا فإن عمليات الاسـتيطان والتـهويد تواصـلت فـي القـدس ، كـما تـمثل اخيراً وليس آخراً في اقـامة بـلدية القـدس الكـبرىٰ وضـم البـلديات المـحيطة بـالمدينة تـمهيداً لاقـامة ما يسميه العـدو القـدس الكـبرىٰ . وفـي الواقـع أصـبحت القـدس الكبرىٰ امراً واقعاً عندما قام العدو بـتطويق المـدينة بـحزام مـن المسـتوطنات وبـعمق اكـثر مـن عشرة كيلو مـترات ، وكـان العـدو قبل اتخاذ هذا الاجراء قد أنشأ حي جبل أبي غنيم وحي رأس العامود في القدس الشرقية . أما الاستيطان في الضفة الغربية فـهو مـتواصـل ولم تتوقف عجلته لحظة واحدة .

ومـن مـفردات الاسـتراتـيجية المماطلة واغراق الطـرف الاقـليمي العربي في الازمـات المـتواصـلة ، فلا تكـاد أزمـة تـنتهي حـتىٰ يـثير العدو أزمة اخرىٰ ، وبـالتالي يـجد المفاوض الاقـليمي العـربي نـفسه فـي مأزق حـقيقي ؛ فـعلىٰ سـبيل المـثال اثـار العـدو قـضية الحـي الصهيوني في جبل أبي غنيم ، وما كـاد الجدل يـنتهي حـتىٰ أثـيرت قضية بلدية القدس وتوسيعها ، ثم جاءت المواجهة في قطاع غزة التي كادت تـتحول إلى مـعركة حـقيقية بـين الشـرطة الفـلسطينية والعـدو الصهيوني .

كما أن الوسيط الاميركي مقتنع بأن الدول العـربية مـنقسمة عـلىٰ نـفسها ، فـهو لم يـتخذ خـطوات رادعة ضد العدو ، مادام ينظر إلى

أنه ـ العدو ـ يشكل الخندق المتقدم في مواجهة المسلمين اقليمياً وعالمياً ، والركن الاساسي من اركان الاستراتيجية الاميركية في منطقة الشرق الاوسط ، فضلاً عن اعتبارات البعد الصهيوني في السياسة الاميركية والبعد الديني في الدعم الاميركي للكيان الصهيوني .

ولذلك ترىٰ سورية أنه لابد من اتخاذ موقف جاد من الوسيط الاميركي نفسه ، لاقناعه بأن الدول العربية يمكن أن تؤثر في المعادلة؛ علماً أن هناك الكثير من الاوساط العربية والاسلامية سبقت السوريين في هذا الموقف ، ودعت إلى عدم الرهان علىٰ اميركا كوسيط للتسوية واتخاذ موقف حازم وحاسم منها .

أما بالنسبة للاردنيين ، فهم يرون عكس ما يراه السوريون ، إذ هم يعتقدون أن اتخاذ اجراءات صارمة ضد العدو في الوقت الحاضر سوف يضر بعملية التسوية ؛ إذ لابد من مواصلة الطرق الدبلوماسية لاقناع نتنياهو بالتخلي عن مواقفه المتعنتة .

ولكن الدول العربية لا تنظر إلى هذا الموقف بعين الارتياح ، وتعتقد أنه نابع من اعتبارات مصلحية ومن تأثيرات الضغوط الاميركية الصهيونية علىٰ الاردن ، وحسب قناعة هؤلاء فهم يرون أن الاردن يصر علىٰ هذا الموقف ليكون له دور مميز في الساحة الاقليمية العربية ، علىٰ حساب بعض الاطراف العربية ذات الاهمية والثقل العربيين سياسياً وبشرياً ، ثم إن الصهاينة والاميركيين يحاولون بكل السبل وعلىٰ خلفية هذا الدور الذي يريدون أن يلعبه الاردن في المنطقة ، يحاولون اقناع الاردن بألّا يذهب بعيداً وراء ما تريده مصر أو سورية ، لا سيما وأن اميركا والكيان الصهيوني يوحيان للاردن بأن مصر تريد تحجيم دوره الذي يمكن أن يلعبه في المنطقة .

ويدعم هؤلاء القادة العرب تحليلهم للموقف الاردني بما صرح

به احد مهندسي اتفاقات اوسلو فأوري سافير حيث قال : «إننا توصلنا إلى اتفاقات اوسلو ووقعناها بهدف أن تقف الحكومات العربية وياسر عرفات بوجه الاصولية الاسلامية ومن أجل تقسيم العالم العربي» ، وقد اشاد بعرفات وبمواجهته للحركات الاسلامية في الارض المحتلة .

ومن الواضح أن العدو الصهيوني واميركا على خلفية تجربة التسوية وفصولها على مدى الست سنوات الماضية ، بنيا استراتيجيتهما التفاوضية مع العرب على اساس تكريس وزرع التناقضات والانقسامات داخل الوسط الاقليمي العربي الرسمي وغير الرسمي ، ليظل الوضع الاقليمي العربي متداعياً وليفسح المجال امام المماطلة والمراوغة والتهرب ، ومن ثم تنفيذ الاتفاقات الموقعة أو نسفها .

أما الموقف المصري فهو بين هذين الموقفين ؛ ذلك أن المصريين يحاولون التوفيق بين الموقفين السوري والاردني والتوصل إلى حل وسط تلتقي عنده الادارة العربية . والمصريون لا يخفون تبرمهم من ازدواجية السياسة الصهيونية الاميركية ازاء كل من مصر والاردن ، فهذه السياسة تحاول تحجيم الدور المصري واعطاء زخم للدور الاردني بحسب قناعة المصريين .

والمصريون لا يريدون التخلي عن دور الريادة في عملية التسوية ويفضلون عدم الانسحاب امام تنامي الدور الاردني ، لكن المحللين يقولون إن مصر خسرت كثيراً بهذا الموقف المتذبذب ، فهي جعلت سورية معلقة من جانب ، وسدت الطريق على اتخاذ موقف حاسم من جانب آخر ، فبإمكان مصر أن تتجاوز الاردن وتتفق مع السوريين والسعوديين الذين يرون في هذه الفترة ما تراه سورية ، من اتخاذ خطوات عربية جادة وناجعة ، وبالتالي تكون مصر قد حققت موقعها الريادي في الساحة العربية ، وعزلت

الطامحين إلى لعب دور على حساب الاطراف الاخرىٰ ، وألزمت العدو بانجاز عملية التسوية .

ازدواجية بعض المواقف تشكل سمة واضحة لبعض الاطراف الدولية العربية والفلسطينية ، وتعتبر السبب الاساسي في تشتت الموقف العربي . لنأخذ مثالاً موقف ياسر عرفات وسلطته الذاتية من التطورات الاخيرة ، سواء ما يخص تهويد القدس أو ما يخص مأزق التسوية ، فعرفات وسلطته ومسؤولو هذه السلطة نشطوا بشكل كبير في التحرك عربياً واسلامياً ، ودعوا إلى عقد قمة عربية واسلامية لبحث الاخطار المحدقة بالقدس ، وذهبوا إلى حد اتهام بعض الاطراف العربية بالتواطؤ مع الكيان الصهيوني ، ولكن في الواقع لم يتخذوا أية خطوة تشجع الاطراف العربية الاخرىٰ علىٰ الاقتداء بها مع الاتجاه العام . فرغم أن نتنياهو يسخر من الدول العربية ويتحداها بقوله ماذا سيفعلون إذا واصلت الاستيطان في القدس ؟ ورغم أنه يسحق الفلسطينيين ويستولي علىٰ منازلهم في القدس وفي مناطق اخرىٰ في غزة وفي الضفة الغربية ، ورغم أنه ماض في انجاز مشاريعه مثل انشاء جيش من المستوطنين يكون ظهيراً للجيش الصهيوني ، ورغم أنه يسخر باعضاء السلطة ذاتها ، رغم كل هذه الممارسات الصهيونية والتنكر للحقوق الفلسطينية ؛ نلاحظ التعاون الامني العرفاتي قائم مع الاجهزة الامنية الصهيونية، واعتقال اجهزة عرفات الامنية لابناء الحركة الاسلامية في الارض المحتلة لازال مستمراً بل اصبح اشد من السابق ؛ فضلاً عن اللقاءات السرية والعلنية بمسؤولي الكيان الصهيوني التي لم تتوقف . كل ذلك شجع العدو الغاصب علىٰ مواصلة تحديه للمسلمين ومواصلة عملية تهويد القدس ومواصلة خططه الاستيطانية .

وبعد أن وضّحنا اهم العوامل

المؤثرة في اتخاذ موقف موحد نجيب على السؤال المذكور آنفاً ؛ فنقول إن عدم وجود رؤية واضحة عند مجموعة من الزعماء العرب ، أو استراتيجية محددة ازاء عملية التسوية ، هو خلاف مالدى العدو الصهيوني ، فبينما اتسم موقفه بالثبات والوضوح في الهدف وفي الاساليب ، اتسم موقف الاطراف العربية بالضبابية وعدم الوضوح ، ولذلك ظلت الدول العربية دائماً تبحث عن التوفيق والتكيف مع الموقف الصهيوني الذي نجح في جر الدول العربية واستدراجها إلى مواقع تخدم الاستراتيجية التفاوضية الصهيونية ، فلاحظنا أن العدو نجح في استدراج عرفات في اتفاقيات اوسلو ؛ والاردن في اتفاق وادي عربة ؛ ونجح في تجزئة الموقف التفاوضي العربي ، وقبل ذلك نجح في ابعاد الامم المتحدة التي تعد الطرف الاساسي في اضفاء ما تسميه الدول العربية الشرعية الدولية على مرجعية عملية التسوية .

وهكذا غرقت الدول العربية وياسر عرفات في الجزئيات وضاع الهدف الاساسي من عملية التسوية ، وبعد مرور ست سنوات وجدوا انفسهم خسروا كل شيء بينما العدو ربح كل شيء .

ولابد للخروج من هذا المأزق من أن تعلن الحكومات العربية وياسر عرفات عن موت عملية التسوية ، كما هو واقعها الآن ، ويتحدوا على المصلحة المشتركة ويرسموا استراتيجية جديدة تضع حداً لتداعيات الموقف العربي متخذةً مبدأ إسلامية القضية الفلسطينية اساساً في ذلك وإلّا فإن المراهنة على التسوية بالاساليب الدبلوماسية لن تجدي نفعاً ، بل لم يحرز منها سوى مزيد من المآزق ومن الخسائر المادية والمعنوية .

▣ مصر

ترفض منطق الهيمنة الأميركية

تعارض الولايات المتحدة

الاميركية بشدة أي تقارب ايراني عربي ، ولا سيما التقارب الايراني المصري ؛ لأن مثل هذا التقارب يكتسب ابعاداً استراتيجية مهمة في المنطقة ، نظراً لثقل البلدين البشري والسياسي في الساحتين العربية والاسلامية ، ولصالح الأمة الاسلامية ، ومثل تلك الابعاد الاستراتيجية تتصادم مع ما تريده اميركا والكيان الصهيوني من فرض الهيمنة الصهيونية على المنطقة ، بل إن اميركا والصهاينة معاً يرون أن أي تقارب ايراني عربي يشكل خطراً كبيراً على الاستراتيجية الاميركية ؛ لأن فرض وتمرير هذه الاستراتيجية مرهونان بعزل العرب عن محيطهم الاسلامي ، ولا سيما الجمهورية الاسلامية الايرانية ؛ وبعزل ايران الاسلامية ذات المواقف المعروفة والصارمة من الكيان الغاصب ، ومن الخطط السلطوية الاميركية ، عن جوارها العربي ومنعها من التأثير فيه بما يقوي الموقف العربي في مواجهة العدو والغطرسة الاميركية .

يتوقع المراقبون والمحللون السياسيون أن تكون العلاقات الايرانية المصرية ، هي اهم المواضيع التي سيثيرها الأميركيون مع الساسة المصريين، وخصوصاً مع وزير الخارجية الذي تتهمه الاوساط الاميركية بأنه الاكثر تحمساً بين المسؤولين المصريين لتحسين العلاقات والروابط بين مصر وايران .

إن الاوساط الصحفية المصرية وبعض الخبراء السياسيين المصريين ، عبروا عن آرائهم حول الاثارة الاميركية بخصوص التقارب الايراني المصري ، حيث كشفت هذه الآراء عن الاتجاه العام للتفكير المصري الشعبي والاكاديمي ، بل تفكير بعض الاوساط الرسمية ؛ فمثلاً نقلت مجلة الاهرام رأي الخبراء السياسيين في القاهرة من أن على مصر أن تكون مستقلة عن اميركا وسياساتها في المنطقة . بمعنى

اكثر وضوحاً يريد هؤلاء أن يقولوا لا تربط مصر علاقاتها وسياساتها بالعلاقات والسياسات الاميركية؛ إذ إن اميركا ترىٰ حينما لا تقيم علاقة مع ايران أن علىٰ مصر أن لا تقيم علاقات كذلك تمشياً مع السياسة الاميركية. وفي هذا السياق قال احد المحللين السياسيين لمجلة الاهرام إنه لا يجب علىٰ مصر أن تعير أي اهتمام لاميركا في علاقاتها مع الدول الاسلامية في منطقة الشرق الاوسط، وخصوصاً مع الجمهورية الاسلامية في ايران. واكد هؤلاء الخبراء أن قلق اميركا من احتمالات التقارب الايراني المصري سيستمر؛ لأن ذلك يتعارض مع طموح اميركا في طرح الكيان الصهيوني كقوة مهيمنة علىٰ منطقة الشرق الاوسط، في اشارة واضحة للفت نظر المسؤولين المصريين إلى ضرورة ادراك حقيقة مخالفة اميركا للتقارب الايراني المصري؛ لأن ذلك يشكل عقبة امام طموح الهيمنة الصهيونية علىٰ المنطقة.

إن الاوساط المصرية ترفض أن تكيّف مصر سياساتها مع السياسة الاميركية، التي باتت لا تأخذ في الاعتبار إلّا مصلحة العدو الصهيوني، كما كشفت ذلك تداعيات التسوية والمساعي الاميركية الصهيونية لتحجيم مصر وتقزيم دورها العربي والاسلامي والاقليمي.

كما ترىٰ هذه الاوساط المصرية أن الجمهورية الاسلامية الايرانية دولة اسلامية كبرىٰ وقوية ومهمة، وتشكل عمقاً استراتيجياً لمصر وتدافع عن القضايا العربية والحقوق العربية اكثر من بعض العرب انفسهم.

واخيراً ترىٰ هذه الاوساط أن حجم التحديات التي تواجه العرب والمسلمين كبيرة وخطيرة في الوقت الراهن، مثل محاولات الكيان الصهيوني للهيمنة علىٰ العرب والمسلمين ومحاصرتهم، متمثلاً في تداعيات عملية التسوية وفي الحلف التركي الصهيوني

والحلف الصهيوني الاريتيري ؛ والوجود الاميركي في الخليج الفارسي ، مما يتطلب ذلك توحيد الصف العربي والاسلامي وتعزيز العلاقات بين الدول الاسلامية ، والتعاون المشترك من اجل مواجهة تحديات الاستكبار العالمي للبلدان الاسلامية .

▣ الجزائر

تعميم لغة القرآن الكريم

إن ثورة الجزائر بميثاقها الذي كان اعلاناً بثورة التحرير من الاستعمار الفرنسي قد جعلت الاسلام ولغة القرآن الكريم وتحدي الاستعمار الفرنسي اساساً لها . ورفعت معه شعار «شعب الجزائر مسلم» ، حتىٰ إن النشيد الوطني الجزائري الذي يحفظه كل جزائري ويردده بحماس مع كل احتفال من احتفالات الدولة إلى الآن مازال ينص في إحدىٰ فقراته علىٰ تحدي فرنسا .

وتواصلت الثورة وتحمل الجزائريون ضراوة جيش الاحتلال الذي قاتل بشراسة ، حتىٰ احس ديغول بنذر الهزيمة ، فسارع إلى حفظ كرامة فرنسا وجيشها بإعلان استقلال الجزائر ، مع تأكيده لشعبه علىٰ أن فرنسا لن تترك الجزائر ، ولذا لم يكن غريباً أن تفشل الثورة بتحرير لغة البلاد من الهيمنة الفرنسية ، حتىٰ إنها وهي في أوج انتصاراتها قد فشلت في إعمال نص دستور ١٩٦٣م ، الذي يقضي بتعميم اللغة العربية وجعلها لغة البلاد الرسمية .

كانت الحكومات الجزائرية منذ عهد بومدين قد قطعت خطوات في إحلال اللغة العربية بدلاً من الفرنسية في بعض المجالات ، كالتعليم الابتدائي والثانوي وجزء من التعليم الجامعي إضافة إلى القضاء ؛ إلّا إن هذه العمليات كان يقابلها جهد من مجموعة الفرنكفونيين الذين تولوا المناصب الوزارية في كثير من الفترات ، والذين استطاعوا أن يعوقوا عملية

التـــعريب ، ويســـلبوا الشـباب الجزائري هذا السلاح الذي يمكنهم من تحقيق ذاتهم ، حـتىٰ اصـبحت اللغة العربية لغة القرآن الكريم في هذا البلد المسلم عـنواناً للـتخلف والفشـل والبـطالة ، وبـقي للـغة المسـتعمر وهـي الفـرنسية بـريق الرواج والنجاح ، بسـبب اسـتمرار اعـتماد الادارة وقـطاعات الاعـمال علىٰ خريجي المعاهد الفرنسية .

لازال الصـــراع مـحتدماً بـين المـحتل الفـرنسي المـوجود علىٰ ارض الجزائر وبين اجيال ثـورة التـحرير ؛ وفـي هـذه الظـروف أقدمت الحكومة الحالية علىٰ تطبيق نص الدستور بتعميم اللغة العربية، الذي سيواجه بلا شك عوائـق مـن الداخـل والخـارج . ولكـن هـل تسـتطيع الحكـومة اجـتياز هـذه العوائـق ؟ أم سـتكرر نـفس الدور للحكومات السابقة وهـو الـتراجـع امـــام الضـــغوط الداخـــلية والخـارجية ؟ ، لا سيما والمـناخ السياسي فـي الوقت الراهـن مـعبأ بـتيارات جـديدة ، مـنها العـمل المسلح الذي يـواصـل العـمل مـن اجل تـحقيق اهدافه .

إن الشـعب الجـزائـري الابـي باسلامه واصـالته وصـاحب هـذه الـتـضحيات العـظيمة ، لم تشـغله الهـجمة الشـرسة الحـالية الـتي يـتعرض لهـا ، ودوامـة العـنف والارهاب التي تحصد يومياً العديد من الابرياء ، عن الدفاع عـن لغـته ولسان هويته وعقيدته الاسلامية ؛ فهو يصرّ علىٰ المضي قدماً للعودة الكاملة لهويته ولغته الـتي تـحاول القـوىٰ الخـارجـية وذيـولها فـي الداخل ابعاده عنها .

وفي بيان للـجمعية الجـزائـرية للدفاع عن اللغة العـربية دعت كـل المحامين أن يكوّنوا لجاناً من اجل السهر علىٰ تطبيق القانون المتعلق بـــاللغة العـربية ، كـما تـوجهت الجمعية في بيانها إلى التأكيد علىٰ الدولة أن تـــعتبر مـــن دروس الماضي في هذا الشأن ، وبخاصة تـلك المـتعلقة بـعمليات اللـوبي الفرانكوفوني في تعطيل مـثل هـذا القانون ، كما ذكـرت الجـمعية أنـه

لابد لجيل هذا البلد من تعلّم العربية ؛ وعليه يجب ايجاد علاقة بين الادارة وبين لغة الذين تمارس عليهم هذه الادارة ، وأن تعريب الادارة ليس ضرورة فقط ، بل إنه وسيلة لتحقيق هدف كل المجتمع .

وأضاف البيان أن هدف الاحزاب والصحافة الفرانكوفونية من وراء الحملة التي تشنها ، هو نشر الخوف وتأزيم الموقف وممارسة الضغط على الدولة من اجل وقف تطبيق القانون .

وتناول البيان مصطلح كلمة التعريب وذكر أنه يشتمل على مغالطة ؛ لأنه لا يوجد في الجزائر شيء يعرّب ماعدا المجتمع الفرانكوفوني ، وأن مسألة اللغة العربية تحولت إلى التعريب بسبب احتكار الأقلية الفرانكوفونية لوسائل إدارة الدولة والحياة الاقتصادية ، مما ادىٰ إلى اقصاء الشعب الجزائري المسلم .

كما ذكر البيان أن مشكلة المجتمع الفرانكوفوني تتمثل في انعدام مستقبله ، مادام مصيره مرتبطاً بمصير اللغة الفرنسية بالجزائر ، ثم تناول البيان الفرق بين الثقافة الفرنسية والثقافة الفرانكوفونية ، التي لا تمثل سوىٰ ثقافة العبد الذي يحاول تقليد سيده .

وكلما أثير التعريب هب اللوبي الفرانكوفوني مدافعاً عن الامازيغية والبربرية ، ثم ذكر البيان أن اللوبي الفرانكوفوني يتخذ من البربرية قناعاً لا يعبر عن اخلاصه لها ؛ لأنه متأكد من أنها لا تمثل الآن خطراً علىٰ مصالحه ، بينما يرىٰ في العربية خطراً بإحلالها محل الفرنسية .

نأمل أن تراجع جميع الاطراف المختلفة مواقفها من اجل ألّا تتجدد مرة اخرىٰ سيطرة المستعمر الدخيل علىٰ جزائر المليون شهيد مسلم ، ومن ثم تضييع مبادئ ثورة التحرير ذات الاصول الاسلامية ، وتصبح هناك اكثر من جزائر فرنسية وبربرية وعربية .

إن التعريب مسألة تأصيل للغة القرآن والاسلام وبناء اسس

الكرامة والاستقلال للوطن الذي عانىٰ من اجل كل ذلك ، وهي ايضاً ضرورة ملحة من اجل التطور الثقافي والاقتصادي لهذا البلد المسلم .

▣ تركيا

حرب المياه

إن التحالف والتقارب التركي الصهيوني ينذر بحرب قادمة ؛ فبين الحين والآخر ينقشع الظلام عن جوانب جديدة لهذا التحالف ضد المصالح الاستراتيجية العربية والاسلامية في المنطقة .

ففي مجال الدراسات العلمية الموثقة صدرت دراستان مهمتان ، أحدهما عربية ، والأخرىٰ اميركية ، تتفقان في الكشف عن جانب من اخطر جوانب هذا التحالف ، وهو التحالف في ميدان حرب المياه ، والتعاون التركي الصهيوني في هذا المجال .

ومنذ سنوات والشبهات تحوم حول هذا التحالف ، ويدخل في نطاقه الاساسي مشاريع المياه التركية التي تقيمها علىٰ دجلة والفرات للتحكم في مياه هذين النهرين ، وقد تردد الكلام خلف الابواب المغلقة عن صفقات في هذا المجال .

وبقي الكلام حول هذه الصفقات يتردد بين التصديق والتكذيب ، لكن صدور دراستين في آن واحد مما يضيف تأكيدات جديدة علىٰ وجود مثل هذه الصفقات .

الدراسة الاولىٰ صدرت عن مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية تحت عنوان «اسرائيل ومشاريع المياه التركية» ، وكشفت عن إقامة تركيا ٢٢ سداً و ١٩ مركزاً لتوليد الكهرباء علىٰ نهري دجلة والفرات في اطار مشروع «جاب» .

كما كشفت أن إسرائيل تستورد سنوياً ٢٥٠ مليون متر مكعب من المياه من تركيا ، وأن ذلك لاشك سيؤدي إلى حالة مفزعة من الركود الاقتصادي وعدم النمو عند الدول المجاورة .

وتقصّت الدراسة اهم الاتفاقات والسياسات المشتركة بين إسرائيل وتركيا ، حول مشاريع المياه جنوب شرق الأناضول ومشروع أنابيب السلام ، التي سيمتد من تركيا ماراً بالكيان الصهيوني .

الدراسة الثانية صدرت عن مؤسسة «راند» الاميركية للدراسات الاستراتيجية ، وهي مؤسسة مشهورة بدراساتها الاستراتيجية ، وكانت من اوائل المؤسسات التي خرجت بدراسات تنبئ بوقوع حرب المياه في المنطقة ، وقد كررت المؤسسة في دراستها الجديدة توقعها أن منطقة الشرق الاوسط ستشهد مثل هذه الحرب بين تركيا من جانب ، وكل من سورية والعراق وايران من جانب آخر ، وسوف تتدخل فيها قوات حلف شمال الاطلسي لصالح تركيا ، والسبب هو مياه نهر الفرات التي اصبحت إسرائيل تتمتع بجزء منه ، بينما يحرم من مياهه اصحاب الحق الطبيعيين .

إن التحالف التركي الصهيوني هو تحالف شامل بشكل محوري خطير ، ضد الامن والمصلحة الاستراتيجية العربية والاسلامية ، برعاية من الولايات المتحدة الاميركية .

▣ كوسوفا

رسالة لكل المسلمين

إن جذور العداء بين الصرب واهل كوسوفا المسلمين ترجع إلى اكثر من ستة قرون ، حين هُزمت جيوش الصرب في معركة كوسوفا التي كانت بمثابة المعركة الفاصلة في البلقان ، والتي سيطرت بعدها الدولة الاسلامية على المنطقة رغم استشهاد قائد المعركة السلطان مراد العثماني .

إن احقاد الحروب الصليبية هي التي تحرك الصربيين ضد كل ماهو اسلامي في كوسوفا ؛ حيث غيروا الاسم إلى كوسوفو بدلاً من كوسوفا ، حيث إن الاول مسمىً صربياً للاقليم ، أما كوسوفا فهو الاسم الاسلامي الذي عرف به

الاقليم منذ الفتح الاسلامي للبلقان في عهد الخلافة العثمانية ؛ وقاموا بتغيير اسم جامعة كوسوفا إلى جامعة سافا أحد القساوسة الصرب .

إن هذه الاحقاد كانت ومازالت وراء المذابح الصربية ضد المسلمين في كوسوفا ، في ظل التراجع الدولي وسلبية المواقف من قبل مؤسسات الامم المتحدة ومجلس الامن والاتحاد الاوربي وغيره من المؤسسات الدولية .

وقد كان موقف الامم المتحدة ومجلس الامن أن اكتفي بتوجيه نداء هزيل للصربيين ، يرجوهم في وقف المذابح الجماعية ضد الشعب الالباني المسلم ، في الوقت الذي يصف فيه معركة المقاومة الالبانية المسلحة في كوسوفا ضد بربرية الصرب بأنها حركة إرهابية ، وأن الالبان المسلمين إرهابيون ؛ مما يعكس التواطؤ ضد مصير هذا الشعب الاعزل .

إن المسلمين الالبانيين مدعوون اليوم إلى التمرد على نداءات الدول الكبرى والمنظمات الدولية التي تُهدر قضايا المسلمين على وجه الخصوص ، وإن المجتمع الانساني في العالم مطالب بضرورة مساندة الشعب الالباني المسلم في كوسوفا ، الذي يتعرض للإبادة الجماعية على مسمع ومرأى من الاتحاد الاوربي والاحلاف الغربية والامم المتحدة واميركا دون أن يتحرك احد ، كما أن الدول الاسلامية مطالبة أيضاً بالخروج من هذا الصمت المميت وحالة الضعف المخزية ، وبخاصة للاقليات الاسلامية في اوربا ، وبمحاولة لعب دور على الصعيد السياسي والاقتصادي لانقاذ آلاف المسلمين في كوسوفا ومقدونيا حتى لا تتكرر مأساة البوسنة .

إن حالة ضعف العالم الاسلامي وعدم قدرته على التأثير في احداث كوسوفا ، كما عجز من قبل عن التأثير في احداث البوسنة،

هي وصمة عار ستخلد في التاريخ الاسلامي الحديث . يضاف إلى ذلك أن كوسوفا اكثر تعقيداً من البوسنة ؛ حيث إنه من المتوقع أن تمتد الحرب إلى خارج البلقان لتشمل المسلمين في كل من البانيا ومقدونيا .

وعليه فإن الشعب الالباني المسلم مطالب بأن يستمر في رفع راية الجهاد وتصعيد المقاومة المسلحة ضد الصربيين ؛ لأن قضيتهم لن تحل إلّا بدمائهم في وقت عزّ فيه النصير نتيجة لعزلة الأمة الاسلامية .

إن هذه المذابح لو ارتكبت ضد اليهود لقامت الدنيا ولم تقعد ولتزلزلت اركان الامم المتحدة ومجلس الامن ؛ ولو كانت ضد النصارىٰ لما وقف البابا عاجزاً ؛ ولكن الدماء التي تنزف هي دماء المسلمين ، فالكل يهون لأنهم مسلمون تنتهك منهم الاعراض ويمارس بأجسادهم شتىٰ انواع التنكيل ؛ واخيراً فإن الامور لابد أن تحل بالتفاوض .

إن ما يقوم به الصربيون اليوم هو رسالة لكل المسلمين ، وهو بمثابة الامتداد للمخطط القديم الذي رسمته اوربا منذ القرن السابع عشر ، لطرد المسلمين من البلقان بدافع الحقد والانتقام ، الامر الذي يشير إلى ارهاصات حرب صليبية جديدة علىٰ اعتاب القرن الحادي والعشرين .

إن الصربيين يسعون إلى تشتيت البانيا الاسلامية الكبرىٰ في دول البلقان من خلال منع استقلال كوسوفا ، وكذلك احكام السيطرة علىٰ المنطقة ومحاولة زعزعة الاستقرار السياسي والاقتصادي داخل البانيا ؛ حتىٰ لا تقوىٰ علىٰ مواجهتهم في تحقيق اطماعهم التوسعية في بناء صربيا الكبرىٰ ، علىٰ غرار الاتحاد اليوغسلافي السابق ؛ ليشمل اراضي كوسوفا والبوسنة ومقدونيا وغيرها من اراضي المسلمين .

▣ المانيا

شهادة حيّة حول سوء معاملة الأجانب

صـدر كـتاب حـديث للكـاتب الالماني غونتر فـالراف أثـار الرأي العام الالماني ؛ لأنه يسرد تـجربة مثيرة لمؤلفه حول معاناة الاجانب في المانيا ، حيث تنكر الكاتب بهيئة أجنبي بعد أن غيّر هـيئته وبـعض جوانب شخصيته ليكـون مشـابهاً لأيّ اجـنبي يـبحث عـن عـمل فـي المانيا . وقد بلغ عدد نسخ الكـتاب المـطبوعة مـليون وسـبعمئة ألف نسـخة بـعد أربـعة أشـهر مـن صدوره . وخلاصة قـصة الكـتاب هي كالآتي :

كانت خـطة الكـاتب تـهدف إلى مـــعايشة المـــجتمع الالمـــاني ، والـجـانب المـظلم مـنه ، أي كـيفية التعامل مع الأجنبي . يقول الكاتب : «كـنت أعـرف وأسـمع بـحجم المـضايقات التـي يـتعرض لهـا الأجـانب فـي ألمـانيا ، لكـنني لم أعشها أو أراها» .

ومن هنا جاءت فكـرة التـنكر ، حـــيث اســتخدم شــعراً أســود مستعاراً ، وعدسات لاصقة غامقة اللون ، وتسمى بـاسم عـلي وقـام بتقليد الأجـانب فـي التـحدث بـلغة المانية مكسرة ، بشكل تجعل مـن يسمعه أو يراه يعتقد أنـه أجـنبي ، ومع أنه كان من السـهل اكـتشاف أمـــره ، إلّا أن أحـداً لم يشك بـــه مـطلقاً. يـقول : «هـذه التـغييرات البسيطة كـانت كـافية لكـي تـجعل الآخـرين يـفصحون عـن آرائـهم أمـــامي دون تـــحرج ، بـلاهتي المـصطنعة جـعلتني أكـثر ذكـاء ، وأتاحت لي فـرصة التـعرف عـلى ضيق أفق هذا المجتمع وبرودته ، وهـو الذي يـعتبر نـفسه حـاذقاً ورفيعاً ومتكاملاً وعـادلاً . لم أكـن تركياً حـقاً ، ولكـن عـلى المـرء أن يتنكر قليلاً لكـي يـزيل القـناع عـن المجتمع ، وأن يـخاتل كـي يـعرف الحقيقة» .

ويـــــضيف : «مـــازلت إلى اليـــــوم مســـتغرباً ، كـــيف يـتحمل الأجـانب هـذا الاضـطهاد والكـــراهـــية اليـومية ، ولكـني

أعـــلم الآن إلى أي مـدىٰ يـمكن بلوغ احتقار البشر هنا ؛ فالتجارب التي خضتها تجاوزت تصوراتي ، فـــالعنصرية تـــوجد هـنا فـي وسط ديمقراطيتنا ، ومـا واجـهته فـي المـجتمع الالمـاني لا يـوجد مـثيله إلّا فـي بـطون كـتب تـاريخ القرن التاسع عشر» .

أول عمل في الإسطبل

وهكـذا بـدأ عـلي جـولته فـي الحياة والعمل في المانيا في تجربة استغرقت أكثر مـن سـنتين . فـي البدايـة عـمل فـي تـصليح اسـطبل خيول ، كان عليه أن يتسلق سلالم عـالية لصـبغ سـقف الاسـطبل . العمال الآخرون معظمهم بولنديون كـانوا يـتجاهلونه . كـان يـتناول طعامه بمعزل عن الآخرين ، وينام فـي غـرفة تشـاركه فـيها مـعزاة . وعـندما تـعطل جـهاز الإنـذار فـي الإسطبل فجأة ، اتهم علي بـالقيام بذلك فطرد من العمل .

العمل التـالي كـان فـي مـزرعة تدار من قبل عـجوز وابـنتها سـبق لهم التعامل مع خادم تركي . كـان أجر عـمله أن يأكل وينام مـجاناً ويدفع له مصروف جيب . خـيرته العجوز بين النوم في عربة عـاطلة أمـام المـزرعة أو غـرفة إسـطبل فارغة كـريهة الرائـحة ، لكـنّ عـلياً فضل حلاً ثالثاً أن يبيت في غـرفة في ورشة بناء مهجورة ، عـلماً أن هناك عدة غرف نظيفة ودافئة فـي المـزرعة لا يسـتخدمها أحـد . تـم إخفاء علي عن الجيران ، ومنع من ارتياد سوق القرية .

عازف متجول

علىٰ هذه الحال بقي علي سـنة كاملة من أجل كسب قوت العيش : «لو كـنت حـقاً عـلياً لمـا اسـتطعت البقاء علىٰ قـيد الحـياة ، مـع أنـني علىٰ استعداد لتقبل أي عمل» .

بعد ذلك جرب العـمل كـعازف أُرغن متجول في مقاطعة بافاريا : «كنت أتجول عـدة سـاعات يـومياً دون أن أحـصل علىٰ فلس واحـد . والغريب أنني بعد أن تعودت علىٰ دوري كأجـنبي ، كـانت تـنتابني الدهشة في كل مرة لا أقـابل فـيها بالرفض والجفاء . الأطفال وحدهم

كـانوا شـديدي الفـضول والتـودد لعـــازف الأرغــن الذي تــتصدر جهازه لوحة عليها العبارة التالية (تركي عاطل عن العمل ، مقيم فـي ألمانيا منذ ١١ عـاماً ، يـريد البـقاء هنا) . كان الاطفال يتجمعون حولي حتى ينهرهم آباؤهم عن ذلك» .

الكنيسة لا تقل عنصرية

حـــاول عـــلي أن يـــختبر المـؤسسات الكـنسية التـي كـان يتوقع أنها ستقدم له المساعدة . لم يذهب إليها متسولاً بل أعلن عن رغـــبته بـــالتنصر واعـــتناق المسيحية، وأنه يريد التعميد كي يـــتزوج بـــصديقته الألمـــانية الكاثوليكية ، ولتجنب طرده من ألمـانيا . طـرق بـاب القساوسة وكـلهم طـردوه بـحجج مـختلفة : «إذهب إلى مكـــتب الخـــدمات الاجتماعية» . «الكنيسة ليست ملجأ للغرباء» . «عليك اعتناق المسيحية بالقلب ، وذلك يستغرق سنوات» .

بعد أن يأس عـلي مـن كـنائس المدن ، حاول أن يجرب حظه فـي كنائس القرىٰ . طـرق بـاب إحـدىٰ الكنائس في قرية نائية . فتح الباب شاب بـثياب عـادية . كـانت المـرة الأولىٰ التي يشاهد فيها علي قسـاً كاثوليكياً بزي غـير رسـمي . بـدأ يسرد قصته ، وقبل أن يكمل كلامه قـاطعه القس قـائلاً : «أنـا أفـهمك جـــيداً، والآن تـــريد اعـــتناق المسـيحية» . اسـتغرب عـلي مـن تفهم القس له ، وعلم فيما بعد أنـه بولندي نزح منذ سنوات إلى المانيا.

مع مسؤولة المقبرة

أراد عـــلي اخـــتبار إحـــدىٰ مـؤسسات الدفـن ، فـذهب إليـها جالساً علىٰ كرسي متحرك ، يدفعه أحـد أصـدقائه الأتـراك . اسـتقبلت صـاحبة المـقبرة عـليا بـترحـاب ودعته للدخول . شرح لهـا قـصته أنه قـد أصـيب بـالسرطان نـتيجة لعمله في مـصنع الأسـبست ، وأن الطبيب قد فاتحه بأنه سيموت بعد شـهرين ، لذا فـهو قـادم لتـرتيب أمور الجنازة ونقلها إلى تركيا.

دخلت صاحبة المدفن مباشرة إلى صلب الموضوع دون أن تكلف نفسها شيئاً حتى عن مشـاعره أو

عن بارقة أمل لعلاجه .

أخذت تشرح له أسعار النقل الجوي التي تعتمد على وزن الشخص ، وعرضت له أنواع التوابيت ، ثم بدأ الاتفاق على الثمن ، فطلب علي تخفيضاً ، فقالت البائعة : «نستطيع خصم ٥٪ من السعر إذا تم الدفع نقداً وفوراً» ، فسألها علي وماذا إذا لم أمت ، هل أحصل على المبلغ ثانية ، فردت : «لا ، ليست هناك حقوق إرجاع» . ثم رفعت بصرها إليه وكأنها تريد مواساته : «ظننت أن الطبيب واثق أنك بعد شهرين ...» ، وهنا لم تستطع إكمال الجملة . شعرت بالإحراج وأخذت تتلعثم .

عمل شاق وخطر

حصل علي على عمل في مصنع لليوريد قرب هامبورك . المعمل توقف عن تعيين عمال جدد ، وبدلاً من ذلك استأجر عمالاً من شركة أخرى ، بشرط أن تحصل الشركة على ما بين ٣٥ و ٨٠ ماركاً أجراً لكل ساعة عمل للشخص الواحد ، بينما يحصل العامل نفسه على أجر بخس يتراوح بين ٣ ماركات و ١٥ ماركاً.

دخل علي المصنع لتنظيف الآلات من الزيوت والشحوم والغبار . عند بوابة المصنع استلم بطاقة تثبيت الوقت . لم يحسن علي دفع البطاقة في الاتجاه الصحيح فعلق أحد البوابين الألمانيين : «عندكم في إفريقيا يختمون على رؤوسكم» . لاحظ علي أن الإهانة مست الأجانب جميعاً ، لكنه وزملاءه مضطرون لتغافلها لخوفهم من فقدان العمل عند حصول مشاجرة ، فالأجنبي هو الذي يفقد عمله عادة في مثل هذه الأحوال . كان العمل شاقاً وخطراً يتمثل في إزالة طبقات التراب السميكة عن المكنات ، فيدخل الغبار إلى الرئتين فيسبب آلاماً .

معهد التجارب البشرية

تعرف علي على صديق جديد أثناء العمل في المصنع هو عثمان الذي يسكن في مدينة أولم . كان متعباً من العمل في المصنع ،

فـعرض عـلىٰ عـلي السكـن مـعه والحصول علىٰ عمل . قال عثمان : «هو عمل أفـضل مـن العـمل هـنا ، ولكن المرء علىٰ الأقل يحصل علىٰ نـقوده دون عـمل شـاق أو ابـتلاع غـبار . هـناك عـليك فـقط الابـتلاع وإعطاء دمك» .

يـقول عـلي : «لاءمـتني الفكـرة بسـبب اكـتافي المـمزقة والذبـحة الصدرية التي أعـاني مـنها نـتيجة عملي في مصنع فحم الكوك .

أخذت مكاني مع المنتظرين في بهو معهد الفحوص البشرية . كان أغـلبهم مـن الأجـانب والشـباب العاطل عن العمل . انتابني الخوف وأنا أعطي ورقتي للموظف ، فـقال لي : لا داعـي للـخوف ، الجـميع خرجوا أحياء من هنا حتى اليوم .

بـدأت الفـحوصات الطـبية . الطـبيب الذي يـقوم بـذلك يـمتدح الأتـراك أثـناء فـحصه لي : إنـهم يتحملون الكثير ، ولا يتذمرون من كل صـغيرة ، بـعد ذلك كـان عـليَّ توقيع العقد . يخص الفحص أربعة مستحضرات طـبية يـتم تـجريبها عـلىٰ جسـم العـامل . تسـتغرق التجارب ١١ اسـبوعاً ، مـنها أربـع إقامات جبرية مدة كل واحـدة ٢٤ ساعة . العوارض الجانبية : خمول، تـقلب المـزاج وعـصبية ، تـغير التـركيب الدمـوي ، تـغير قـرص الوجـه ، حسـاسية وتـغير فـي البشرة ، سوىٰ أن قرابة ٢٠٪ مـن المختبَرين يعانون من تقيح في لثة الأسنان .

في صباح اليوم التالي أعطوني قرصين تناولتهما . أحسست فجأة بانقباض في حدقتي عيني . حاولت تـحويل بـصري ، ولكـن أشـعة الشـمس بـهرتني ، شـعرت بألم شديد في العين . كـانوا يسـحبون الدم كـل سـاعة . كـان الشـحوب والاضطراب يـغلب عـلىٰ الجـميع ، بعضهم يـفقد وعـيه فـينقلون مـن الأسـرة إلى المـختبر . فـي اليـوم التالي سحب من دمي سبع مرات . أحـوال الآخـرين لم تكـن أفـضل . اتـضح لي أن السكـوت الذي كـان سائداً يعود إلى خوف المـختبَرين من عدم استخدامـهم فـي تـجارب

قادمة في حالة تذمرهم .

كان هذا المعهد واحداً من المعاهد الخاصة بالتجارب البشرية ، ويبلغ عدد زبائنه ٢٨٠٠ . ولا تقام التجارب لأسباب طبية كما يدعى ، بل إن الهدف الوحيد هو البحث عن ستراتيجية بيع أفضل لهذه الأدوية . ولا توجد أية جهة ترعى شؤون الأشخاص المعرضين لهذه التجارب ... وتقوم المفاعلات النووية في ألمانيا باستخدام العمال الأجانب لغرض القيام بالفحص السنوي . وتفضل إدارات المفاعلات إستخدام الأجانب فترة قصيرة كي لا تتحمل نتائج إصابتهم بسرطان المجاري البولية أو الغدد الدرقية» .

▣ هولندا

الإنجيل المتداول ليس صحيحاً

وغير موثوق به

عقد معهد ليدن للدراسات الدينية مؤتمراً بعنوان (انتقال المعرفة الدينية شفاها وكتابة) شارك فيه العديد من المستشرقين والمتخصصين بالديانات القديمة والحديثة من فرنسا وأميركا وهولندا . وقد تحدث البروفسور الفرنسي جيرارد ناون استاذ الدراسات اليهودية في جامعة السوربون في باريس ، عن أساليب نقل التلمود من الأحبار إلى الطلاب شفاها ، وكيف ضاعت النصوص القديمة بفعل النقل ودخول الشروحات والتفسيرات . وقال : «لا توجد اليوم نسخة حقيقية أصلية للتلمود ، ولكن توجد تفسيرات وكتابات قام بها لاهوتيون وأحبار يهود . ولا يوجد نص مقدس في التلمود بل هو مؤلف من كتابات الأحبار الذين قاموا بتعديلات وإضافات للنص الأصلي» .

وعن الظروف الصعبة التي مر بها كتاب العهد القديم قال البروفسور ناون : «في عام ١٢٤٠م إعتنق توماس اليهودي المسيحية ، ثم قام بنقد التلمود وقدم النقد إلى البابا . أثار نقده غضب المسيحيين فتم عام ١٢٤٢م

إدانة وإحراق التلمود في باريس ، حيث أحرقت آلاف النسخ» .

وبسبب فقدان الكتاب المقدس عانت الدراسات الأكاديمية اليهودية من صعوبات ، فجرىٰ التأكيد على المعلومات الشفوية ، وعلى التراتيل ، فجرىٰ الإعتماد كثيراً على الذاكرة ، كما تم اعتماد التلمود البابلي . وأول طبعة للتلمود تمت في إيطاليا في القرن الخامس عشر . وأما التلمود المتداول اليوم فقد قام بطباعته مسيحي بلجيكي من أنتوربين .

من جانب آخر ذكر المستشرق الهولندي فان كوننكزفيلد أستاذ كرسي الإسلام في الغرب في المعهد ، أنه لا يوجد باحث أو أستاذ جامعي غربي يعتقد أن الإنجيل المتداول صحيحاً وموثوقاً به ، بل هذا ما تعتقده الكنيسة فقط وتلتزم به وهناك ملاحظات وإنتقادات علمية كثيرة عليه .

وعندما تطرقت المناقشة في المؤتمر إلى دور علماء الأديان في نقل المعارف الدينية ، قال البرفسور فان كوننكزفيلد : «إن علماء الإسلام أكثر إخلاصاً ودقة من العلماء الآخرين في تدوين ونقل المعارف الإسلامية» ، وقد أثار قوله استياء الحاضرين الذين لم يعجبهم من يدافع عن الإسلام .

كتّاب غربيون أنصفوا الإسلام

كان المستشرق الهولندي فان كوننكزفيلد قد أصدر عدة كتب تشرح الإسلام عقائد وأحكاماً ، اقترب فيها من الموضوعية والنزاهة ، منها كتاب (أسطورة الخطر الإسلامي في الغرب) ومنها (حديث حول الإسلام في العصر الحديث) ، الذي تحدث فيه عن الصورة المشوهة التي يحملها الغربيون تجاه الإسلام ، وأن لها جذوراً تاريخية في الفكر اللاهوتي المسيحي ، وعن نتائج الحروب الصليبية ، مستعرضاً أهم المؤلفات المسيحية المناوئة للإسلام .

وفي معرض نقده للتشويهات التي تعرض لها الإسلام في أوربا ، تطرق إلى بعض الكتب التي

أنصفت الإسلام فذكر أن أدريان ريلاند (١٦٧٧ ـ ١٧١٨) الأستاذ في أوترخت والمتخصص باللغات الشرقية ، قد ألف كتاباً بعنوان (حول ديانة المحمديين) عام ١٧٠٥ ، الذي قال فيه إن الديانات تتعرض للتشويه من قبل خصومها . ودعا ريلاند إلى أهمية إعتماد المصادر التي كتبها أتباع الديانة بأنفسهم ، فدعا إلى إعتماد المصادر العربية . وقد عرض في القسم الأول من كتابه أهم الأفكار والعقائد والأحكام الإسلامية . وفي القسم الثاني قام بنقد الأحكام المسبقة تجاه الإسلام . وقد تمت ترجمة الكتاب إلى اللغات الفرنسية والإنجليزية والألمانية والإسبانية . وفي عام ١٧٢٥ وضعت الكنيسة الكاثوليكية في روما الكتاب في قائمة الكتب الممنوعة .

▣ الكيان الصهيوني
التوسع باتجاه اسيا الوسطىٰ ذات الغالبية الاسلامية

بدأ اهتمام الكيان الصهيوني بدول آسيا الوسطىٰ ذات الغالبية الاسلامية في مرحلة مبكرة ، وكان اهتمامه هذا يهدف إلى ارساء حواجز وقائية مناهضة للدويلة العبرية ، وكذلك منع بعض الدول والحركات الاسلامية من نشر الافكار الاسلامية في هذه الدول المستقلة حديثاً عن الاتحاد السوفياتي .

فقد حرص الكيان الصهيوني علىٰ تفعيل علاقاته مع دول آسيا الوسطىٰ ذات الغالبية الاسلامية عبر القنوات الدبلوماسية والتجارية ، وليس عبر تفعيل دور الجاليات اليهودية داخل هذه الدول برغم من وجود عدد كبير منهم ، حيث أقدمت دويلة إسرائيل الصهيونية في نهاية عام ١٩٩٢م بالاعتراف الرسمي باستقلال كل من اذربيجان وقازاخستان وقرقيزستان وطاجكستان ، فيما قامت علاقات دبلوماسية مع تركمانستان عام ١٩٩٣م .

لكن علاقة الكيان الصهيوني بالجاليات اليهودية في تلك

الجمهوريات توطدت فيما بعد ، وبخاصة على اثر هجرة اليهود الروس لفلسطين المحتلة ، مما حفزّ الصهاينة لاستغلالهم في اختراق تلك الدول سياسياً ، فمثلاً قامت المؤسسة اليهودية في عام ١٩٩٢م بعقد مؤتمر عن التجربة الاقتصادية الاسرائيلية في طشقند، وفي نفس السنة دعت جمعية الصداقة الاسرائيلية الاذرية للقاء في حيفا للمناداة بدعم اذربيجان ضد ارمينيا ، وكذلك نظمت المؤسسة نفسها مخيماً صيفياً لاطفال قازاخستان وقرقيزستان ، وفي الوقت نفسه عينت دويلة إسرائيل الصهيونية اول سفير لها في جمهورية اوزبكستان .

اذربيجان :

في عام ١٩٩٥م زار وفد من الاستخبارات الاسرائيلية اذربيجان من اجل تدريب قواتها على الخبرات الامنية ، وينظر الاذريون إلى علاقاتهم بدويلة اسرائيل نظرة إعجاب ولا يحملون هماً لمشاكلها مع المسلمين والعرب ، وإنما يعتبرونها شريكاً استراتيجياً لهم في المنطقة . ويعيش في اذربيجان مئات من رجال الاعمال اليهود الذين يتمتعون بعلاقات جيدة مع الحكومة الاذرية . وفي عام ١٩٩٢م، بدأت خطوط الطيران بين اذربيجان واسرائيل تسير رحلاتها بانتظام، فيما فتحت دويلة اسرائيل سفارة لها فياذربيجان عام ١٩٩٣م .

طاجكستان :

تملك هذه الجمهورية طاقات بشرية ومواد طبيعية ضخمة جذبت اليها المستثمرين الاسرائيلين ، لكن دويلة اسرائيل الصهيونية لم تتخذ خطوات ملحوظة في هذا الاتجاه بسبب اندلاع الحرب الاهلية في نهاية سنة ١٩٩٢م ، ومع هذا حرصت على علاقتها الدبلوماسية بطاجكستان ، ولديها بعض المشاريع الاقتصادية هناك .

في عام ١٩٩٢م ، زار وفد

اسرائيلي طاجكستان للتوقيع على اتفاقية لنقل الخبرات الاسرائيلية في مجال الزراعة مقابل استغلال موارد الجمهورية النفطية .

أوزبكستان :

تتمتع مع دويلة إسرائيل الصهيونية بعلاقات متميزة قائمة على تنمية مشاريع تكنولوجيا الري ، حيث قامت شركة اسرائيلية في عام ١٩٩٢م ، بتوقيع اتفاقية لإنشاء انظمة ري متطورة بمنطقة اندرهان ، وتقوم الشركة بممارسة النشاط نفسه في كل من تركمانستان وطاجكستان ، كما تقوم دويلة اسرائيل بتدريب الاوزبكيين على تنمية خبراتهم في مجال الزراعة وتنمية الارياف ، وذلك عبر مراحل تقام في تل ابيب.

تركمانستان :

تعود علاقة دويلة اسرائيل الدبلوماسية معها إلى عام ١٩٩٣م، لكن هذا لم يمنع دويلة اسرائيل الصهيونية من اقامة مشاريع اقتصادية مع هذه الجمهورية قبل هذه السنة ، إذ قام وفد تجاري اسرائيلي عام ١٩٩٢م ، بزيارة لتركمانستان للتوقيع على مشاريع مختلفة تعنى بتكنولوجيا الزراعة وتنمية الارياف ، وتبلغ قيمة تلك المشاريع ١٥ بليون دولار ، لا تتمكن الحكومة التركمانية من دفعها سوى عن طريق المقايضة ، فيما بلغت قيمة التبادل التجاري بين البلدين في سنة ١٩٩٥م ، إلى ٤٠ مليون دولار ، وهناك نية إسرائيلية لمد انابيب غاز من تركمانستان عبر تركيا إلى تل ابيب في مقابل ان تقوم دويلة إسرائيل بتقديم المساعدات والاعانات للجمهورية في مجال الري والزراعة والتنمية والصحة .

قازاخستان :

استطاعت دويلة اسرائيل الصهيونية أن تتغلغل دبلوماسياً واقتصادياً في هذه الجمهورية ، وتعتبر الشركات الاسرائيلية من انشط الشركات العاملة فيها .

ففي عام ١٩٩٢م ، قامت تل ابيب بإبرام اربعة عقود مختلفة لزراعة الطماطم والقطن ؛ كما قامت

بتوقيع عدة اتفاقيات في مجال البنوك والجمعيات التجارية ، وتقوم دويلة اسرائيل ايضاً بتطوير اجهزة الاتصالات ، كما أن هناك خطوط طيران منتظمة بين البلدين .

قرقيزستان :

اعترف رئيس جمهوريتها عسكر أقاييف بدويلة اسرائيل خلال زيارته لها عام ١٩٩٣م ، وبالرغم من اعتراض عدة دول إسلامية على ذلك قام بافتتاح سفارة لبلده في القدس .

وقد ابرمت عدة اتفاقيات تعاون مع الدويلة العبرية في شؤون الاعلام والتكنولوجيا والانشطة الثقافية والاستثمار .

تهدف دويلة إسرائيل الصهيونية من علاقتها بجمهوريات آسيا الوسطى ذات الغالبية الاسلامية إلى تطويق الدول العربية والاسلامية ، بالاضافة إلى المنافع النفطية والغازية التي يرجوها الكيان الصهيوني من تلك الجمهوريات ، ومن ثم مراقبة الانشطة النووية في المنطقة .

▣ اميركا

مصالحها الاستكبارية فوق كل اعتبار

بعدما ادركت اميركا أنها القوة الوحيدة التي تملك القدرة والقوة على وضع تركيبة المنظومة العالمية الجديدة بعد انتهاء الحرب الباردة ، وضعت استراتيجيتها المكونة من محورين هما :

١ ـ حماية المصالح الاميركية ؛ وذلك بالعمل على تقوية وجودها العسكري في المناطق التي تؤمن لها احتياجاتها من الموارد الاقتصادية ، وبخاصة موارد الطاقة ، وكذلك المناطق التي تكون اسواقاً لانتاجها الصناعي ، ولا شك أن الدول العربية افضل من يحقق لاميركا هذين الشرطين.

٢ ـ دعم الكيان الصهيوني ؛ وقد قدمت اميركا كل انواع الدعم العسكري والاقتصادي والسياسي، سواء في الامم

المتحدة ومجلس الامن أو في المحافل والمؤتمرات الدولية ، ارضاءً ليهود اميركا اصحاب النفوذ المتميز فيها ؛ وخير دليل على ذلك هو وجود الهيئة الادارية لأهم وزارة هي وزارة الخارجية ، فجميعهم من اليهود ، وكذا وزير الدفاع .

لقد اتخذت الولايات المتحدة الاميركية من احتلال العراق للكويت خير ذريعة لتحقيق استراتيجيتها في المنطقة ، فقد كشف تقرير صدر عن البيت الابيض الاميركي التكاليف التقريبية التي تحملها العرب مادياً، من جرّاء الحرب التي سمّيت بعاصفة الصحراء عام ١٩٩١م ؛ فقد بلغ حجم الاضرار الناتجة عن حرق آبار النفط ١٥٠ مليار دولار ، وبلغت تكاليف خروج الجيش العراقي من الكويت ١٧٠ مليار دولار ، وقدرت تكاليف هذه الحرب بالنسبة لليمن والاردن وفلسطين بثمانية مليارات دولار ، بينما خسرت الدول التي دخلت في التحالف ٧ مليارات دولار ، أي وصلت التكلفة الاجمالية ٣٣٥ مليار دولار ، دفعت البلاد العربية منها ٦٥٪ .

وأما الخسائر البشرية فهي عشرات الآلاف من القتلى ومئات الآلاف من الجرحى والمعوقين والمرضى بالاشعاعات الذرية .

وقد حققت اميركا اهدافاً مرسومة بعد خروجها منتصرة من حرب الكويت ؛ فقد استطاعت ان تجرّ العديد من الدول العربية إلى مؤتمر الذل في مدريد ، وقطعت علاقة القضية الفلسطينية بالمنظومة الدولية ، وجعلتها تحت سلطة الراعي الاميركي ، الذي اعطى لحكومة الكيان الصهيوني الحق فيما تريد ، فدخل قادة منظمة التحرير الفلسطينية إلى نفق أوسلو، ثم اتفاق الخليل .

وليس امام الدول العربية أيّ خيار إلّا القبول بالشروط التي تمليها حكومة نتنياهو ، تارة باسم المباحثات ، واخرى باسم إثبات حسن النية ، وثالثة بالضغط ،

ورابعة بالاذلال والتهديد .

وقد تدخلت الولايات المتحدة الاميركية بالصورة التي حققت لها مصالحها في مناطق الصراع التي كان العرب والمسلمون وقوداً فيها، فدخلت إلى الصومال باسم الانقاذ ولكنها حاولت القتل والتدمير ، ولما وجدت أن البقاء ليس في صالحها خرجت ، وتدخلت في البوسنة والهرسك لتفرض اتفاق دايتون الذي مكّن الصربيين من اقامة دويلتهم ، وفرضت على المسلمين الدخول في تحالف مع الكرواتيين ، ومازالت مأساة الانسان المسلم في هذه المنطقة وصمة عار في جبين الانسانية في نهاية القرن العشرين، ولم تدخل اميركا في الشيشان ، بحجة أنها مشكلة داخلية بين الشيشانيين والروسيين الاتحاديين .

ونرىٰ اميركا قد استفادت من التغيرات الدولية في المنظومة العالمية ، فقامت بوصفها حامية أمن العالم ضد الارهاب ، ففرضت حصاراً اقتصادياً على كل من السودان والعراق والجمهورية الاسلامية الايرانية ؛ واستغلت حادثة الطائرة الاميركية لفرض عقوبات علىٰ ليبيا ؛ وبالرغم من صدور حكم محكمة العدل الدولية الذي يقضي بمحاكمة المتهمين في بلدهم ، وبعد أن تقدمت بعض دول مجلس الامن برفع العقوبات عن ليبيا ، منعت اميركا وبريطانيا مجلس الامن من رفع العقوبات ، ومن ثم ضربت كل من اميركا وبريطانيا بقرار المحكمة الدولية عرض الحائط ، وجعلتا لقرارات مجلس الامن الخاصة بفرض عقوبات علىٰ ليبيا صفة القدسية ، وبذلك اعتبرت كل من اميركا وبريطانيا أن حكم محكمة العدل الدولية لا يلغي قرارات العقوبات التي اصدرها مجلس الامن .

تحدّيات العولمة الاميركية

إن الولايات المتحدة الاميركية منذ فترة ليست بالقصيرة طرحت قضية العولمة وتحركت علىٰ صعيدها تحركاً نشطاً ، ودعت اليابان ودول آسيا واوربا إليها ،

بل إنها سعت في اطار اجتماع قمة الدول الصناعية الكبرىٰ إلى تبني مفهوم العولمة الاميركية . ويقضي مفهوم العولمة في ظاهره بدعوة اميركا الدول الاخرىٰ إلى الانفتاح عليها اقتصادياً ، وفتح هذه الدول اسواقها امام الشركات والمنتوجات الاميركية بالتخفيف من الضرائب ، والحواجز الاخرىٰ التي تقف بوجه ما يمكن تسميته الغزو الاقتصادي الاميركي لهذه الدول . والدعوة الاميركية هذه تتأطر بشعارات الانفتاح والتبادل المشترك وتطوير اقتصاديات الدول الاخرىٰ .

أما المفهوم الباطن لهذه العولمة فهو يعني تعميم النظام الاقتصادي الاميركي شكلاً ومضموناً علىٰ اقتصاديات البلدان الاخرىٰ ، وبمعنىٰ ادق ربط اقتصاديات الدول الاخرىٰ بالاقتصاد الاميركي، وبالتالي فرض تبعية وهيمنة اميركية علىٰ تلك الدول الاخرىٰ تمهيداً للهيمنة الاميركية العالمية ، التي تعتبرها اميركا عنصر مهماً وركناً اساسياً من اركان قيام نظام القطبية الواحدة .

إلّا إن الدعوة الاميركية واجهت عقبتين الاولىٰ اقتصاديات دول آسيا مثل اندونيسيا وماليزيا واليابان بالاضافة إلى الصين ، والثانية تردد الدول الغربية وروسيا في قبول تعميم العولمة الاميركية لما تتضمنه من اهداف الهيمنة الخفية .

وقد دفعت اميركا اليهودي سوروس الثري وباقي الاثرياء إلى الاقتصاد الآسيوي ، حيث شاهدنا التدهور الكبير الذي حصل للاقتصاد في اندونيسيا وماليزيا ، وكذلك نلاحظ قلعة الاقتصاد الياباني تتهاوىٰ امام التحدي الاميركي .

هذه الحرب الاقتصادية التي تشنها اميركا تسببت في توجيه ضربة قوية للسوق النفطية ؛ إذ قل الطلب علىٰ النفط مما زاد في الازمة الاقتصادية لهذه البلدان الآسيوية ، وكذلك سببت هذه الحرب الاقتصادية توجيه ضربة

لاقتصاديات الدول الاسلامية .

إن الادارة الامـــيركية تـعتبر الاموال النفطية تهديداً لاقتصادها مـن نـاحية ، ومـن نـاحية اخـرىٰ تـــعتبر اســـتمرار تـنامي الدول الاســـلامية فـي ضـوء الخـطط الخمسية المرسومة لها ، لا ينسجم مـع اسـتراتـيجيتها التـي تـرغب وتريد أن تبقىٰ هذه الدول ضعيفة ومفككة اقتصادياً ، كما لا يروق لها تـزايـد نـمو الوضـع الاقـتصادي للدول الاسلامية .

وفعلاً فإن تـدني اسـعار النـفط وجه ضربة كبيرة للـدول العـربية في الخـليج الفـارسي التـي يشكـل النـفط المـورد الرئـيسي للـعملة الصعبة لهـا، بـل إنـه يشكـل قـوام اقـتصادها ، إذ يـحتل ٨٠ ٪ مـن دخلها .

فـبالنسبة إلى السـعودية التـي تعتبر اول منتج للنفط فـي العـالم ، والتي بنت موازنـتها عـلىٰ اسـاس سعر ١٥ دولار للـبرميل الواحـد ، فإن انخفاض سـعر بـرميل النـفط العـربي الخـفيف إلى ١٢ دولار ، سـبب نـقصاً بـحدود حـوالي ٨ مليارات دولار في السنة .

أما بالنسبة للكويت وقطر فـإن انخفاض اسعار النـفط سـتكون له آثار سيئة ؛ لأنـهما كـانا قـد حـددا عام ٢٠٠٠ امـتصاصاً للـعجز فـي مـــوازنـتيهما المـقدرتين بـ ٣٨١ و ٨١٩ مليون دولار علىٰ التوالي ، عـلىٰ اسـاس أن سـعر البـرميل سيكون اعلىٰ من السعر الحالي .

أمـــا الامـارات العـربية فـإن اقـــتصادها بـدأ يـتأثر بسـبب الانـخفاض الحـاصل فـي اسـعار النفط .

وأمـا الجـمهورية الاســلامية الايـرانـية فـرغم أن التأثير اقـل مقارنة بالدول العـربية ؛ نـظراً لأن النفط لا يشكـل سـوىٰ نسـبة ٤٠٪ من الدخل القومي الايراني ، إلّا إنه مـع ذلك تـرك آثـاراً سـلبية عـلىٰ اقتصادها ، فقد مثل هبوط ايرادات النفط نقصاً يقدر بـحوالي خـمسة مـــليارات دولار بـــالمقارنة مـع التوقعات الاخيرة في الموازنة .

ولكن مع ذلك تبقىٰ المـؤشرات

تبشر بخير ، إذ بدأ الاعضاء في منظمة الاوبك يدركون اليوم ماكانت تؤكده الجمهورية الاسلامية الايرانية ، من أن هدف القوىٰ المستكبرة ، هو استنزاف طاقة تلك البلدان الاقتصادية وثروتها النفطية بابخس الاسعار ، وأن من الضروري الحفاظ علىٰ هذه الثروة للاجيال القادمة ، والتنسيق والتعاون فيما بين الاعضاء لتحقيق هذه الغاية المقدسة ، ووضع حد لتحكم الدول المستغلة لثروتنا النفطية وبالتالي لاوضاعنا الاقتصادية .

▣ انحطاط الحضارة المادية في اوربا

ايطاليا

كشفت اجهزة المخابرات الاسبانية تورط قوات حفظ السلام التابعة لحلف شمال الاطلسي ، في اجبار فتيات قاصرات من البوسنة علىٰ ممارسة البغاء مع الجنود الدوليين في العاصمة سراييفو .

ونقلت صحيفة الموندو الاسبانية أن عملاء المخابرات العسكرية اكتشفوا شبكة البغاء التي يديرها اساساً جنود ايطاليون، بالتعاون مع عصابة اجرامية بوسنية قبل نحو عام ، لكن الشبكة استمرت في نشاطها . واضافت الصحيفة أن الفتيات تتراوح اعمارهن بين ١٢ و ١٤ عاماً ، اجبرن علىٰ ممارسة البغاء في سراييفو مع عناصر من اللواء الشمالي ، الواقع تحت قيادة الايطاليين في قوة الاستقرار التي يشرف عليها حلف الشمال الاطلسي .

وقالت الصحيفة إن مدير المخابرات الاسبانية تلقىٰ تقريراً كاملاً من عملاء ارسلوا إلى البوسنة لتحري الامر ، واضافت أن التقرير سرد كيفية نقل الفتيات البوسنيات بعد اجبارهن علىٰ ممارسة البغاء ، من خلال التهديد إلى مقر اللواء الشمالي تحت جنح الليل وارغامهن علىٰ ممارسة الجنس مع الجنود .

المانيا

كشف البيان الذي اذاعه مؤخراً رئـيس المـنظمة الدوليـة للـهجرة بـيتر فـون ، أن ارباح عـصابات تهريب واسترقاق النساء في اوربا والولايات المتحدة الاميركية زادت هذا العام عن سبعة مليارات دولار اميركي ، وكشف البيان عن المزيد من جوانب هذه التجارة ، فأكد أن المـافيا تـجني ارباحاً مـن خـلال تهريب وبيع نسـاء آسيا واوربـا الشرقية .

وبيان بيتر فون هذا وضع إلى جوار عشرة تقارير اخرىٰ اعـدتها المنظمة الدولية للهجرة ، وشـرطة مكافحة الاجرام الالمانية ومنظمات اخرىٰ .

وضـعت هـذه التـقارير امـام الاجـتماع الذي عـقدته اللـجنة البـرلمانية الالمـانية الخـاصة بالعائلة والمرأة ، واكدت جـميعها أن حـوالي ١٥٠ ألف امـرأة يـتم تـهريبهن سـنوياً إلى اوربـا والولايات المتحدة الاميركية ، وأن تـجار الرقـيق يـحققون ارباحـاً خـيالية تـصل إلى عشـرة آلاف دولار احـياناً للـمرأة الواحـدة ، وأنهم صاروا قادرين علىٰ تهريب ٥٠٠ امرأة يومياً .

وقـد كـان الاجـماع فـي هـذا الاجتماع علىٰ أن السبب الرئـيسي في هذه المأساة ، يعود إلى تفاوت الوضـع الاقـتصادي بـين العـالم الثالث والغـرب ، والذي خـلق هـذا التفاوت وهذا الضياع الاقـتصادي فـي العـالم الثـالث هـو الغـرب بسـياساته التـي لا تـرحـم ، ومشاريعه الاستعمارية سـياسياً واقتصادياً واجتماعياً التي تـوالت منذ القدم .

إن عـملية اسـترقاق النسـاء والاتـجار بـهن بـهذه الصـورة المزرية ليست إلّا جانباً من جوانب مأساة استعباد الغرب لسكان هذا الكون .

كما أن هناك جانباً اكثر مـرارة صنعته سياسات الإفقار والحصار والتـجويع التـي يـمارسها الغـرب بوسائل غير شريفة ؛ وتجسد هذا الجانب ايضاً بـالتقارير الصـادرة

عن المنظمات الدولية حول حالة الجوع والفقر وانعدام مقومات الحياة ، فبرنامج الامم المتحدة يذكر في آخر تقرير له أن ملياراً وثلاثمئة ألفٍ شخص يعيشون في حالة العوز ، ولا يجدون ما يكفيهم من الغذاء أو الكساء أو الدواء .

واكدت إحصاءات أخرىٰ للامم المتحدة أن هناك ٩٥٠ مليون شخص في آسيا ، و ٢٢٠ مليوناً في افريقيا ، و ١١٠ ملايين في اميركا اللاتينية ودول الكاريبي ، يعيشون بأقل من نصف دولار للفرد الواحد في اليوم .

وهناك ١١٠ ملايين طفل بلا مدارس ، و ١٦٠ مليون طفل يعانون من سوء التغذية ، و ١٠٠ مليون مريض لا يتلقون أي علاج يذكر .

هولندا

اكتشفت في هولندا شبكة تعمل علىٰ استغلال الاطفال لا اخلاقياً بواسطة شبكة الانترنيت ، التي تبث عليها لقطات مروعة لعمليات اعتداء علىٰ اطفال بعضهم يقل عمره عن عامين .

وقد اكتشفت هذه الشبكة في غرب هولندا في مدينة زاندفورت ، واوضح التلفزيون الهولندي أن محققين خاصين من الجمعية البلجيكية لمكافحة استغلال الاطفال ، عثروا في منزل احد افراد الشبكة علىٰ آلاف الصور المخزية في اسطوانات مدمجة تظهر عمليات الاعتداء علىٰ الاطفال . علماً أن التلفزيون الهولندي امتنع عن بث الصور لبشاعتها ، خصوصاً وأن عدداً من الاطفال تعرضوا لاعتداء لم تتجاوز اعمارهم خمسة عشر شهراً .

واعرب طبيب نفسي للاطفال عن صدمته لدىٰ معاينته الصور ، واشار إلى أن مواد مخدرة اعطيت علىٰ ما يبدو للاطفال ؛ لأن عدداً منهم لم يحرك ساكناً للبشاعات التي تعرضوا لها .

واكد أنه لم ير في حياته شيئاً مريعاً كهذه الصور المثيرة للاشمئزاز .

وافاد مصدر مقرب من

التحقيق أن الامتداد العالمي للشبكة امر حتمي ؛ نظراً إلى توجهاتها وترتيب الاقراص المدمجة بطريقة محترفة ، ومن ثم يتعين التحقيق خارج هولندا ؛ لأن الصور التي انتجت في اماكن مختلفة من العالم تبث بواسطة الانترنيت إلى زبائن دائمين في بلدان عدة ، كما أن هناك فروعاً للشبكة في اسرائيل وأميركا وروسيا .

بريطانيا

ذكر تقرير لوزارة الداخلية البريطانية أن ظاهرة انتشار استهلاك الهيروبين بين الشباب البريطانيين ، الذين تتراوح اعمار معظمهم بين ١٦ و ١٨ عاماً ، ارتفعت في الآونة الأخيرة بينما هناك عدد كبير منهم بين ١٤ و ١٦ عاماً ، واحياناً اطفال تتراوح اعمارهم بين ١٠ و ١٢ عاماً ، ضبطوا وهم يجربون الهيروبين .

وقد أثبت التقرير صحة المخاوف من موجة جديدة في ارتفاع استهلاك الهيروبين ، التي تشمل خصوصاً مراهقين بعضهم من اسر ميسورة ومستقرة ، خلافاً للموجة التي حدثت في الثمانينات وكانت تشمل افراداً من اوساط فقيرة تتراوح اعمارهم بين ١٨ و ٢٥ عاماً .

وجاء في التقرير أن المشكلة تتطور بسرعة في انجلترا وويلز وتؤثر على ١٦٠ الف شخص في البلاد .

وقال وكيل وزارة الداخلية إن نتائج التقرير تقدم أدلة تثير القلق من استهلاك الهيروبين في مدن لم يكن ينتشر فيها في السابق .

* * *

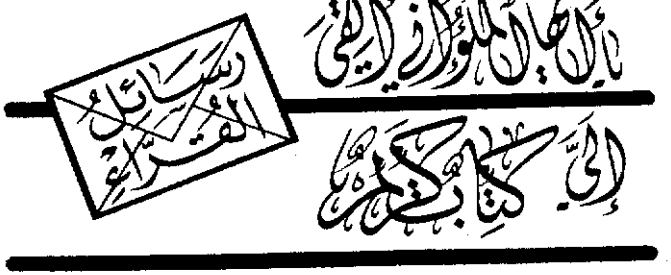

مع قراء الثقلين

باب ننفتح منه على عوالم قرّاء مجلّة «رسالة الثقلين» بكلّ ما تزخر به هذه العوالم من آراء، فنكون معهم في أجوائهم التي يعيشونها مع مجلّتهم فكراً وثقافة ومعرفة. وفيما يلي مقاطع منتخبة من بعض رسائلهم الكريمة: «التحرير»

بسم الله الرحمن الرحيم

● **زودونا بالكتب الدينية**

نبلغكم ازكى واطيب سلامنا ونقول لكم السلام عليكم ورحمة الله وبركاته من اخوانكم في الله بأرض اليمن؛ ونواصل معكم علاقتنا من خلال الرسائل امتثالاً لأمر الله ورسوله ﷺ، فنحن وإياكم اخوة في الله تجمعنا كلمة لا إله إلّا الله محمد رسول الله.

نتمنى أن نلتقي وإياكم إن شاء الله؛ ونقول لكم إننا طلبة نتطلع راغبين إلى معرفة العلوم التي ننجو بها بأنفسنا يوم لا ينفع مال ولا بنون.

فنود ونحب أن تزودونا بالكتب الدينية والثقافية والتاريخية وغيرها. جزاكم الله خير الجزاء، وأعاننا وإياكم على طاعته ورضاه إنه على كل شيء قدير.

حامد يحيى عبد الله

اليمن

* * *

● «رسالة الثقلين»

هدية عظيمة ثمينة

نستهل رسالتنا هذه بالدعاء إلى اللّٰه تعالىٰ أن تكونوا بكامل صحتكم وعافيتكم ناعمين بالخير والسعادة.

وبعد، فقد تسلمنا هديتكم العظيمة الثمينة رسالة الثقلين، فقبّلناها شوقاً إليكم واعترافاً بفضلكم، وليست هذه أول ايادیكم علينا، فضلكم عظيم وخيركم عميم. ونشكر لكم تلك الهدية التي تعودتم إرسالها إلينا.

نشكر اهتمامكم بشؤون الاسلام والمسلمين في العالم الاسلامي، ونتمنىٰ لكم ولمجلتكم عمراً مديداً وحياة سعيدة.

اخوكم في اللّٰه
فودي اندونغ
السنغال

* * *

● «رسالة الثقلين»

فكر اسلامي اصيل

نشكركم علىٰ جهودكم الخيرة في نشر الفكر الاسلامي الاصيل، والعمل علىٰ حمايته، ودفع المجتمع الاسلامي في المسار الصحيح واغنائه بتراثه الحقيقي الاصيل.

سأكون شاكراً لو تفضلتم بارسال الاعداد القادمة.

وفقكم اللّٰه وسدد خطاكم وابقاكم ذخراً لمحبي اهل البيت عليهم السلام.

اخوكم
محمد علي الكاظمي
بريطانيا

* * *

● **ساعدونا لنشر كتاب اللّٰه**

نهديكم أحر واطيب التحيات متمنين لكم دوام التوفيق والنجاح في مهامكم الدينية؛ ونود أن نلفت عنايتكم إلى أن لكم اخواناً مسلمين بجمهورية ساحل العاج، يدعونكم إلى امدادهم بما ترونه من مصاحف عربية وكذلك مترجمة إلى الانجليزية يتلون من خلالها آيات اللّٰه، حيث يندر وجود المصحف الشريف في هذه الجمهورية؛ لذا نرجو منكم مساعدتنا في

نشر كتاب الله في غرب افريقيا .

ولنتبع قول الله تعالىٰ : ﴿وتعاونوا على البر والتقوىٰ﴾ .

الاستاذ كمفاتي

مركز الدعوة والثقافة الاسلامية

ساحل العاج

* * *

● «رسالة الثقلين»

ادخلت الفرح في قلوبنا

اقدم خالص تحياتي واشواقي من صميم قلبي إلى كافة الاخوة العاملين راجياً من الله العزيز القدير أن يوفقكم ويعينكم إن شاء الله .

لقد فرحت جداً عند استلامي مجلتكم وكتبكم الثمينة التي لا تقدر بالمال . اسأل الله أن يدخل الفرح إلى قلوبكم .

إني اشكركم علىٰ هذه الخدمة . جعلكم الله من الموفقين قدماً إلى الامام ونصركم الله وإيانا علىٰ اعداء الاسلام ؛ ومهما يفعلوا فإن الاسلام هو العالي والباقي إلى الابد إن شاء الله .

نرجو منكم الدعاء وانتم قرب مشهد فاطمة المعصومة عليها السلام .

تقبلوا شكرنا الجزيل

اخوكم الصغير

ابو علي

السويد

* * *

● «رسالة الثقلين»

مجلة قيمة لا تغمض عنها عين الرشيد

بكل سرور وفرح ابعث إليكم رسالتي هذه مملوءة بالمحبة وأخلص الدعوات لكم ، معلناً أنني تشرفت بوصول هديتكم إليّ رسالة الثقلين ، وهي بحمد الله مجلة قيمة لا تغمض عنها عين الرشيد . لكم عند الله الاجر الجزيل .

أفيدكم علماً بأنني اسست مكتبة دينية يرجع إليها رجال الفكر الداعين إلى سبيل الهدىٰ ، فأطلب منكم أن تمدّونا بمعونتكم من مصاحف وكتب دينية ومدرسية ؛ كما لا اغفل عن ذكر مجلاتكم النفيسة .

كان الله لكم عوناً علىٰ خدمة الاسلام والمسلمين . والسلام عليكم .

ابو بكر يوسف كيراكويا

بوركينا فاسو

● «رسالة الثقلين»

جديرة بأن تحمد

وصلتني رسالة الثقلين ، ولكن لم تصلني الاعداد الاخيرة منها . إنني انتظر من الاعماق أن احصل على الاعداد التي صدرت من مجلة رسالة الثقلين أخيراً ، وقد كتبت إليكم قبلاً أننا هنا نستفيد من كل ما ترسلونه إلينا .

إن رسالة الثقلين مجلة جديرة بأن تحمد ؛ لأن كل مواضيعها جيدة وفوق ما يقول القائلون .

جزاكم الله خيراً في الدارين .

منور عباس قمر
باكستان

* * *

● **جهودكم مباركة في سبيل نهضة الدين في العالم**

يشرفنا أن نكتب لكم هذا الخطاب راجين من الله تعالى أن يصلكم وانتم بوافر الصحة والعافية .

إن من الدوافع التي دعتنا لوضع هذه الرسالة بين ايديكم هي المجهودات الجبارة المباركة التي تبذلونها في سبيل نهضة الدين والعلم في كافة ارجاء العالم الاسلامي ؛ وعلى هذا الاساس اردنا منكم المساعدة . علماً أننا اسسنا مكتبة اسلامية للمراجعات باسم الامام الخميني؛ وما نؤكده هو أن المكتبة تفتقر في الوقت الحاضر للكتب الاسلامية .

ولنا أمل ورجاء كبيران في أن نحظى بالايجاب والقبول في انجاز مشروعنا هذا ؛ أو إحالتنا إلى الجهات المعنية المختصة .

جزاكم الله عنا وعن الاسلام والمسلمين خير الجزاء واجزل الثواب ، وأعاننا جميعاً على خدمة الدين والعلم .

مدرسة السعادة الاسلامية
مالي

* * *

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام على خط البريد الالكتروني

افتتحت المعاونية العلمية ـ الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام خطاً للبريد الالكتروني ، من أجل ارتباط أسرع مع العالم الاسلامي للتعرف على قضاياه ومشاكله ونشاطاته ، وذلك على العنوان التالي :

E - Mail : Ahlebeyt a WWW.DCI.CO.IR

وسنقوم بالاجابة في اسرع وقت على أية اسئلة أو شبهات تردنا عن طريق هذا البريد .

مؤسسة الفكر الاسلامي على شبكة الانترنيت العالمية

من اجل استخدام احدث الاساليب والطرق المعلوماتية للتعريف باصدارات المؤسسة ونشاطاتها قامت مؤسسة الفكر الاسلامي مؤخراً بعرض مطبوعاتها وكتبها عن طريق شبكة الانترنيت العالمية وعلى العنوان التالي :

http : www. iran - itf. com

■ الخدمات التي تقدمها المؤسسة على الانترنيت ، كالتالي :

١ ـ عرض ٣٥ عنوان كتاب باللغات : الفارسية ، العربية ، الانجليزية ، الهوسائية ، السواحلية ، الفرنسية ، الاسبانية ، الاردية ، اليابانية والالمانية .

٢ ـ عرض مجموعة من المجلات ضمن اربع مجاميع ، هي :

أ ـ نسوية (محجوبة ، الطاهرة ، الكوثر) .

ب ـ اطفال (زمزم ، الهدى) .

جـ ـ عامة Le message، Echo of Islam، الوحدة) .

د ـ تخصصية (رسالة الثقلين العربية ، رسالة الثقلين الانجليزية ، رسالة الثقلين الاسبانية ، التوحيد الانجليزية ، التوحيد ورسالة التقريب العربيتين) .

مما يذكر يمكن مشاهدة فهرس المواضيع المدرجة في مجلات اشهر حزيران حتى آب وكشاف المواضيع المنشورة مع الفهارس من ايلول (سبتمبر) حتى حزيران السنة القادمة كما يمكن تمديد تقديم هذه الخدمات على مدى السنوات القادمة .

■ الراغبين في تقديم اقتراحاتهم من اجل تطوير البرمجة ، يمكن الاتصال بالمؤسسة عن طريق البريد الالكتروني ، وحسب التالي :

للاتصال بالشؤون الدولية **Email: i.t.f a www.iran - itf. com**

للاتصال بالمدير العام **Email: manager a www.iran - itf. com**

للاتصال بالعلاقات العامة **Email: public relation a www.iran - itf. com**

للاتصال بمكتب الدراسات والابحاث **Email: research a www.iran - itf. com**

للاتصال برؤساء التحرير **Email: editor - in - chief a www.iran - itf. com**

■ تجدر الاشارة إلى ضرورة ذكر الموارد التالية :

١ ـ مؤسسة الفكر الاسلامي لها مكانها الخاص على الانترنيت .

٢ ـ لا تفرض المؤسسة أية حدود على سرية اتصال المستفيدين من الشبكة بالمحطة .

٣ ـ يمكن للمستفيدين الاعزاء الدخول إلى نظام البرمجة الخاص بالمؤسسة على الانترنيت دون الحاجة إلى تسجيل اسماءهم أو حصول الشروط الاخرى .

رسالة الثقلين
مجلة إسلامية جامعة

قسيمة
الاشتراك

الاسم
العنوان

المدينة
البلد
المهنة
مدة الاشتراك
ابتداء من

عدد النسخ

بلد الارسال	الاشتراك السنوي / لمدة ٦ اشهر	
الجمهورية اسلامية في ايران (بالريال)	٨٠٠٠	٤٠٠٠
باقي دول العالم بالدولار الأميركي	٣٠ (أو ما يعادله)	١٥

يرافق التشراكي : [ ] صك [ ] صك بريدي [ ] حوالة بريدية
أرسل هذه القسيمة مع قيمة الاشتراك باسم «رسالة الثقلين» الى العنوان التالي :
* الجمهورية الاسلامية في ايران . طهران . ص. ب . ٣٨٩٩ ـ ١٤١٥٥

الاشتراكات

- في داخل الجمهورية الاسلامية تسدد قيمة الاشتراك السنوي (٨٠٠٠ ريال) بحوالة مصرفية على العنوان التالي :
- الجمهورية الاسلامية في ايران . طهران . بانك تجارت . شعبه سازمان آب . رقم الحساب الجاري ٢٥٦٣١ ـ ٣١٧ (بالريال) مجلة رسالة الثقلين
- قيمة الاشتراك السنوي في الخارج (٣٠ دولارا أميركيا أو مايعادلها) تسدد بحوالة مصرفية على العنوان التالي :

1 - Bank Saderat, Hamburg 6232-32 - 3016
2 - Bank Mellat, Iran TIC/AC/120025 - TIC/A/120207

ثمن النسخة :

■ **الجمهورية الاسلامية الايرانية** ٢٠٠٠ ريال ■ **العراق** ١٠ دنانير ■ **لبنان** ٢٥٠٠ ليرة ■ **سوريا** ٥٠ ليرة
■ **الاردن** دينار واحد ■ **الكويت** دينار واحد ■ **البحرين** دينار واحد ■ **الامارات** ١٥ درهما ■ **قطر** ١٥ ريالا
■ **عمان** ريال واحد ■ **السعودية** ٢٥ ريالا ■ **اليمن** ٣٥ ريالا ■ **مصر** ٧٥ قرشا ■ **ليبيا** ١٠٠٠ درهم
■ **السودان** ١٠٠ جنيه ■ **تونس** دينار واحد ■ **المغرب** ١٥ درهما ■ **الجزائر** ١٢ دينارا
■ وفي باقي دول اسيا وافريقيا وأميركا واستراليا وأوربا ٧ دولارات أميركية أوما يعادلها.

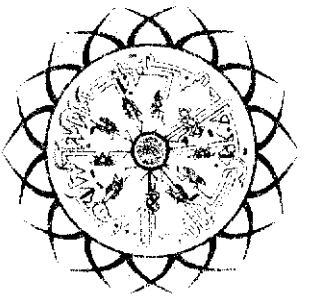

AHL UL BAIT
WORLD ASSEMBLY

RISALATUTH - THAQALAYN

A General Islamic Periodical

Vol. 7, No. 27, Nov. 1998 - January, 1999

الغلاف من الداخل

الصفحة الاولى : لوحة فنية بخط النستعليق تتضمن :

الآية القرآنية الشريفة : ﴿هُوَ الّذي أيّدكَ بنصرِهِ وبالمؤمنين﴾ .

الصفحة الثانية : لوحة فنية بخط النستعليق تتضمن :

قولاً لأمير المؤمنين علي عليه السلام : «عَلَيكُمْ بصنائعِ المعروفِ فإنّها نِعمَ الزّادُ» .